



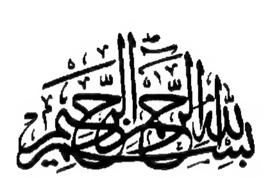
رمضان فوزي

شيزوفرينيا الدُعاة

مظاهر الازدواجية والانفصام لدى الدُعاة والعاملين في مجالات الدعوة إلى اللّه



شيزوفرينيا
الدُعاة



شيزوفرينيا الدُعاة

مظاهر الازدواجية والانفصام لدى الدُعاة والعاملين في مجالات الدعوة إلى الله

إعداد

أ. رمضان فوزي

المحرر بالنطاق الدعوي بشبكة "إسلام أون لاين.نت"

أشرف على التحرير

وحدة النشر بشبكة "إسلام أون لاين.نت"



الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل

Arab Scientific Publishers, Inc. SAL

الطبعة الأولى

1429 هـ - 2008 م

ردمك 978-9953-87-245-2



الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل
Arab Scientific Publishers, Inc. SAL

عين التينة، شارع المفتي توفيق خالد، بناية الريم
هاتف: 786233 - 785108 - 785107 (1-961+)
ص.ب: 13-5574 شوران - بيروت 1102-2050 - لبنان
فاكس: 786230 (1-961+) - البريد الإلكتروني: asp@asp.com.lb
الموقع على شبكة الإنترنت: http://www.asp.com.lb

التنضيد وفرز الألوان: أبجد غرافيكس، بيروت - هاتف 785107 (9611+)

الطباعة: مطابع الدار العربية للعلوم، بيروت - هاتف 786233 (9611+)

المحتويات

تقـــديـــم

الدعوة إلى الله ﷻ فضل عظيم وشرف رفيع لا يؤتاه إلا من أراد الله به الخير، واصطفاه ليكون وريثا للأنبياء في الأرض.

فيكفي الدعاة منزلة ورفعة أنهم سبب خيرية هذه الأمة ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ﴾ [آل عمران: 110].

ويكفيهم فوزا وعزا أنهم هم المفلحون والسعداء ﴿وَلْتَكُن مِّنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: 104].

ويكفيهم شرفا وفخرا أن قولهم هو أحسن الأقوال وأفضلها ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: 33].

ويكفيهم فضلا وأجرا بشراهم برحمة الله تعالى ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: 71].

ويكفيهم نسبا وشرفا أنهم على خطى الحبيب محمد ﷺ سائرون ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً * وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُّنِيراً﴾ [الأحزاب: 45، 46].

فالدعوة اصطفاء، والنجاح فيها توفيق من الله تعالى؛ فهو ﷻ يصطفي من عباده من يشاء، وهو سبحانه أعلم حيث يجعل رسالته.

***

وهذه الأمانة لها مفاخرها العظيمة التي يشرُف بها السالكون طريقها، ولكن هذه الفضائل والمفاخر لها تبعات تقابلها؛ فإذا كان الدعاة إلى الله قد ارتضوا هذا الطريق فليعلموا أن عليهم استحقاقات وواجبات لا بد من مراعاتها؛ حتى يكونوا نموذجا للداعية المجمِّع للناس، المحبِّب في الدين، بدلا من أن يكونوا سببا في تنفير الناس وبُعدهم عن الدين؛ ذلك أن الداعية بمجرد تسربله بسربال الدعوة يتم وضعه تحت منظار مكبِّر من قِبَل الناس، يجعل القذى الذي يصيبه جزعا في عين ناظره.

لقد نعى الله تعالى على بني إسرائيل أن يأمروا الناس بالبر وينسوا أنفسهم، ووصف من يفعل هذا بعدم العقل كما قال تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: 44]، وجعل أيضا من المقت الكبير عند الله أن يقول المرء ما لا يفعل؛ فقال عز من قائل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لاَ تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتاً عِندَ اللهِ أَن تَقُولُوا مَا لاَ تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: 2،3].

وفي أمثال هؤلاء قال المصطفى ﷺ: «لأعلمنَّ أقواما من أُمتي يأتون يوم القيامة بحسنات أمثال جبال تهامة بيضا، فيجعلها الله ﷻ هباء منثورا، قال ثوبان (راوي الحديث): يا رسول الله، صفهم لنا، جلِّهم لنا، أن لا نكون منهم ونحن لا نعلم، قال: أما إنَّهم إخوانكم ومن جِلْدتكم، ويأخذون من الليل كما تأخذون، ولكنَّهم أقوامٌ إذا خَلَوا بمحارم الله انتهكوها» [رواه ابن ماجه بسند صحيح].

ووضح ﷺ الصورة الذليلة التي يظهر عليها يوم القيامة من يخالف فعلُه قولَه؛ حيث يقول ﷺ: «يُجَاءُ بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ، فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُهُ فِي النَّارِ، فَيَدُورُ كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ بِرِحَاهُ، فَيَجْتَمِعُ أَهْلُ النَّارِ عَلَيْهِ، فَيَقُولُونَ: أَيْ فُلاَنُ، مَا شَأْنُكَ؟ أَلَيْس كُنْتَ تَأْمُرُنَا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَانَا عَنِ الْمُنْكَرِ؟، قَالَ: كُنْتُ آمُرُكُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَلا آتِيهِ، وَأَنْهَاكُمْ عَنْ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ» [أخرجه البخاري في صحيحه].

ولله درّ القائل:

لا تنْهَ عن خُلقٍ وتأتي مثلَه عارٌ عليك إذا فعلت عظيمُ

***

ولكن هل يعني هذا أن المطلوب من الدعاة أن يكونوا ملائكة يمشون على الأرض، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون؟!.

لا يمكن أن يقول بهذا أحد؛ فالدعاة بشر، ولأنهم بشر فإنهم معرضون للخطأ والعصيان؛ فمن سنن الإسلام التي تميز بها عن غيره من الديانات أنه دين الواقعية؛ فهو لا يخلع على أحد ألقابا كهنوتية، ولا يطلب من أحد مهما علا شأنه في الدعوة والعلم أن يتجرد من بشريته التي تقتضي الخطأ والصواب، والعصيان والطاعة.

لكن المطلوب أن يأتمر الداعية بما يأمر به الناس، وينتهي عما ينهاهم عنه؛ حتى إذا بدر منه خطأ أو ارتكب إثما -بحكم بشريته- فعليه أن يسارع بالاستغفار والإقلاع عنه؛ حتى لا يُستغل هذا الموقف ضد الدعوة والدين متمثلا في شخصه هو؛ فالداعية هو حارس حدود

الله في الأرض، فإذا انتهك هو حدا من هذه الحدود فإن ذلك يكون مدعاة للآخرين للتجرؤ على هذه الحدود.

أما إذا رأى الناس من الداعية ما ينكرون وما لا يستسيغون، أو ما يرونه هم خطأ، فعليهم أن يضعوا الأمر في حجمه الطبيعي دون تهويل أو تضخيم. وليعلموا أنه ليس هناك معصوم بعد الحبيب محمد ﷺ، وأن كل بشر معرض للخطأ والزلل حتى يبقى الكمال المطلق لله تعالى، ويبقى الكمال البشري للمعصوم ﷺ. وبهذا يكون خطأ الداعية هنا تحقيقا لسنة الله في الأرض، وإمضاء لنواميسه في خلقه، ولا يمنعنّهم خطأ الداعية من الأخذ بأقواله؛ فليأخذوا ما يرونه مفيدا، ويَدْعُوا حاله لربه، مع النصح له؛ فهو داعية في موقف ومدعو في موقف آخر، ولا ضير في ذلك؛ بل هذا من باب التواصي بالحق والخير الذي يقتضي المشاركة من الجميع.

***

ومن نعم الله ﷻ على البشرية في العصر الحديث هذه النهضة العلمية والتكنولوجية التي طالت كل مظاهر الحياة، والتي منها هذا التقدم الهائل في وسائل الاتصالات الحديثة المتمثلة في الفضائيات ومواقع الإنترنت.

وهذه الوسائل سلاح ذو حدين؛ فهي يمكن توظيفها توظيفا سيئا يتمثل في الانحلال الخلقي والقيمي؛ من خلال الفضائيات ومواقع الإنترنت التي تبث سمومها ليل نهار لتدخل كل بيت بكل سهولة ويسر، والحد الإيجابي لهذه الثورة التكنولوجية يتمثل في القنوات والمواقع الهادفة التي تغرس القيم النبيلة والأخلاق الرفيعة، وتدفع كل رذيلة؛ وهو ما جعل منها وسائل دعوية راقية وسريعة المفعول في المجتمع.

ولأن الدعاة بشر كما ذكرنا، ولأنهم جزء من هذا المجتمع بكل حسناته وسيئاته؛ فطبيعي أن يتأثروا به، وأن ينالهم ما ينال غيرهم منه؛ فنجد من الدعاة من ينالهم من سيئات هذه التكنولوجيا حتى ولو رذاذا؛ فتوفر لهم سبل المعصية بعيدا عن أعين الناس، أو يتأثروا ببعض الأمراض الاجتماعية التي تبث من خلال هذه الوسائل.

ومن الدعاة من يوفقه الله ﷻ فيكون سره كعلانيته وخلوته كخلطته؛ فيأخذ من هذه التكنولوجيا حسنها، ولا يغريه سيئها؛ فيطوّعها لدعوته، ويتخذها سبيلا لتبليغ رسالته؛ فيتعدى تأثيره الحدود والقارات، ويكون كل ذلك في ميزان الحسنات.

ومن هذه الوسائل الدعوية التي كتب الله لها الانتشار والذيوع، ووصل تأثيرها كل الربوع، موقع "إسلام أون لاين.نت" الذي أصبح قبلة لكل مريد، ووعاء لكل مفيد.

فالموقع يحوي خبرة دعوية نافعة ومفيدة، ما بين الموضوعات التي تعالج مشكلات الحقل الدعوي، والاستشارات التي تعبر عن واقع حقيقي بعيد عن التنظير والاحتمالات؛ فهذه الاستشارات كتبها أصحابها في خلوة مع أنفسهم، بعيدا عن أي مؤثر إلا وازعا من دين أو ضمير يقظ؛ ومن ثم جاءت صادقة معبرة عن حال أصحابها أصدق تعبير، وعاكسة للواقع الدعوي بمرآة معتدلة دون تحديب أو تقعير.

وفي هذه الصفحات حاولنا لَمَّ شعث ما تناثر في شبكة "إسلام أون لاين.نت" من موضوعات واستشارات تعالج موضوع الانفصام الدعوي؛ فالداعية الذي يخالف فعلُه قولَه، وباطنُه ظاهرَه، وسرُّه علانيتَه، مصابٌ بما يمكن تسميته "انفصاما دعويا"، أو ما يمكن أن يطلق عليه (شيزوفرينيا) بمصطلح علماء النفس.

وهذه الصفحات نقدمها بين يدي الدعاة إلى الله حتى يعرض كل منهم نفسه على ما بها من مظاهر انفصام؛ حتى إذا وجد منها في نفسه شيئا سعى إلى علاجه والتغلب عليه، ونقدمها أيضا للجمهور حتى يضعوا الدعاة موضعهم البشري الطبيعي حسب طبيعتهم التي فطرهم الله عليها، دون تقديس أو تبخيس.

وقمنا بتصنيف مادة الكتاب حسب مجالات الانفصام أو الشيزوفرينيا التي تعالجها؛ فجاءت على النحو التالي:

- الشيزوفرينيا مع النفس
- الشيزوفرينيا مع الدعوة
- الشيزوفرينيا مع العائلة
- الشيزوفرينيا مع المجتمع

وختاما نسأل الله تعالى أن يجعل سرنا خيرا من علانيتنا، وباطننا خيرا من ظاهرنا، وأن يرزقنا الإخلاص والقبول، وأن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

رمضان فوزي بديني

المحرر بالنطاق الدعوي بشبكة "إسلام أون لاين.نت"

الفصل الأول

الشيزوفرينيا مع النفس

تتعدد مظاهر الشيزوفرينيا التي تصيب الداعية مع نفسه؛ فهو أمام الناس مثال للالتزام بأوامر الدين والانتهاء عن نواهيه، ولكنه بينه وبين نفسه شيء مختلف، ومثال مناقض لما يراه الناس ولما يظنونه فيه.

ومن هذه المظاهر الانفصامية ما يصيب قلب الداعية من الإعجاب والكِبر والغرور لما يراه من إقبال الناس عليه، وقوة بيانه، وتأثيره فيهم، والتفافهم حوله، وحرصهم على حضور دروسه وحلقاته.

وربما يصيب قلب الداعية أيضا حب الدنيا والعمل لها، حتى إنه يجعل من دعوته مطية لتحقيق مآرب دنيوية ومغانم شخصية.

ومن هذه المظاهر المعاصي الخفية التي لا يطلع عليها أحد إلا الله ﷻ؛ فالداعية بين الناس تقي ورع، وإذا اختلى بحرمات الله لم يتردد في انتهاكها.

وربما يكون هذا النوع من الانفصام متمثلا بصورة واضحة في شريحة الشباب والمراهقين من الدعاة؛ فهم يعيشون صراعا بين متطلبات الدعوة وخصائص واحتياجات المرحلة العمرية التي يعيشونها؛ فبعضهم يعاني من مشكلات العلاقة مع الجنس الآخر؛ من اختلاط وميل قلبي وما إلى ذلك، وبعضهم يشكو من ممارسة العادة السرية... إلى غير ذلك من مشكلات واحتياجات هذه المرحلة.

ومن أخطر مظاهر هذا الانفصام أن يستغل الشيطان هذه الأمور لدى الداعية؛ فيلقي في نفسه أنه ليس أهلا للدعوة، وأن عليه أن يتوارى عن طريقها؛ حتى ينصلح حاله، ويكون مؤهلا لها.

وفي الصفحات التالية نتعرف على هذه الأمور بشيء من التفصيل مع الحلول المقترحة لأبرز إشكالياتها.

غرور التدين.. آفة تصيب الدعاة

د. محمد متولي منصور

الغرور مرادف للكِبر، وهو داء وبيل وشر مستطير، وإذا كان الغرور منهيا عنه لسائر البشر، فالنهي عنه بالنسبة للمجتمع الإسلامي بطريق الأولى، والنهي عنه بالنسبة للدعاة بطريق الأحرى.

وإذا أردنا أن نعرف الغرور لاستطعنا أن نقول: إنه عجب المرء بنفسه، واتباعه هواه، وتضخم "الأنا" عنده، وحبه لذاته، وغمطه لحقوق الآخرين.

وإن تعجب فعجب وجود هذه الآفة لدى بعض الدعاة، الذين من المفترض -وهم ورثة الأنبياء- أن تنطوي قلوبهم على الطهر والنقاء، والود والصفاء، لا على الكبر والغرور والأنانية، وتورم الذات.

أسباب غرور الدعاة:

وهناك أسباب عديدة أدت إلى وجود هذه الظاهرة لدى بعض الدعاة، منها:

أولا: عدم فهم الداعية لطبيعة الدعوة ومنهجها؛ إذ لا يكون الداعية موفقا في دعوته إلا إذا كان عند قول الله سبحانه: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: 33]، والغرور يتنافى مع العمل الصالح.

ثانيا: تسليط بعض وسائل الإعلام الضوء على بعض المتكلمين، وإيجاد مساحات واسعة لهم، فتنتفخ أوداجهم، وتتضخم ذواتهم، ويوهمون أنفسهم أنهم قد أصبحوا دعاة، مع أن فكرهم خواء وأفئدتهم هواء.

ثالثا: عدم وجود المجتمع المثقف الواعي الذي يميز بين الغث والسمين، فيهلل من لا دراية لهم من أبناء المجتمع لبعض هؤلاء المتكلمين، فيصابون بداء الغرور، ويحسبون أنهم يحسنون صنعا.

رابعا: التقصير من قِبَل بعض الجهات القائمة على أمر الدعوة في إعداد الدعاة وتأهيلهم تأهيلا علميا ودعويا، والاكتفاء بإجراء اختبارات قاصرة ينتج عنها دعاة مغرورون يتزينون بزي الدعاة، لكنهم قد رضوا بالشكل وغفلوا عن المضمون، عُنوا بالمظهر ولم يعنوا بالجوهر، وهذا بالتأكيد له آثاره السلبية على الداعية، وعلى الدعوة، وعلى المجتمع.

أثر الغرور على الداعية:

أما أثر الغرور على الداعية فيكفي أنه يقف به عند حدود ما علِم، ظنا منه أن له اسما قد أصبح ملء السمع والبصر، ومن هنا فإنه قد لا يُعِد نفسه حين يريد أن يتحدث إلى الناس إعدادا جيدا، ولذا فقد يهرف بما لا يعرف، وربما يزِل، لكن زلة أمثاله خطيرة؛ لأنها تنعكس على المجتمع الذي ينشر دعوته فيه، ولذا فإنه يكون وبالا على الدعوة، وعبئا ثقيلا عليها، يأخذ منها ولا يعطيها، يسيء إليها من حيث يظن أنه محسن.

أثر الغرور على الدعوة والمجتمع:

أما أثر غرور التدين لدى بعض الدعاة على الدعوة، فإنه يعد مخالفا لطبيعة منهجها؛ لأن منهج الدعوة الإسلامية ينبثق من قول الله سبحانه مخاطبا حبيبهﷺ: ﴿ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: 125]، والمغرور لا حكمة عنده ولا موعظة حسنة، فكيف يدعو الناس إلى ما سُلب منه؟!.

أما عن أثر غرور التدين لدى بعض الدعاة على المجتمع، فإنه أثر جد خطير؛ لأنه يؤدي إلى الفصل بين القول والفعل، بين الواقع والسلوك، فينتج مجتمعا مفكك العُرَى، مهلهل النسيج، ضعيف البنيان، لديه خور في العقيدة، ووهن في الدين.

كيف نعالج غرور الدعاة؟

ولكي نعالج هذه الظاهرة لا بد أن نقرر عدة أمور اتفق عليها أئمة الدعاة، ومن أبرزها ما يلي:

أولا: إن من أهم الصفات التي يجب أن يتصف بها الداعية "التواضع"، ومعنى التواضع: ألا يستنكف الإنسان من قبول الحق ولو جاءه ممن هو دونه علما أو سنا أو قدرا، ومن الرجوع إلى الحق بعد أن يتبين له. أما الكبر والغرور بالنفس والإعجاب بها فيصد عن الحق وإن كان أوضح من فلق الصبح؛ ولهذا قال رسول الله ﷺ: «الكبر بطر الحق وغمط الناس» [رواه مسلم].

ولقد كانت أول معصية في هذا العالم دافعها الكبر والغرور، وهي معصية إبليس عليه لعنة الله، فلقد أُمِر بالسجود تكريما لآدم عليه السلام،

ولكنه أبى واستكبر وكان من الكافرين، وقال معجبا متكبرا متعاليا: ﴿أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ [الأعراف: 12].

وبهذا عُلم أن معاصي القلوب أشد خطرا من معاصي الجوارح، وهو الفرق بين معصية إبليس (لعنه الله) ومعصية آدم عليه السلام.

ثانيا: إن الرسول ﷺ وهو سيد الدعاة وإمام المرسلين قد جعل هذا الداء الخطير -أعني الكبر والغرور- من المهلكات، فقال ﷺ: «ثلاث مهلكات: شح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه» [رواه الطبراني بسند حسن]. فإذا اجتمع الهوى المتبع والإعجاب بالنفس ازداد الطين بلة، كما يقولون.

ثالثا: إن المتكبر المغرور إنسان مطموس البصيرة، أعياه الغرور عن رؤية الحق؛ لأنه لا يبصر إلا من زاوية واحدة، وهي الزاوية التي يرى فيها ذاته، ولا يرى غيرها، وصدق الله العظيم حيث قال: ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ [غافر: 35].

ومن هنا بات واجبا على الداعية أن ينزع عنه رداء الكبر؛ لأن الكبرياء لله وحده، وأن يجعل التواضع شعاره، وخاصة التواضع للدين، وهذا ما فصّل فيه ابن القيم (رحمه الله) تفصيلا جميلا، حين قال في كتابة القيم "مدارج السالكين": "التواضع للدين هو الانقياد لما جاء به الرسول ﷺ، والاستسلام له والإذعان".

رابعا: إن الداعية وحده في غالب الأمر هو الإدارة والتوجيه والمنهج والكتاب والمعلم، وعليه وحده يقع عبء الدعوة إلى الله مع إخوانه من الدعاة، وهذا يجعل العناية بتكوين الدعاة وإعدادهم الإعداد الكامل أمرا بالغ الأهمية، وإلا أصيبت الدعوة بالخيبة والإخفاق في

الداخل والخارج؛ لأن شرطها الأول -وهو الداعية المهيأ لحمل الرسالة- لم يتحقق.

خامسا: إذا كنا نريد داعية ينتصر في معركته على الجهل والهوى والتسلط والفساد، فلا بد أن يتسلح بأسلحة عديدة لازمة له في الدفاع والهجوم، ومن أبرز أسلحة الداعية ما يلي:

أ- سلاح الإيمان: وبدون هذا السلاح يبطل كل سلاح، وتفشل كل ذخيرة، ونحن نعلم أن الإيمان ليس بالتمني، ولكن ما وقر في القلب وصدّقه العمل، كما أخبر بذلك رسول الله ﷺ.

ب- سلاح الأخلاق: والأخلاق من لوازم الإيمان الحق وثماره، وقد وصف الله ﷻ سيد الدعاة ﷺ بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: 4]، وخاطبه بقوله: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: 159].

جـ- العلم والثقافة: وهذه هي العدة الفكرية للداعية بجانب العدة الروحية والأخلاقية، فالدعوة عطاء وإنفاق، ومن لم يكن عنده علم أو ثقافة كيف يعطي غيره؟ والداعية المتصف بالغرور كيف يأمر غيره بالتواضع وهو فاقد له؟! إن فاقد الشيء لا يعطيه، ومن لم يملك النصاب كيف يزكي؟!.

وهذا يؤكد لنا أن الداعية في حاجة إلى ثقافة شرعية وتاريخية وأدبية ولغوية، وإنسانية، وعلمية وواقعية، إنها ثقافة بمعناها العام الشامل، ومنتفخ الأوداج من الدعاة لا يمكن أن يحصّل أي لون من ألوان الثقافة؛ لأن الغرور أعمى بصره، وطمس على بصيرته.

الفرق بين الثقة بالنفس والغرور:

وإذا كان من مقومات الداعية "الثقة بالنفس"، فكيف نفرق بينها وبين الغرور؟

إن الثقة بالنفس تعني اعتزاز الداعية بمواهبه وبنفسه؛ من ناحية المظهر، ومن ناحية المخبر، وهذا يعينه على نجاح دعوته، أما من يفقد الثقة بنفسه فإنه يتلعثم ويضطرب، وتتبخر منه المعلومات، وتضيع منه التعبيرات؛ لأن مخاطبة الجماهير تحتاج إلى جرأة بالغة تسعفه عند المفاجآت، وتتيح له حل المشكلات.

أما الغرور فيدل على نفس غير سوية، وإيمان ضعيف، وقلب غير سليم، وحين نفتش في القرآن الكريم نجد أن القلب السليم الخالي من أمراض القلوب –وأهمها: الغل والحقد والحسد والكبر والغرور وحب الذات– هو المقوم الأول من مقومات الداعية، وبه تؤتي الدعوة ثمارها المرجوة ونتائجها المرتقبة.

ولا شك أن على المؤسسات الدينية دورا مهما في معالجة المنحرفين المغرورين من الذين يتصدون للدعوة إلى الله، وذلك من خلال إعادة النظر في البرامج التدريبية والمناهج الدعوية؛ لتكون أكثر وضوحا، وأتم فائدة، وأبلغ تأثيرا.

الدعاة بين التناقض والتلون.. بل هم بشر

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على نبيِّه الذي اصطفى، وبعد:
فجزاكم الله خيراً على ما تقدِّمونه من جهد جبّار وعظيم، وأسأل الله أن يوفّقكم لما يحبُّ ويرضى، وإنّي أرجو منكم سعة الصَّدر وطول البال، والله المستعان.
تكمن أيُّها الأحباب المشكلة في التناقض الذي يحدث في حياة الداعية والذي يؤرِّقه.

1- تجد الداعية قدوة صالحة، وهو من خيرة الشباب، ويعمل بجدّ، لكنَّه إذا اختلى بنفسه انتهك محارم الله، فينطبق عليه حديث رسول الله ﷺ بفناء عمله وذهابه، فتجده يغتمُّ ويصيبه من الهمِّ الكبير ما يؤرِّقه، فهل هذا التفكير صحيح بحيث لا يمكن أن تجد إنساناً كاملاً ولا يخطئ، ولا يمكن أن تجد إنساناً مسلماً يعصي الله ﷻ علانية، وإنَّما يرتكب الذنب سرّاً؟ فهل ينطبق على هذا الداعية حديث الرسول ﷺ؟

2- تجد أحد الدعاة صاحب همة عالية جدا، فتجده يعمل في قطاع الناشئة والشباب والجامعة، وتجده يعمل في أكثر من مكان، ولكنّك تجده عند الناشئة ذا طبع خاص في التعامل، وعند الشباب ذا طبع آخر، وفي الجامعة ذا طبع آخر، حتى يصبح في تعامله مع أهله ذا طابع مغاير للطباع الأخرى (فيتبادر إلى ذهنه أمران: إمَّا أنَّ لكلِ عمل تعاملاً خاصّاً به، أو أنَّه كالحرباء يتلوَّن بعدَّة ألوان)، وهو الذي تعلَّم أنَّ شخصيَّة الداعية تكون ثابتةً لا تتغيَّر، وأنَّه لا يجب أن يكون كالحرباء، فهل هذا التفكير صحيح؟
أعتذر عن الإطالة، وأرجو توضيح هاتين الفكرتين هل هما صواب أم خطأ؟ ووفَّقكم الله لما يحبُّ ويرضى.

... – الإمارات العربية المتحدة

الرد

المستشار: الأستاذ فتحي عبد الستار

أخي الكريم، رجوت منا سعة الصدر وطول البال، ونطمئنك بأن صدورنا تتسع لكل إخواننا وأخواتنا، ولا تضيق أبدا.

لقد عرضت في رسالتك أخي الحبيب حالتين للداعية، وقبل أن أناقش معك هاتين الحالتين، دعنا نتفق على بعض الموازين والمقاييس التي سنستخدمها للحكم عليهما:

أولا: أن الداعية بشر، ذو طبيعة آدمية، يجري عليه ما يجري على كل البشر؛ من طاعة ومعصية، وذكر وغفلة، وعزم وتخاذل، ولقد قال ﷻ عن أبينا آدم عليه السلام وهو النبي الأول الذي خلقه الله بيديه، وأسجد له ملائكته: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً﴾ [طه: 115]، وقال ﷺ: «كل بني آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون» [رواه أحمد والترمذي بسند حسن]، وعن حنظلة الأسيدي رضي الله عنه –وكان أحد كُتّاب رسول الله ﷺ– قال: لقيني أبو بكر فقال: كيف أنت يا حنظلة؟ قلت: نافق حنظلة، قال: سبحان الله، ما تقول؟، قلت: نكون عند رسول الله ﷺ يذكرنا بالجنة والنار كأنا رأي عين، فإذا خرجنا من عند رسول الله ﷺ عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات، نسينا كثيرا، قال أبو بكر: فوالله إنا لنلقى مثل هذا، فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله ﷺ فقلت: نافق حنظلة يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: وما ذاك؟، قلت: يا رسول الله، نكون عندك تذكرنا بالنار والجنة كأنا رأي عين، فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات نسينا كثيرا، فقال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده لو تدومون على ما تكونون عندي وفي الذكر لصافحتكم الملائكة في فرشكم، وفي

طرقكم، ولكن يا حنظلة ساعة وساعة، ثلاث مرات» [رواه مسلم].

وداعية اليوم ليس -ولن يكون- أفضل من صحابة رسول الله ﷺ الذين وقعت منهم الذنوب والمعاصي، صغيرها وكبيرها، ثم تابوا عنها، ولم ينقص ذلك من قدرهم عند إخوانهم، ولا عند النبي ﷺ، ولا عند الله ﷻ، ولعل قول النبي ﷺ للمرأة التي رجمت حدا لزناها شاهد على عدم انتقاص المذنب إذا تاب عن ذنبه، حيث قال ﷺ: «لقد تابت توبة لو قسمت بين سبعين من أهل المدينة لوسعتهم، وهل وجدت توبة أفضل من أن جادت بنفسها لله تعالى؟» [رواه مسلم].

ثانيا: أن مجرد حدوث الذنب -أيا كان هذا الذنب- ليس عيبا، فهو من طبيعة البشر كما قلنا، ولكن العيب هو الإصرار عليه، وعدم التوبة منه، فالله ﷻ في معرض وصفه للمتقين يقول: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُواْ أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُواْ اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَى مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ * أُوْلَـئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ [آل عمران: 135،136]، وقد قال ﷺ: «والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم وجاء بقوم يذنبون، فيستغفرون الله تعالى، فيغفر لهم» [رواه مسلم].

ثالثا: أن الداعية إذا أذنب أو أخطأ فلا ينبغي أن يقعده ذلك الذنب أو الخطأ، ويمنعه عن ممارسة الدعوة إلى الله ﷻ، بحجة أنه لم يعد أهلا لها بعدما أذنب وأخطأ، فهذا باب من أبواب الشيطان يستدرج منه العبد.

هذه هي الموازين التي تحكمنا، ثم تعال نناقش الحالتين اللتين ذكرتهما في ضوء تلك الموازين والقواعد:

الحالة الأولى: أسميتها أنت: (التناقض الذي يحدث في حياة الداعية)، وهنا يجب أن نفرق بين كون هذا التناقض عادة ومقصودا، وبين كونه عارضا طارئا غير مقصود، وأقصد بالأول الذي يمارسه الداعية عن عمد وإصرار، فيظهر أمام الناس بصورة التقي الورع العابد، حتى إذا اختلى بنفسه أتى المعاصي والمنكرات، وهذا هو الصنف الذي يقصده النبي ﷺ في حديثه الذي أشرت إليه، ونذكر نصه لمن لا يعرفه، يقول ﷺ: «لأعلمن أقواما من أمتي، يأتون يوم القيامة بحسنات أمثال جبال تهامة بيضاء، فيجعلها الله هباء منثورا، أما إنهم إخوانكم، ومن جلدتكم، ويأخذون من الليل كما تأخذون، ولكنهم قوم إذا خلوْا بمحارم الله انتهكوها» [رواه ابن ماجه، وإسناده صحيح].

وفي هؤلاء يصدق قول الله ﷻ: ﴿يُخَادِعُونَ اللهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ * فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللهُ مَرَضا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ [البقرة: 9، 10].

أما الصنف الثاني فهم الذين لا يتعمدون المعصية ولا يبيتون النية لإتيانها، وإنما تقع المعصية عرضا نتيجة لحظة ضعف بشرية آدمية، ثم إنهم إذا أتوا المعصية لا يصرون عليها، بل يسارعون إلى التوبة والاستغفار منها، ويظل إحساسهم بالتقصير يؤرقهم، ويغتمون، ويصيبهم الهم الكبير كما قلت أنت.

فما دام هناك إحساس بالذنب، ولوم من النفس، وأرق وهمّ وغم من المعصية؛ فتلك علامات خير تدل على حياة القلب وإيمانه.

والواحد من هؤلاء عندما يقع في أي معصية يجب عليه فعل الآتي:

1- أن يجتهد في الإقلاع عن هذا الذنب، ولا يصر عليه، ويتوب إلى الله ﷻ.

2- ألا يستصغر هذا الذنب ويستهين به؛ يقول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «إن المؤمن يرى ذنوبه كأنه قاعد تحت جبل يخاف أن يقع عليه، وإن الفاجر يرى ذنوبه كذباب مر على أنفه فقال به هكذا» [رواه البخاري].

3- ألا يتهاون بستر الله عليه وحلمه وإمهاله إياه، فإنما ذلك يكون بسبب أمنه من مكر الله، وجهله بمكامن الغرور بالله.

4- ألا يرتكب المعصية أمام الناس؛ فإنه إذا فعل المعصية على أعين الناس الذين يعرفونه ويقتدون به كبر ذنبه وعظم، وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما: "ويل للعالِم من الأتباع؛ يزل زلة فيرجع عنها، ويحملها الناس فيذهبون بها في الآفاق"، ولهذا السبب ضاعف الله ﷻ لنساء النبي ﷺ عذابهن إذا أتين بفاحشة مبينة، كما ضاعف لهن أجرهن إذا قنتن لله وعملن صالحا، يقول ﷻ: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيراً * وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحاً نُّؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقاً كَرِيماً﴾ [الأحزاب: 30،31].

5- أن يستر هذا الذنب أو العيب ولا يفشيه ولا يتحدث به، حتى لا يحرك رغبة الشر ونوازع المعصية، ويعين الشيطان على السامع أو من يصله هذا الكلام، وليس هذا من الرياء أو النفاق، وقد يخيل الشيطان للعبد أن في تحدثه بذنبه تواضعا وتحقيرا لنفسه؛ فالنبي ﷺ يقول: «كل أمتي معافى إلا المجاهرين، وإن من المجاهرة أن يعمل الرجل بالليل عملا ثم يصبح وقد ستره الله عليه، فيقول: يا فلان، عملت البارحة كذا وكذا، وقد بات يستره ربه، ويصبح يكشف ستر الله عنه» [رواه البخاري]، وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال:

«أيها الناس، قد آن لكم أن تنتهوا عن حدود الله، من أصاب من هذه القاذورات شيئا فليستترْ بستر الله، فإنه من يبدي لنا صفحته نقمْ عليه كتاب الله» [رواه الحاكم، وإسناده حسن].

إن أرباب الحياء والأدب مع الله ﷻ الذين يكتمون على أنفسهم، ولا يحدثون الناس بهفواتهم، ويندمون عما حدث منهم من المعاصي، يقول عنهم ﷺ: «إن الله يدني المؤمن فيضع عليه كنفه ويستره، فيقول: أتعرف ذنب كذا؟ أتعرف ذنب كذا؟، فيقول: نعم، أي رب، حتى إذا قرره بذنوبه ورأى في نفسه أنه هلك، قال: سترْتها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم، فيعطى كتاب حسناته» [رواه البخاري].

أما الحالة الثانية التي تعرضت لها أخي الكريم فهي حالة الداعية الذي يتعامل مع شرائح مختلفة من المدعوين، ويعامل كل شريحة بنمط معين وبشكل مغاير لما يعامل به غيرها، فتعتمل في قلبه أمور، ويكون حائرا في الحكم على نفسه بين شيئين: إما أن ما يفعله صحيح؛ حيث إن لكل شريحة تعاملا خاصا بها، أو أنه ذو وجوه متعددة، ويتلون كالحرباء.

إن الله ﷻ خلق الناس بطبائع متعددة، وعقول متفاوتة، ومشارب متنوعة، يقول ﷻ: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ [هود: 118]، ويقول: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى﴾ [الليل: 4]؛ ولذا فإن الداعية المتمرس يجب أن يعامل الناس كلا حسب قدراته العقلية والنفسية والبدنية، فالأسلوب الناجع مع الكبار قد لا يناسب الشباب أو الأطفال، والذي يناسب العالِم لا يناسب العامي، وما ينجح مع أهل الحضر قد يفشل مع أهل البداوة... وهكذا، وقد

كان قدوة الدعاة والمثل الأعلى لهم -النبي ﷺ- يراعي تلك الأمور، فيعامل الناس على حسب سن وعلم وطاقة كل منهم، فلا مانع أن يتباسط الداعية قليلا مع الناشئة والمبتدئين والعوام فيما لا يخل بالدين والمروءة؛ حتى يُقبلوا عليه ويسمعوا له، وليس في هذا تلون ولا نفاق إذا قصد به وجه الله ﷻ، بل هو من حرفية الداعية.

وقد روي في الأثر: "خاطبوا الناس على قدر عقولهم"، ويقول عبد الله بن مسعود ﷺ: «ما أنت بمحدّث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة» [رواه مسلم]، ويقول علي ﷺ: «حدّثوا الناس بما يعرفون، أتحبون أن يكذب الله ورسوله؟» [رواه البخاري].

وقولك بأن الداعية يتعلم أن شخصيته يجب أن تكون ثابتة لا تتغير، هذا صحيح على مستوى المبادئ والأسس والأصول التي لا تقبل قيد شعرة من الاهتزاز أو التحول، أما على مستوى الوسائل والأساليب فالأمر واسع لا تحده ولا تحكمه إلا حدود وأحكام الشرع والدين.

وأخيرا أخي الحبيب يجب أن يفهم كل المسلمين هذه القواعد والموازين التي تحدثنا عنها، فلا يخلعون الداعية من بشريته وآدميته، ويضعونه في مصافّ الملائكة، حتى إذا ما ظهرت منه هفوة سقط من أعينهم.

هذا بالنسبة للناس عموما، أما الداعية فإلى جانب فهمه لتلك الأمور إلا أن عليه أن يأخذ نفسه بالعزيمة، متمثلا قول الشاعر:

قد هيئوك لأمر لو فطنت له فاربأ بنفسك أن ترعى مع الهمل

وفق الله الجميع لما يحب ويرضى، وأهلا بك.

"أترك الدعوة حتى أنصلح".. خطأ شائع

الحمد لله الذي منّ عليّ بالالتزام من حوالي 4 أعوام، وبعد الالتزام بفترة سلكت طريق الدعوة إلى الله مع إخواني الآخرين، وانغرست في حقل الدعوة، ولكن هناك مشكلة تقابلني هي أنني عندما أقع في بعض الذنوب المعينة تتدهور علاقتي مع الله، وأصبح في فتور، وربما تؤدي بي إلى القنوط، وتكون النتيجة أنني أنقطع عن الدعوة في هذه الفترة؛ بدعوى أن أهم شيء هو إصلاح نفسي أولاً حتى أستعيد قوة إيماني من جديد.

فهل أجد عندكم من حل لهذه المشكلة الصعبة؟

أحمد- مصر

الرد

المستشار: مجموعة مستشارين.

يقول الأستاذ همام عبد المعبود:

أخي في الله أحمد، السلام عليك ورحمة الله وبركاته.

وأهلاً ومرحباً بك، وشكر الله لك ثقتك بإخوانك في شبكة "إسلام أون لاين.نت"، ونسأل الله ﷻ أن يجعلنا أهلاً لهذه الثقة، وأن يتقبل منا أقوالنا وأعمالنا، وأن يجعلها خالصة لوجهه الكريم، وألا يجعل فيها لمخلوق حظاً.. آمين، ثم أما بعد:

فاعلم أخي الحبيب أن الله ﷻ قد منّ عليك بنعم كثيرة، في مقدمتها نعمة الإسلام، ونعمة الالتزام، ثم أكرمك بأن اختارك للقيام بأشرف مهمة؛ ألا وهي مهمة "الدعوة إلى الله"، قال تعالى: ﴿وَمَنْ

أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: 33].

فاحمد الله أخي الحبيب على هذه النعم الكثيرة، وأدّ شكرها ليزيدك الله من نعمه وفضله، قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: 7]، ومن أداء شكر هذه النعم أن تستمر في تبليغ دعوته سبحانه وتعريف عباده عليه، بإرشادهم لطريق طاعته، وتحذيرهم من مغبة معصيته.

أما عما وصفته في رسالتك بأنه "مشكلة صعبة" تقابلك وأنت في طريق الدعوة، عندما تقع في بعض الذنوب، فإنني أعتقد أن هذا أيضاً من نعم الله عليك، ذلك أنك كداعية بمجرد أن تقع في ذنب تستشعر الخطر، فهذه صفة طيبة، فلتحمد الله عليها، نعم.. احمد الله أن رزقك قلباً يستشعر خطورة الذنب في حق الخالق سبحانه، فكم من الناس لم يمن الله عليهم بهذه النعمة "نعمة استشعار خطورة المعصية"، غير أن هذا الاستشعار يجب أن يدفعك إلى مراجعة نفسك والمبادرة بالاستغفار امتثالاً لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: 135].

فحري بك أن تسارع إلى التوبة والعودة إلى الله، لا أن تصيبك المعصية بنوع من الاستسلام للمعصية أو استمرائها، عافاك الله، واعلم أن الداعية إلى الله ليس نبيّاً معصوماً، وإنما هو بشر يخطئ ويصيب، قد يقع في ذنب أو معصية لكنه سرعان ما يرجع إلى الله طالباً منه العفو والغفران، وأنه عندما يرتكب ذنباً -ولو كان صغيراً

جدّاً– فإنه يستشعر الخطر، فيؤنب نفسه ويعاتبها: كيف لي أن أتجرأ على معصية الله بعدما منّ عليّ بكل هذه النعم؟!.

أما ما قلته من أن ارتكابك لبعض الذنوب يدهور علاقتك بربك فهذا هو الخطر، فالفارق بين المؤمن والمنافق أن المؤمن إذا أذنب ذنباً في حق الله دفعه ذلك إلى المبادرة بالتوبة، وتحسين الصلة بالله، والإكثار من الاستغفار، كما أنه ينظر إلى ذنبه –ولو كان صغيراً– على أنه كالجبل على كاهله، أما المنافق فإنه ينظر إلى ذنبه –ولو كان عظيماً– على أنه كالذبابة التي وقفت على وجهه، فيهشها بيده!.

فإياك إياك أن تتدهور علاقتك بربك، وليكن استشعارك الخطر لارتكابك بعض الذنوب دافعاً لك لمزيد من الفرار إلى الله لا من الله، واحذر أن تطول بك مدة الفتور، فإنها تؤدي إلى الكسل عن الدعوة، ثم إلى التثاقل عن حمل مهامها، ثم إلى تركها والبعد عنها، ثم... ثم إلى القنوط من رحمة الله، وهذا ما يسعى الشيطان للوصول إليه، قال تعالى: ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّالُّونَ﴾ [الحجر: 56].

فاتقِ الله في نفسك ودينك ودعوتك، وشمّر عن ساعد الجد، وعُد إلى ربك، وخذ من معصيتك دافعاً لمزيد من الطاعة.

وختاماً فإن من الأخطاء الشائعة في عالم الدعوة إلى الله قول البعض ممن يستشعرون التقصير، أو يرتكبون بعض الذنوب الصغائر: إنني غير صالح لمواصلة الطريق، عليّ أن أتوقف لفترة حتى أصلح نفسي!.

وهذه هي بداية النهاية في حياة الدعاة، عندما تسوّل لهم نفوسهم أن انقطاعهم عن الدعوة سيصلح حالهم!.

فاعلم أخي حفظك الله أن الداعية يدعو إلى الله، وأن الله يكرمه بإصلاح حاله، فمثلاً لو كان هذا الداعية مقصراً في صلاة النوافل، أو مقصراً في ورده القرآني، فإنه عندما يذكِّر الناس بفضل وأجر النافلة، وعظيم الثواب المنتظر من المحافظة على الورد القرآني، فإنه -ولا شك- سيكون بعدها أشد حرصاً عليهما، أو هكذا يجب أن يكون.

نعم، الأصل أن الداعية يدعو الناس إلى ما يؤمن به، ويحافظ على فعله، لكنه أيضاً لا يحرم الأجر من الله إن ذكّر الناس بسنة، أو دعاهم إلى الحفاظ على نافلة أو فضيلة، ومن إكرام الله له أن يصلح له نفسه، وأن يرزقه الحفاظ على ما يدعو الناس إليه.

فامضِ في دعوتك، ولا تتوقف في الطريق، ولا تستسلم لنوازغ الشيطان، واجتهد في الاستغفار والتوبة، واعلم أن الله سيصلح لك قلبك، وسيعيد إلى إيمانك شبابه، فتوكل على الله تعالى.

نسأل الله تعالى أن يهديك إلى الخير، وأن يصرف عنك شياطين الإنس والجن، إنه سبحانه خير مأمول. وصلِّ اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

ويضيف الدكتور محمد الدرقاوي:

أرشدك أخي الكريم في مواجهة مشكلتك هذه إلى جملة أمور استعن بها بعد الله تعالى:

أولاً: احذر من تلبيس إبليس اللعين عليك؛ حيث يجعل إيمانك بالله ينقص، ويصيبك الفتور والقنوط، وتنقطع عن الدعوة إلى الله تعالى، فلا تيأس من رحمة الله وعفوه.

ثانياً: المؤمن قد يقع أحياناً في بعض الآثام -صغيرة كانت أو كبيرة- لكنه يفر إلى مولاه، ويتوب إليه، فيطهره تطهيراً، وانظر إلى معصية آدم ﷺ وتوبته السريعة إلى الله تعالى، فهو خير مثال وأوضح برهان لك ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: 37].

ثالثاً: يكفيك أن تعلم أن التوبة تمحو الذنوب وتطهر القلوب، حتى لا تقع فيما تقع فيه من قنوط وفتور واضطراب نفسي، فالله تعالى يقول: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: 53]، وقال ﷺ في الحديث الصحيح: «إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، حتى تطلع الشمس من مغربها» [رواه مسلم].

فأنصحك بالتوبة العاجلة إلى الله تعالى كلما أذنبت، فستجده سبحانه تواباً رحيماً.

رابعاً: شعورك بالذنب هو خصلة حميدة فيك، لكن لا تجعل أبداً هذا الشعور ينقلب إلى قنوط وفتور، فقد يؤول بك الأمر إلى ما هو أسوأ منهما لا قدر الله.

خامساً: كلما شعرت بالقنوط فأكثـرْ من تلاوة القرآن الكريم؛ ليطمئن قلبك ويسكن خاطرك، فصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿أَلاَ بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: 28].

سادساً: أكثرْ من الاستغفار والدعاء في السر والعلن.

ترك الدعوة للاصلاح.. فرار لا قرار

بسم الله الرحمن الرحيم، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

شيوخي الأفاضل، أساتذتي الأعزاء المشرفين على الموقع: جزاكم الله كل خير على هذا الموقع الرائع والممتاز.

أريد أن أستشيركم في أمر مهم في حياتي، ألا وهو أني كنت أدعو إلى الله بما تيسر لي من أمور (دروس، وخطب، ومحاضرات، وحضور في المجالس والندوات والمعارض والجنائز، ودعوة فردية... إلخ)، ورغم ذلك كنت دوما أحاول أن أصلح نفسي التي بين جنبي، ولكن الحقيقة التي وصلت إليها بعد معاناة كثيرة بعد سنين وسنين أني لست أهلا لذلك، وأريد أن أعتزل العمل وأكون جنديا في هذه الدعوة بعد أن كنت قائدا فيها، ويعلم الله أن دموعي هاطلة وأنا أكتب لكم هذه الرسالة.

لا أريد أن أكذب على نفسي، ولا على الآخرين، أما آن لي أن أستحيي من الله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا لمَ تَقُولُونَ مَا لاَ تَفعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتاً عندَ الله أَن تَقُولُوا مَا لَاَ تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: 2، 3]، ومن باب: "يا عيسى، إذا وعظت فعظ الناس، وإلا فاستحي مني"، وأنتم أعلم مني بذلك.

أما آن لي أن أتخذ القرار الأخير فأصلح فيما بقي لي من الأيام ما فرطت فيه سالفا، عسى الله أن يتجاوز عن سيئاتي، ويغفر لي ذنوبي، ويختم لي بعمل صالح ألقاه به، وبارك الله فيكم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

nacer- الجزائر

الرد

المستشار: الدكتور محمد محمود منصور

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وبعد:

فشكر الله لكم، وجزاكم خيرا كثيرا على حبكم لإسلامكم، وحرصكم عليه، وعملكم به وله.

أخي الحبيب:

الدعوة تربية للنفس، فإذا أردت أن تزكو بنفسك فادع غيرك؛ لأن مقومات تنمية النفس هي ذاتها مقومات الدعوة، فمن دعا وحقق في أثناء دعوته مقوماتها فهو تلقائيا يُصلح نفسه وينميها ويزكيها، هكذا بكل بساطة!.

أليست الدعوة إلى الله والإسلام تحتاج إلى تواصل مع الله، ودعائه وطلب عونه، كما يقول تعالى على لسان نبيه شعيب عليه السلام: ﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾ [الأعراف: 89].

وتحتاج إلى صحبة وتجمع كما يقول تعالى على لسان نبيه موسى عليه السلام: ﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَاناً فَأَرْسِلْهِ مَعِيَ رِدْءاً يُصَدِّقُنِي﴾ [القصص: 34].

وإلى إرادة وصبر كما يقول تعالى: ﴿فَلاَ يُنَازِعُنَّكَ فِي الأَمْرِ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَى هُدًى مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الحج: 67].

وإلى تمسك بالأخلاق واستقامة كما يقول تعالى: ﴿فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ [الشورى: 15].

وإلى تدرج وتيسير وأمل وتفاؤل كما يقول ﷺ: «يسروا ولا تعسروا، وبشروا ولا تنفروا» [أخرجه البخاري ومسلم].

وإلى استمرار وحرص كما يقول تعالى على لسان نبيه نوح ﷺ: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهَاراً﴾ [نوح: 5].

وإلى حكمة كما يقول تعالى: ﴿وَلاَ تَسُبُّواْ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّواْ اللَّهَ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: 108].

وإلى حوار كما يقول تعالى: ﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: 125].

وإلى شرح وتوضيح كما يقول تعالى: ﴿وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ﴾ [غافر: 41].

وإلى تشجيع وترغيب أكثر من الترهيب كما يقول تعالى على لسان نوح ﷺ: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً﴾ [نوح: 10]، ونحو ذلك من الاحتياجات.

أخي الحبيب:

كذلك النفس تحتاج إلى كل ما سبق تماما؛ فهي مدعو من المدعوين تحتاج إلى تواصل مع ربها كما يقول تعالى: ﴿وَلَوْلاَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَداً وَلَكِنَّ اللهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ﴾ [النور: 21].

وإلى تعلم للأخلاق الحسنة وتطبيقها كما يقول تعالى: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ﴾ [البقرة: 129].

وإلى إرادة لتقاوم الشيطان وتهزمه كما يقول تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا﴾ [الشمس: 9]، ويقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ [النور: 21].

وإلى شعائر تشحنها لتقوم هي بدفع الجسد نحو كل تصرف

حسن كما يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ﴾ [البقرة: 153].

وإلى إنفاق من المال ومن كل شيء؛ كوقت وجهد وفكر وغيره؛ حيث إن الإنفاق عموما سبب للتزكية كما يفهم من قوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ [التوبة: 103].

وإلى صحبة صالحة وأمل وتفاؤل وتشجيع وترغيب أكثر من الترهيب وقبله، وشرح وتوضيح لها، وحكمة وحوار معها، وتعقل وتفكر، وحرص واستمرار، وتدرج وتيسير، يقول الإمام ابن حجر العسقلاني في كتابه "فتح الباري" عند شرحه لحديث الرسول ﷺ لمعاذ بن جبل وأبي موسى الأشعري حين بعثهما إلى اليمن: «يسِّرا ولا تعسِّرا، وبشِّرا ولا تنفِّرا» [أخرجه البخاري]: "وكذلك الإنسان في تدريب نفسه على العمل، إذا صدقت إرادته لا يشدد عليها؛ بل يأخذها بالتدرج والتيسير، حتى إذا أنست بحالة ودامت عليها نقلها إلى حال آخر، وزاد عليها أكثر من الأول، حتى يصل إلى قدْر احتمالها، ولا يكلفها بما تعجز عنه".

فالخلاصة إذاً أنَّ الذي يدعو يفعل من الوسائل الدعوية لغيره ما هي نفسها وسائل تربوية لنفسه، فهو يدعو ويتربى.

أخي الحبيب، الذنب لا يمنع الدعوة، قال الإمام القرطبي في هذا المعنى عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران: 21]: "ليس من شرط الناهي أن يكون عدلا عند أهل السنة، خلافا للمبتدعة حيث تقول: لا يغيره إلا عدل، وهذا ساقط؛ لأن العدالة محصورة في القليل من الخلق، والأمر بالمعروف والنهي عن

المنكر جاء في الآية عاما في جميع الناس، أي يريد أن يقول: وهل يأمر الله تعالى بشيء لا يمكن إلا لقليل من الناس فقط أن يقدروا عليه ويفعلوه؟، ثم يقول في الآية: إن الأمر بالقسط على من يستطيع من الناس جميعا، فإن تشبثوا بقوله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾ [البقرة: 44]، وقوله: ﴿كَبُرَ مَقْتاً عِندَ اللهِ أَن تَقُولُوا مَا لاَ تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: 3]... ونحوه، قيل لهم: إنما وقع الذم هاهنا على ارتكاب ما نُهِيَ عنه لا على نهيه عن المنكر".

وقال الإمام ابن كثير مؤكدا هذا أيضا ومضيفا إليه عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾ [البقرة: 44]: "نبههم على خطئهم في حق أنفسهم؛ حيث كانوا يأمرون بالخير ولا يفعلونه، وليس المراد ذمهم على أمرهم بالبر مع تركهم له، فكلٌّ من الأمر بالمعروف، وفعله واجب، لا يسقط أحدهما بترك الآخر... وذهب بعضهم إلى أن مرتكب المعاصي لا ينهى غيره عنها، وهذا ضعيف، وأضعف منه تمسكهم بهذه الآية؛ فإنه لا حجة لهم فيها، والصحيح أنَّ العالِم يأمر بالمعروف وإن لم يفعله، وينهى عن المنكر وإن ارتكبه".

وذلك لأنه من البديهي ألا ينهى الله تعالى عن نشر الخير، وإنما الذي يُعقل أن ينهى عن معصية ناشره، فلينشره إذاً، وليمتنع في أثناء ذلك عن معصيته مع الوقت؛ إذ ليس بعاقل مَن يُدخِل الناس جميعا الجنة وينسى نفسه أن يُدخِلها معهم!.

ثم لو كان المطلوب من الآية الكريمة أن ينتظر الداعي حتى لا يكون فيه شيء من خطأ؛ فقد ينتظر طويلا حتى الموت، ولا يدعو أحدا؛ لأنَّ كل بشر مُعرَّض لأن يخطئ، والله يعلم عن خلقه هذا،

ويقبله منهم، ويعذرهم عليه، ويثيبهم على تصحيحه؛ لأنه خلقهم هكذا لينتفعوا من أخطائهم في مستقبلهم؛ فتقل تدريجيا وتنعدم؛ فيسعدون في الدارين، ولا يعد هذا أبدا -بأي حال- كذبا عليه سبحانه أو على النفس أو على الآخرين، أو انعدام حياء منه أو منهم، فمن استسلم لخطئه، ولم يعالجه سريعا كما هو مطلوب منه، وأعاقه عن دعوته، كان مخطئا بحق وبكل تأكيد.

يقول سعيد بن جبير ﷺ في ذلك: «لو كان المرء لا يأمر بالمعروف، ولا ينهى عن المنكر، حتى لا يكون فيه شيء، ما أمر أحد بمعروف، ولا نهى عن منكر» [أخرجه مالك]. وقال الإمام مالك تعليقا على القول: "صدق، من ذا الذي ليس فيه شيء؟!".

بل إن الدعوة -أخي الحبيب- تزيح الذنب وآثاره، ألم يقل الله تعالى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّـيِّئَاتِ﴾ [هود: 114]؟

وألم يقل الرسول ﷺ: «وأتبع السيئة الحسنة تمحها» [جزء من حديث أخرجه الترمذي]؟

وهل هناك حسنة أفضل وأعظم من الدعوة كما أكد ذلك سبحانه في قوله: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: 33]؟

فعليك أن تستفيد من الذنب إصرارا على عدم العودة له بعدما ذقت مراراته وتعاساته، وإصرارا على زيادة دعوتك لغيرك؛ حتى لا تعود أنت إليه، أو يصير هو إليه؛ لتسعدوا جميعا.

أخي الحبيب: تربية النفس سهلة، والدعوة تزيدها سهولة، لأن النفس أصلا عبارة عن مجموعة من الصفات الحسنة وضعها خالقها في جسد الإنسان من حبه له؛ لتؤهله وتحركه لحسن الانتفاع بالكون

حوله والسعادة فيه؛ كالحب والصدق والأمانة والتعاون والسعي وما شابه ذلك، وليس فيها من شر، كما يقول تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾ [الشمس: 7]. قال الإمام ابن كثير في تفسيرها: "خلقها سوية مستقيمة على الفطرة القويمة"، ويقول أيضا: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: 4]، وقال فيها الإمام القرطبي: "عبَّر بعض العلماء بقوله: إن الله خلق آدم على صورته؛ يعني: على صفاته"، وهل من صفات الرحمن الشر؟!.

وكما يؤكده أيضا قول الرسول ﷺ في الحديث المعروف: «إنما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق» [أخرجه مالك]، والذي يُفهم منه أن الأخلاق الطيبة موجودة أصلا من الخالق الودود الكريم، وما مهمة الرسل والدعاة إلا إظهارها وإنماؤها، وعلاج ما قد يطرأ عليها من شر ويَدخلها كاستثناء من البيئة حولها، إذا استجاب العقل الذي يحركها باختياره لوساوس الشيطان، كما يؤكد ذلك قوله ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة، وأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه» [أخرجه البخاري]، وهو مصداق لقوله تعالى: ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ﴾ [العنكبوت: 38].

إذاً فما معنى التربية إلا التنمية؛ أي: تنمية ما هو موجود بالفعل بدوام استخدامه، وحسن توجيهه، وإزالة ما قد يشوبه من سوء، والعودة به إلى الأصل بمقاومة ومنع اختراق وساوس الشيطان الذي خلقه سبحانه ليستفيد منه الإنسان بألا يستجيب لشره؛ فتقوى إرادته أكثر، فينطلق في الحياة ويستكشفها أكثر، ويسعد فيها أكثر، ثم يوم القيامة يسعد أكثر وأكثر إذا كان صاحب كل أعماله الحياتية بنوايا لآخرته.

إننا الآن في عصرنا -أخي الحبيب- نعتبر التربية صعبة، نعتبر الصدق والأمانة والوفاء والعدل والشورى وغيرها من أخلاق الإسلام الحسنة صعبة، رغم أن الله تعالى يقول: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر: 22]، وما ذلك إلا لأن الوسط حولنا أكثره بعيد عنها، لكن إن أصبح قريبا منها، وأصبح صادقا أمينا وفيا عادلا شوريا... إلخ، لكان تذكُّر وتمسُّك كل فرد بها سهلا ولا شك، وكانت التربية سهلة بكل بداهة، ولن يعود المجتمع لهذه الصفات إلا بالدعوة.

فالدعوة إذاً تُسهِّل التربية بطريق غير مباشر، ثم كيف لا تكون التربية سهلة والله تعالى معنا يؤيدنا كما يقول: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ [الحديد: 4]، والرسول ﷺ معنا بوصاياه يرشدنا كما يقول: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ» [جزء من حديث أخرجه الحاكم وغيره]، والفطرة والعقل معنا لتوجيهنا وتصحيحنا، والدعوة معنا تضمن سلامتنا؟!، إنه بذلك سيكون كيد الشيطان ضعيفا بكل تأكيد، ودون احتياج لقسَم.

أخي الحبيب، تمهَّل كثيرا قبل أن تأخذ قرارك؛ فهو ليس بقرار، وإنما هو فِرار.

إن القرار يعني أن يكون إيجابيا، بينما الفرار يكون سلبيا.

إن القرار يحقق مصلحة، بينما الفرار يحقق مفسدة.

إن القرار يعني الإقدام، بينما الفرار يعني التراجع.

إنه يعني النصر، بينما الآخر يعني الهزيمة.

إن ماء النهر إذا تحرَّك تجدَّد، بينما إذا ركن تعفن، فكن فيما بقي لك من عمر من أصحاب القرار لا الفرار؛ لتثاب لا لتأثم. وفقك الله وأعانك، ولا تنسنا من صالح دعائك.

بين الدعوة والعادة السرية.. هموم شبابية

بسم الله، أنا فرد من أفراد جماعة عاملة للإسلام، ولكني ابتليت بالعادة السرية في وقت من الأوقات قبل دخولي فيها، وأنا لا أستطيع أن أبوح بهذا لإخواني؛ نظرا لأنهم يحسنون الظن بي، ويؤملون فيَّ كثيراً، وقد حُمّلت مسؤولية أعتبرها حساسة، وأنا أخاف على دعوتي أن تفشل بسبب هذه المعصية البغيضة إلى قلبي، علما بأن هذه المعصية تؤرقني كثيرا، وأعتقد أنها أجهدتني وأمرضتني، فماذا أفعل بالله عليكم؟. أجيبوني بسرعة، جزاكم الله خيرا؛ فأنا في حيرة شديدة.

أبو عمر- مصر

الرد

المستشار: فريق الاستشارات الدعوية.

يقول الأستاذ وجيه كمال الدين زكي الباحث الشرعي والداعية المصري:

بسم الله الرحمن الرحيم، أحمد الله تعالى إليك أيها الأخ الحبيب الغيور على إسلامك ودعوتك، وأظنك -والله حسيبك- أنك مخلص، ومن أمارات إخلاصك سؤالك عما يتحرج غيرك من السؤال عنه؛ رغبة في صيانة نفسك ودينك ودعوتك؛ فأسأل الله أن يشملك برعايته ورحمته، وأن تنالك دعوة السيدة عائشة رضي الله عنها؛ حيث دعت بالرحمة لمن سأل ليتفقه في دينه، فقالت: «رحم الله نساء الأنصار؛ لم يمنعهن الحياء أن يسألن عن أمر دينهن» [التمهيد لابن عبد البر]؛ فأسأل الله تعالى أن يتغمدني وإياك برحمته.

بدايةً أحب أن أنبهك إلى أمر هام ذكرته في رسالتك؛ وهو عدم بوحك بما تراه معصية لغيرك، وهو أمر دعا إليه الشارع الحكيم، وبشر صاحبه بالعفو؛ فعن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كل أمتي معافى إلا المجاهرين، وإن من المجاهرة أن يعمل الرجل بالليل عملا ثم يصبح وقد ستره الله فيقول: يا فلان، عملت البارحة كذا وكذا، وقد بات يستره ربه، ويصبح يكشف ستر الله عنه» [أخرجه البخاري في صحيحه]؛ فحري بمن ضعفت نفسه فغلبته وعصى الله ﷻ أن يجاهدها ما استطاع، مع اتخاذ الوسائل المختلفة لقمعها، ولا يتحدث بأمره امتثالا للشارع الحكيم الذي أراد أن لا تهون المعاصي في نفوس الضعفاء؛ حينما يسهل الحديث عنها بذكر العاصين لمعصيتهم أمام الناس استهانة أو تفاخرا أو استسهالا... إلخ.

وتخيل لو جلس قدوة بالنسبة للناس في مجلس، فذكر أنه يفعل كذا وكذا، إذاً لاستهان الناس وفعلوا مثلما يفعل؛ فحمل وزره وأوزارهم ﴿لِيَحْمِلُواْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلاَ سَاء مَا يَزِرُونَ﴾ [النحل: 25].

ولذلك أخي الحبيب أبشرك بالبشرى الواردة في الحديث؛ وهي أن الله تعالى سيعافيك ما دمت ساترا لنفسك، عاملا على مجاهدتها ما استطعت.

العادة السرية في ميزان الفقه:

بالنسبة للعادة السرية وهي الاستمناء؛ فعامة العلماء على تحريمه، إلا أنه ليس هناك إجماع على ذلك، قال القرطبي: "أحمد بن حنبل على ورعه يجوزه" (الجامع لأحكام القرآن)، ومردّ هذا الكلام

أنه ليس هناك نص قاطع الدلالة على تحريم هذه العادة، وقد أخرج البيهقي عن أبي الزبير عن ابن عباس رضي الله عنهما: «أنَ غلاما أتاه، فجعل القوم يقومون والغلام جالس، فقال له بعض القوم: قم يا غلام، فقال ابن عباس رضي الله عنهما: دعوه، شيءٌ ما أجلسه، فلما خلا قال: يا ابن عباس، إني غلام شاب، أجد غلمة شديدة (هَيَجان شَهْوة النِّكاح من المرأة والرجُل وغَيرهما)، فأدلك ذَكَري حتى أنزل، فقال ابن عباس: خير من الزنا، ونكاحُ الأمة خير منه» [أخرجه البيهقي في سننه الكبرى]، وهو ما حدا بالبعض إلى الإفتاء بجواز ذلك.

وعدم الإجماع ينزل بالأمر من درجة المنكر (أي: الحرام) إلى المكروه.

ومع ذلك فلو قام الدليل على جوازها لكان ذو المروءة يعرض عنها لدناءتها، يقول القرطبي: "الاستمناء ضعيف في الدليل، عارٌ بالرجل الدنيء؛ فكيف بالرجل الكبير؟" [الجامع لأحكام القرآن].

ولذلك فإنني أرى أنه ينبغي الابتعاد عن هذا الأمر لعدة أشياء؛ منها:

1- أنه اتقاء للشبهات واستبراءً للدين والعِرض.

2- أنه أمر لا يليق بذي المروءة، فكيف بصاحب دعوة سامية أن يشغل نفسه بذلك؟!.

فلا يمنعك هذا الأمر من عملك الدعوي، فربما اشتبه على إنسان قول الله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: 44] فقعد عن العمل؛ لأنه يرى نفسه مقصرا في أمر ما، فيخاف أن يكون ممن يأمر الناس بالبر

وينسى نفسه؛ فيقعد، وهذه شبهة خطيرة تلتبس على بعض الدعاة، وربما أقعدتهم عن العمل.

وأنبه إلى أن فهم الآية بهذه الطريقة خاطئ؛ فاللوم في الآية على نسيان النفس لا على أمر الناس بالبر، وهذا إنكار على مَن يخالف فعلُه قولَه، وأمر الناس بالبر مطلب شرعي لا جدال فيه ﴿قُلْ هَـذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ [يوسف: 108]، والنبي ﷺ قال: «بلغوا عني ولو آية» [أخرجه البخاري]؛ فمن قعد عن العمل تحت هذه الشبهة فقد أضاف إلى تقصيره تقصيرا آخر؛ وهو القعود عن مطلب شرعي؛ وهو الدعوة إلى الله تعالى.

فأنصحك أخي الحبيب بالاستمرار في عملك ودعوتك، وعدم القعود بسبب ما تراه معصية، ولتحتسب عند الله تعالى أن يعينك الله على الانتهاء عما تفعل بما تقدم من عمل صالح، وذلك من قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْواهُمْ﴾ [محمد: 17]، والدعوة إلى دين الله تعالى هي نوع من الهداية، والهداية نوعان: هداية بيان، وهداية توفيق؛ فأنت حينما تبين للناس فأنت تلتمس الهداية بذلك، فلتحتسب عند الله تعالى زيادة الهدى بالانتهاء عن المعاصي، فلا تتوقف أخي عن دعوتك، والله يعينك، ولتعلُ بهمتك عن الدنايا.

وأقول لك أخي الحبيب: إن صاحب الدعوة إذا انشغل بدعوته فلن يبقى له وقت للمثيرات التي تدفعه للجوء إلى هذه العادة، ولذلك فمن وسائل العلاج من هذا الأمر الانشغال بفكرك وقلبك وعاطفتك في دعوتك، ولتتفكر في أحوال الأمة وما تتعرض له من نكبات، ولتتفكر في قوافل الشهداء ومنظر الدماء والأشلاء، وتذكر البؤساء من قومك وأصحاب النكبات، وماذا يجب عليك تجاههم.

أظن أنك لن تجد وقتا لتستمتع بما تفعل، وستندفع بكليتك إلى العمل لرفع هذه النكبات التي تحل بالأمة، وأنت قادر على ذلك إن شاء الله تعالى؛ فإخلاصك وسؤالك ينم عن رغبة عميقة وعزيمة قوية للتخلص من ذلك، والله يعينك.

وأقدم لك بعض المعينات الأخرى؛ مثل:

1- المسارعة بالزواج: فقد ذكر الرسول ﷺ أنه "أغض للبصر، وأحصن للفرج » [أخرجه البخاري].

2- الصحبة الصالحة وعدم الانفراد بالنفس كما أوصى بذلك الحبيب ﷺ: فـ«الشيطان مع الواحد، وهو من الاثنين أبعد» [أخرجه الحاكم في المستدرك]، وعن عطاء قال: «نهى رسول الله ﷺ أن يسافر الرجل وحده، وأن يبيت في بيت وحده» [أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه]، وعن أبي جعفر قال: «لا تبيتن في بيت وحدك؛ فإن الشيطان أشد ما يكون بك ولوعا» [أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه].

3- غض البصر: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [النور: 30]، والنظر هو البداية:

كل الحوادث مبداها من النظر ومعظم النار من مستصغر الشرر

كم نظرة فعلت في قلب صاحبها فعل السهام بلا قوس ولا وتر

وإذا تركت النظر أبدلك الله به إيمانا تجد حلاوته في قلبك، يعوضك عن هذه اللذة التي تجدها فيما تفعل، قال ﷺ: «النظرة سهم من سهام إبليس مسموم، من تركها مخافتي أبدلته إيمانا يجد حلاوته في قلبه» [أخرجه الطبراني في الكبير].

4- البعد عن المثيرات بكافة أنواعها.

5- الدعاء لله تعالى أن يعينك، وتذكر أن من تاقت نفسه إلى الزنا كان علاجه الدعاء؛ فقد «أتى رسولَ الله ﷺ غلامٌ شاب، فقال: يا رسول الله، ائذن لي في الزنى، فصاح به الناس، وقالوا: مه (اسم فعل أمر بمعنى اكففْ أو اسكتْ)، فقال النبي ﷺ: ذروه، ادن، فدنا حتى جلس بين يدي رسول الله ﷺ فقال: أتحبه لأمك؟، قال: لا، قال: فكذلك الناس لا يحبونه لأمهاتهم، أتحبه لابنتك؟، قال: لا، قال: وكذلك الناس لا يحبونه لبناتهم، أتحبه لأختك؟، قال: لا، قال: فكذلك الناس لا يحبونه لأخواتهم، أتحبه لعمتك؟، قال: لا، قال: فكذلك الناس لا يحبونه لعماتهم، أتحبه لخالتك؟، قال: لا، قال: وكذلك الناس لا يحبونه لخالاتهم، فاكره لهم ما تكره لنفسك، وأحب لهم ما تحب لنفسك، فقال: يا رسول الله، ادع الله أن يطهر قلبي، فوضع النبي ﷺ يده على صدره، فقال: اللهم اغفر ذنبه، وطهر قلبه، وحصن فرجه، قال: فلم يكن بعد ذلك يلتفت إلى شيء» [أخرجه أحمد في مسنده، والطبراني في الكبير، قال الهيثمي في مجمع الزوائد: إسناده حسن].

6- اشغل نفسك بما هو نافع مفيد كما ذكرت لك آنفا؛ فنفسك إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل، وفي النهاية أذكرك أخي الحبيب بأن صاحب الهم لا وقت لديه ليستمتع حتى بالحلال.

داعية بلا عمل.. أصلح ولا تتراجع

ما هو مصير من يدعو الناس إلى العمل الصالح ويتركه، وإلى ترك العمل الفاحش ويأتيه؟
وإذا أراد هذا الشخص أن يصحح وضعه مع الله، فهل يترك الدعوة إليه ويصحح نفسه أولا؟ أم ماذا يفعل؟

الرد

المستشار: الأستاذ همام عبد المعبود.

أخانا في الله؛ السلام عليك ورحمة الله وبركاته، وأهلا ومرحبا بك، وشكر الله لك ثقتك بإخوانك في شبكة "إسلام أون لاين.نت"، ونسأل الله ﷻ أن يجعلنا أهلا لهذه الثقة، وأن يتقبل منا أقوالنا وأعمالنا، وأن يجعلها خالصة لوجهه الكريم، وألا يجعل فيها لمخلوق حظا.. آمين، ثم أما بعد:

فسؤالك أخي الحبيب ذو شقين:

أولهما: حول (مصير من يدعو الناس إلى العمل الصالح ويتركه، وإلى ترك العمل الفاحش ويأتيه).

وثانيهما: (هل يترك هذا الداعية الدعوة حتى يصحح نفسه؟).

أما عن الجزء الأول فأقول لك أخي الحبيب: من عظمة ديننا الإسلامي الحنيف أنه لا يفصل بين الدنيا والدين، بل إنه يدعو إلى إصلاح الدنيا بالدين، فالإسلام نظام شامل يتناول مظاهر الحياة جميعا، والواجب على الدعاة إلى الله أن يكونوا قدوة للآخرين، فإذا دعوا الناس

إلى عمل صالح كانوا في مقدمة ركب العاملين، وإذا نهوا الناس عن منكر فأحرى بهم أن يكونوا في مقدمة المنتهين، فلا يليق بداعية إلى خيرٍ أن يتخلف عن فعله، كما لا يليق بناهٍ عن شر أن يكون من فاعليه.

وقد شدد سبحانه وتعالى على ذلك أيما تشديد فقال سبحانه محذرا الدعاة والهداة: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: 44]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لاَ تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتاً عِندَ اللهِ أَن تَقُولُوا مَا لاَ تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: 2،3].

فالداعية الذي يأمر الناس بالمعروف ولا يفعله، وينهى الناس عن المنكر وهو واقع فيه، يوضع كما في الحديث الصحيح يوم القيامة في النار، فتدور أمعاؤه كما يدور الحمار في الرحى، فيسأله أهل النار عن سر هلاكه وقد كان في الدنيا يدعوهم إلى المعروف وينهاهم عن المنكر، فيقول لهم: كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه، وأنهاكم عن المنكر وآتيه.

وقد صدق الشاعر حين قال:

يا أيها الرجل المعلم غيره ... هلا لنفسك كان ذا التعليم

تصف الدواء لذي السقام وذي ... كيما يصح به وأنت سقيم

ابدأ بنفسك فانهها عن غيها ... فإذا انتهت عنه فأنت حكيم

ونراك تصلح بالرشاد عقولنا ... أبدا وأنت من الرشاد عديم

فهناك يسمع ما تقول ويهتدى ... بالقول منك وينفع التعليم

لا تنه عن خلق وتأتي مثله ... عار عليك إذا فعلت عظيم

فليتق الله هذا الداعية، وليعد إلى صوابه ورشده، ولا يكونن خنجرا يطعن به أعداءُ الله دينَ الله، وإن لم يكن للإسلام فلا يكونن عليه، وإن لم ينفعه وينصره فلا يضره ويسيء إليه، ورحم الله من قال لجمع من الدعاة: "أيها الدعاة، اتقوا الله في دينكم ودعوتكم، واعلموا أن الناس يسمعونكم بأعينهم لا بآذانهم"، الله أكبر على هذا الفهم العالي، وليت دعاتنا اليوم يفهمون.

أما بخصوص الجزء الثاني من سؤالك، وهو: هل يترك مثل هذا الداعية الدعوة حتى يصلح نفسه؟، فأستعين بالله وأقول لك:

على الداعية أن يعلم أن الله ﷻ قد منّ عليه بنعم كثيرة، في مقدمتها نعمة الإسلام، ونعمة الالتزام، ثم أكرمه بأن اختاره للقيام بأشرف مهمة؛ ألا وهي مهمة "الدعوة إلى الله"، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: 33].

فليحمد هذا الداعية ربه على هذه النعم الكثيرة، وليؤد شكرها ليزيده الله من نعمه وفضله، قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: 7]، ومن أداء شكر هذه النعم أن يستمر في تبليغ دعوته سبحانه، وتعريف عباده عليه بإرشادهم لطريق طاعته، وتحذيرهم من مغبة معصيته.

وأن يحذر تلبيس إبليس، وليكن استشعاره لهذا الخطر دافعاً للمزيد من الفرار إلى الله بالاستمرار في الدعوة إليه، وليحذر أن تطول به مدة الفتور، فإنها تؤدي إلى الكسل عن الدعوة، ثم إلى التثاقل عن حمل مهامها، ثم إلى تركها والبعد عنها، ثم... ثم إلى القنوط من رحمة الله، وهذا ما يسعى الشيطان للوصول إليه، قال

تعالى: ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّالُّونَ﴾ [الحجر: 56]، فليتق هذا الداعية ربه في نفسه ودينه ودعوته، وليشمر عن ساعد الجد، وليعد إلى ربه، وليأخذ من تقصيره دافعاً لمزيد من الحركة وبذل الجهد.

واعلم أخي كريم أن من الأخطاء الشائعة في عالم الدعوة إلى الله قول البعض ممن يستشعرون التقصير أو يرتكبون بعض الذنوب الصغائر: "إنني غير صالح لمواصلة الطريق، عليّ أن أتوقف لفترة حتى أصلح نفسي"، وهذه يا أخي هي بداية النهاية في حياة الدعاة، عندما تسوّل لهم نفوسهم أن انقطاعهم عن الدعوة سيصلح حالهم!.

فاعلم أخي -حفظك الله- أن الداعية يدعو إلى الله، وأن الله يكرمه بإصلاح حاله، فمثلاً لو كان هذا الداعية مقصراً في صلاة النوافل، أو مقصراً في ورده القرآني، فإنه عندما يذكِّر الناس بفضل وأجر النافلة، وعظيم الثواب المنتظر من المحافظة على الورد القرآني، فإنه -ولا شك- سيكون بعدها أشد حرصاً عليهما، أو هكذا يجب أن يكون.

نعم، الأصل أن الداعية يدعو الناس إلى ما يؤمن به، ويحافظ على فعله، لكنه أيضاً لا يحرم الأجر من الله إن ذكّر الناس بسنة، أو دعاهم إلى الحفاظ على نافلة أو فضيلة، ومن إكرام الله له أن يصلح له نفسه، وأن يرزقه الحفاظ على ما يدعو الناس إليه.

وختاما.. ليمض هذا الداعية في دعوته، ولا يتوقف في الطريق، ولا يستسلم لنوازغ الشيطان، وليجتهد في الاستغفار والتوبة، وليعلم أن الله سيصلح له قلبه، وسيعيد إلى إيمانه شبابه، فليتوكل على الله تعالى.

نسأل الله تعالى أن يهدينا إلى الخير، وأن يصرف عنا شياطين الإنس والجن، إنه سبحانه خير مأمول. وصلِّ اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

أيها الدعاة.. منكم من يريد الدنيا

عمرو عبد الكريم

أقسم الله ﷻ بالنفس اللوامة، فقال: ﴿وَلاَ أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ [القيامة: 2]، وهو تعبير عن حركة نفس تخطئ فتلوم نفسها على خطئها.

وهذه الآية فيها معنيان:

الأول: عملية مراجعة ومحاسبة ولوم النفس على ما حدث، ويقسم الله بها؛ لأنها مستوى عظيم في وصول النفس الإنسانية إليه.

والثاني: لفظة "لوّامة" بالتشديد؛ أي: أن هذه النفس أصبح لها هذا الأمر خلقا وعادة وطبعا تطبعت عليه؛ بمعنى أن ممارسة النشاط أصبح مرتبطا بشكل عضوي بهذه العملية.

وعندما مدح الله نبيه أيوب قال عنه: ﴿نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص: 30]، أي: كثير الرجوع إلى الله، وكثيرا ما يحدثنا القرآن عن النفس الرجّاعة إلى الله في دعوته الناس للتوبة.

انظر كيف تكلم الله عن غزوة أحد بما يجلي الخطأ، ويكشف موطن الخلل، وكيف قال عن الصحابة: ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الأَخِرَةَ﴾ [آل عمرن: 152]، فقال ابن مسعود: ما كنت أظن أن أحدا من أصحاب محمد يريد الدنيا حتى نزلت هذه الآية.

لقد كان كثير من العاملين للإسلام يظنون أنهم لا يوجد فيهم من يريد الدنيا، وإذا كان في مجتمع الصحابة -وهو أنقى وأطهر مجتمع

شهدته البشرية أو "النموذج القرآني الفريد"- من يريد الدنيا، فما بالنا بغيرهم؟!.

إن النقد يبلور معرفتنا بذواتنا، وإن كثيراً من الأفكار تظل غائمة ما لم تتعرض للنقد والحوار، ثم إن النقد يوفر لنا بيانات كثيرة نحن في أمسّ الحاجة إليها؛ إذ إن الإنسان يحب الوضوح، ويحب العمل في أجوائه، والنقد من المصادر المهمة، كما أن النقد يؤسس نوعا من السلطة الأدبية التي يحتاج الإنسان إلى من يمارسها عليه؛ ليعوض بذلك ما لديه من ضعف في الحوافز على العمل، أو ليحجزه عن الكسل وسوء استغلال الوظيفة.

وفي ممارسة عملية النقد الذاتي إثراء للنقاش، وتمحيص للأفكار، وتبيان لإيجابيات وسلبيات كل رأي، كما أنها تساعد في عدم الانسياق العاطفي وراء رأي واحد.

إن النقد ملكة راقية جدا، والتقليد ملكة شائعة جدا؛ ولذلك نرى جمهور الناس يقبلون المبادئ كما تأتيهم على علاتها بمحض شيوعها أو عن طريق التربية، ومن هنا اشتراك السواد الأعظم من كل أمة وفي كل زمن في حد وسط من التصورات والمعقولات؛ فأشبه بعضهم بعضا شبها قويا كشبه الماء بالماء، انظر إلى قول مالك بن نبي عندما يقول: "إذا تصورنا فردين مختلفين في الوظيفة وفي الظروف الاجتماعية، ولكنهما ينتميان لمجتمع واحد؛ كطبيب إنجليزي وراعٍ إنجليزي، نجد أنهما يتميز سلوكهما إزاء مشكلات الحياة بتماثل معين في الرأي، يتجلى فيما يسمى بالثقافة الإنجليزية".

ونقد الآخرين أسهل من نقد النفس؛ لأن الإنسان حين ينقد نفسه يقوم بدور الحجر والنحات في آن واحد كما يقول عبد الكريم بكار،

ولقلة ممارسة النقد والمراجعة لدينا فإن قليلا من الأفكار التي لدينا يصمد إذا تناوله أي نقد سطحي.

ويقول بكار أيضا: "إن نقد الذات يمثل إحدى قمم الموضوعية؛ فهو إقرار ببشرية بني آدم التي لا تستطيع أن تخرج من دوائر الجهل والقصور والخطأ، إلا من عصم الله".

وفي هذا السياق يحدثنا الله تعالى عن أبينا آدم وأمنا حواء حين أكلا من الشجرة، وبدت لهما سوءاتهما، وعرفا الوقوع في المخالفة؛ فإنهما أسرعا إلى الإنابة قائلين: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: 23].

والتوبة لا تكون إلا بعد اكتشاف الخطأ، واكتشاف الخطأ لا يكون إلا بعد صحوة عقل أو صحوة ضمير، وكل منهما أمارة النضج والرقي، وهذه السنة التي سنّها أبونا آدم لنا ستظل خميرة يستنبت فيها الصالحون من أبنائه صنوفا من الأوبات والمراجعات.

وهذا موسى ﷺ يعترف بخطئه حين قتل القبطي نصرة للإسرائيلي، ويقول: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [القصص: 16]، وهذا يونس ﷺ يعلن بكلمات ملؤها الضراعة والثناء على الله سبحانه وتعالى: ﴿أَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: 78].

وأخيرا.. إن قضية النقد الذاتي من القضايا الخطيرة والحساسة؛ فوجودها ضروري للبقاء ضمن المسار الصحيح، ولرفع وتيرة العمل كلما أصابنا الكلل والملل، ولمحاصرة الأخطاء التي تحدث في أثناء التطبيق أو حتى أخطاء الفكرة ذاتها، وسيظل

نقد الذات مقياسا دقيقا للوعي بالذات، وللوعي بالماضي والحاضر والأمة (أو العمل الإصلاحي)، والذي يُحرَم منه يُحرَم من خير كثير.

سمعة ملتزم.. أخطأ فتوارى

السلام عليكم ورحمة الله، أكتب لكم ومعنويَّاتي في الحضيض، بل أنا في عذاب يمزِّقني كلَّ ثانية؛ بسبب الإثم الذي ارتكبته في حقِّ ديني ونفسي، وأنا الطالب الملتزم الملتَحي (24 سنة)، المحترم من طرف الناس صغيرهم وكبيرهم.
محنتي يا سادة تبتدئ بتعرُّفي على الإنترنت، فأعجبت به نظراً لما يتيحه من معارف وأخبار وعلوم بطريقة تكنولوجيَّة جذّابة، وأصبحت أتردَّد على إحدى قاعات الإنترنت، ونشأت معرفةٌ لا بأس بها بيني وبين صاحبها أثمرت بشرائي لجهاز كمبيوتر، استمرَّ تردُّدي على تلك القاعة، وفي إحدى المرَّات، وبينما أستعمل الإنترنت داخل القاعة المذكورة من خلال حاسوب معيَّن باعتباره هو الوحيد الذي يتيح الكتابة بالعربية، إلا أنه موضوع في مكان يصعب لمستعمل آخر الاطّلاع على ما أتصفّحه، ذهبت بالصدفة إلى صفحة العناوين، فوجدت عنواناً لموقع إباحيّ، فوسوس لي الشيطان، وسوَّلت لي نفسي تصفُّحه وتسجيل صور خليعة منه على القرص المرن "فلوبي Floppy"، بالإضافة إلى مواقع أخرى محترَمة، وبينما أنا كذلك قام أحد القائمين على تلك القاعة –وهو من معارف أخي، مراهقٌ عابثٌ (20 سنة)– بالتجسُّس عليَّ من خلال حاسوب آخر؛ ليطّلع على ما أتصفّحه، وهو لم يكتشف ذلك إلا بعد أن نادى زميله زعما بأن يأتي لمساعدته في إصلاح عطب بالحاسوب الذي هو فيه؛ حتى لا أكتشف الأمر، وقد تأكّد لي ذلك عند أداء الثمن، حيث سألني زميل أخي: "الاتّصال Connection جيِّدٌ اليوم، أليس كذلك؟ أجبت: نعم"، وسألته في نفس الوقت مستفهماً عمَّا بحاسوبه؟ وهل هو غير جيِّد؟ فأجابني ضاحكاً: "نعم، إنَّه أردأ جهاز"، استأذنت وانصرفت كذا يحكي صديقي،

ووصلت إلى المترل وأنا أكاد أموت من تأنيب الضمير، وقضيت الليلة كلّها وأنا في عذاب، وكسَّرت القرص المرن "الفلوبي" قبل أن أُدخله إلى حاسوبي النظيف.

حدث هذا منذ شهر تقريباً، يقول صديقي: والله إنّها لحظة ضعف؛ لأنّه لم يصلِّ العشاء في وقتها، ولأنّه زار تلك القاعة التي كان يعلم أنّه أصبح فيها قيّمون فاسدو الأخلاق ومن أبناء الحيّ، الآن سمعتي معرَّضةٌ للضياع؛ لأنّ زميل أخي أخبر أخي بالأمر، وهو أيضاً مراهقٌ عابثٌ "20 سنة"، ولطالما راهنت على نفسي كقدوة لهدايته، وكذا بعض أبناء الحيّ، الآن أنا في نظره أسوأ إنسان بعدما كان يحترمني، رغم أنّ علاقتنا كانت في أغلب الأحيان باردةً؛ نظراً لولعه بكلّ ما هو غربيّ، يسخر منّي كلّما نهيته عن تصرُّف ماسٍّ بالأخلاق ومناف للشرع، ومن دراستي، بل ومن صلاتي في بعض الأحيان، بل يقاطع كلّ مكان أتواجد فيه، ولا ينظر إليّ، وقال لي مرّةً: "لن يهتمَّ بك أحدٌ مستقبلا"، ووالداي يستنكران تعاملنا وحتى بعض الأقارب دون علم منهم بالسبب، وحتى أخي لا يستطيع مواجهتي أو مصارحتي بالسبب، ولكن يُلمِّح لي عرَضاً؛ لأنّ بعض أصدقائه يسخرون منّي أمامه.

الآن أنا حزين حزين، أبكي أحياناً في غرفتي، وأدعو الله بالصفح والستر، وأحافظ على صلواتي، وعاهدت الله على ألا أشاهد منظراً غير محتشم ما دمت حيّاً، وأتصدَّق بما لديّ، ولقد قاطعت تلك القاعة مستغلاً عدم حضور صاحبها لمساعدتي في تشغيل برنامج معيَّن بالمترل، وقاطعت قاعات الإنترنت بصفة عامَّة، غير أنّه أصبح يرى أنّ كلّ شيء قد انتهى، فالشرف هو كلّ شيء، وأنا فرَّطت فيه، وأسأت لنفسي ودِيني ولأسرتي، فأنا في حكم المنافق الفاسق، لقد أصبحت استنكف الكلام في الدين في حضور أخي، كما أصبحت أرى أنّ شهادة البكالوريوس التي سأحصل عليها -إن أنا تجهَّزت للامتحان- ليست ذات فائدة؛ لأنّ باعثي على

التفوُّق في الدراسة هو إظهار الشابِّ الملتزم بمظهر المتفوّق المجتهد، أمَّا الآن فإنَّ ثقتي بنفسي تنقص كلَّما التقيت بشخصٍ أعرفه، سواء من الذين وصلهم الخبر، حيث إن بعضهم ينظر إليه مشدوهاً بما سمع عنه، أو الذين يحسبونني على خيرٍ رغم أنِّي أحاول الظهور بمظهر طبيعيّ.
أنا متمسِّك بديني، وأملي في الله باقٍ، وفيكم، فماذا تقولون لي لمعالجة هذا الوضع الذي أنا فيه بالشكل الذي يُحفظ ما يمكن حفظه من سمعتي؟ فزميل أخي الذي تجسَّس عليَّ هو وصديقه عندما يرونني يطأطئون رءوسهم، هل أواجههم كحلٍّ حاسم؟
وفي الختام اسمحوا لي من فضلكم بهذا السؤال: هل مسموحٌ لي بالانضمام إلى جماعة إسلاميَّة للحصول على أصدقاء صالحين يعينونني على الالتزام، أم أنَّ انضمامي قد يلحق أذى بسمعة أيَّة جماعة أو حركة إسلاميَّة؟ ومن باب أولى أبتعد عنهم؛ حتى يبقوا دائماً بعيدين عن كلِّ شبهة، خاصَّةً أنَّ لهم شعبيَّةً كبيرةً في بلدي. أنا شاكرٌ لكم؛ وجوابكم مهمٌّ بالنسبة لي.

h– المغرب

الرد

المستشار: الأستاذ فتحي عبد الستار

أخي الحبيب، وجدت نفسي أعيد قراءة رسالتك مرَّاتٍ عديدةً، لأملأ نفسي بأريج المشاعر الصادقة التي كتبت بها هذه الرسالة، واستشعرت القول الوارد عن عمر ﷺ: "جالسوا التوابين، فإنَّهم أرقُّ أفئدة"، وهذا ما شعرته في ثنايا رسالتك.

كما لاحظت أنَّ حالةً من الرغبة في الهرب من واقعك ومن الموقف الذي تعرَّضت له تسيطر عليك، وقد أثَّرتْ عليك هذه الحالة

حتى في أسلوب كتابتك؛ حيث نوَّعت في حديثك بين استخدام ضمير المتكلِّم تتحدَّث به عن نفسك، وبين استخدام ضمير الغائب، وكأنَّك تتحدَّث عن شخصٍ آخر، تملَّكتك هذه الرغبة وأنت تبوح لنا بما في قلبك، كما تملَّكت روحك وملأت عليك حياتك.

أخي الحبيب، لن أناقش معك الذنب الذي اقترفته، فلا شكَّ أنَّه ذنب، ولكنِّي سأناقش معك ما بعد وقوعك في الذنب، ونظرتك للأمور بعدها.

وقبل أيِّ شيءٍ أهنِّئك، نعم أهنِّئك، فأنت إن كنت كذلك وكما حكيت، فأبشرْ، فنحسبك مؤمناً تقيّا، ليس بكلامي، ولكن بشهادة الله ﷻ، وبشهادة رسوله ﷺ، اسمع قول الله سبحانه وتعالى يتحدث عن المتَّقين فيقول: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُواْ أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُواْ اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَى مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ * أُوْلَـئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ [آل عمران: 135، 136].

ويقول ﷺ: «إنَّ المؤمن يرى ذنوبه كأنَّه قاعدٌ تحت جبلٍ يخاف أن يقع عليه، وإنَّ الفاجر يرى ذنوبه كذبابٍ مرَّ على أنفه، فقال به هكذا» [رواه البخاري].

وأظنُّ أنَّ هذا حالك أخي الحبيب، فقد ذكرتَ عدَّة مظاهر تبرز ندمك الشديد، وتوبتك من الذنب، وخوفك من الله، مثل قولك: إنَّك كسرت القرص المرن "الفلوبي" قبل فتحه، دليلٌ على مسارعتك بالتوبة وتذكُّرك لله، وقولك: "قضيت الليلة كلَّها في عذاب"، وقولك: "حزينٌ حزينٌ، أبكي أحياناً في غرفتي"، وقولك: "أدعو الله بالصفح

والستر"، وقولك: "أحافظ على صلواتي"، وقولك: "عاهدتُ الله على ألا أشاهد مظهراً خليعاً"، وعزمك على التصدُّق بما لديك.

وقد وعد الله ﷻ بقبول توبة التائبين، وغفران ذنوب المسيئين، وسبحانه لا يُخلف وعده، واستمع إلى بشرياته ﷻ لعباده التائبين: ﴿إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلاَ يُظْلَمُونَ شَيْئاً* جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيّاً* لاَ يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً إِلاَّ سَلاَماً وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيّاً* تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيّاً﴾ [مريم: 60-63]، و﴿إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللهُ غَفُوراً رَّحِيماً* وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللهِ مَتَاباً﴾ [الفرقان: 70،71].

واسمح لي يا أخي أن أهنئك تهنئةً ثانيةً على نفسك اللوَّامة التي استحقَّت أن يقسم الله ﷻ بها؛ لعِظَمِهَا ونُدرتها.

أخي الحبيب: إنَّ الله ﷻ الذي خلق الإنسان يعلم طبيعته ويعلم ضعفه، لذا قال النبيُّ ﷺ: «والذي نفسي بيده لو لم تُذنبوا لذهب الله بكم، ولجاء بقومٍ يذنبون، فيستغفرون الله، فيغفر لهم» [رواه مسلم]، أيُّ رحمةٍ هذه، وأيُّ فضل!.

أخي الحبيب، لا أرضى منك أبداً أن تكون معنويَّاتك في "الحضيض" كما تقول، ولا ينبغي لك أبداً العكوف على جَلْد ذاتك وتحقيرها؛ لأنَّها وقعت في ذنب.

نعم، أنت كما تقول: كنت "الطالب الملتزم الملتحي المحترم"، ولكنَّك لم تكن أبداً، ولن تكون "الملَك النبيَّ المرسل المعصوم"؛ أنت بشرٌ عاديٌّ من بني آدم ممَّن كُتب عليهم الجهل والخطأ والنسيان،

يقول ﷺ: «كلُّ بني آدم خطَّاء، وخير الخطَّائين التوَّابون» [رواه الترمذيّ بسندٍ حسن].

إنَّ مثلاً صادقاً يقول: "لكلِّ جوادٍ كبوة، ولكلِّ عالمٍ هفوة"، وأنا أقول لك: ولكلِّ متديِّنٍ ملتزمٍ سقطةٌ، ولتعلم أنَّك أنت وأمثالك من الشباب الملتزم هم مرمى الشيطان وهدفه الأوّل، والذي يسعى سعياً حثيثاً ويجهد جهداً جهيداً في إغوائهم، ويتحيَّن الفرص للمكر بهم، والإيقاع بهم في شباكه، فإن لم تكن أنت وأمثالك، فمن؟

أتوجَّه بك بعد ذلك أخي لجانبٍ آخر من الموضوع، وهو إحساسك بضياع سمعتك، وافتقاد هيبتك واحترامك أمام أخيك الذي "راهنت على نفسك كقدوةٍ له"، وأمام أبناء الحيّ، وحديثك عن هذا الذي ينظر إليك مشدوهاً كلَّما رآك، أنا معك في أنَّ هذا شيءٌ يحزن النفس عندما تشعر بانتقاص الآخرين لها، ونظرتهم إليها بعين الازدراء، ولكن ينبغي أن تواجه هذا الأمر سريعاً، وتنهيه مع نفسك أوَّلاً، ثمَّ مع هؤلاء، تسألني: كيف؟، أقول لك:

أولا: يجب أن تعلم أنَّك عبدٌ لله سبحانه وتعالى وحده، وهو وحده سبحانه وتعالى الذي يستحقُّ أن تراقبه، وتستحي أوَّلاً من نظره سبحانه إليك، إنَّك تعبده هو سبحانه ولا تعبد الناس، فأصلح ما بينك وبينه سبحانه وتعالى يصلح ما بينك وبين الناس، وتوجَّه إليه سبحانه وتعالى بالدعاء أن يُنسي الناس أخطاءك، ويصفِّي لك قلوبهم، واعلم أنَّك تتوب لله وليس لهم، ويهمُّك رضاه هو سبحانه، وليس رضا الناس.

ثانيا: لو أنَّ الأمر لا يتعدَّى مجرَّد النظرات، فلا تدع هذه النظرات تخترق نفسيَّتك وتؤثِّر فيها، بل واجهها بكلِّ شجاعةٍ وتجاهل

معانيها، وتكلَّم وتعامل بكلِّ ثقة، فإن تجاوزوا النظرات إلى التلميح بالكلام أو التصريح، فأخبرهم بما أخبرناك به؛ من سريان الجهل والخطأ والنسيان على كلِّ البشر، وأنَّه ليس هناك أحدٌ معصوم، وليس عيباً أن تقع في المعصية، ولكنَّ العيب هو الاستمرار في المعصية، وعدم التوبة والاستغفار منها.

ولعلَّ نظرات الناس إليك هذه مُجرَّد أوهامٍ سيطرت على عقلك لإحساسك بالخطأ والتقصير، فالإنسان المرتكب لخطأٍ أو جُرمٍ ما يشعر أنَّ الناس كلهم يعرفون خطأه وجُرمه، وربَّما يتخيَّل أنَّهم يشيرون إليه ويتكلَّمون عنه كلَّما وجدهم يتناجون فيما بينهم، كالمثل القائل: "كاد المريب يقول: خذوني".

إنَّ أكثر ما آلمني في كلامك هو قولك: "ثقتي بنفسي تنقص"، لا يا أخي، بل ينبغي أن تجعل من هذا الموقف لبِنَةً في طريق بناء نفسك وإصلاحها، ودرساً تستفيد منه في الآتي من أيامك، فاستعن بالله ولا تعجز.

ولأطمئنك أكثر أنقل إليك بعضاً من كلام الإمام الغزالي في الإحياء مختصرا، يقول رحمه الله: "وإنَّما يَعظُم الذنب في قلب المؤمن لعلمه بجلال الله، والتوبة عبارةٌ عن ندمٍ يورث عزماً وقصدا، وأمَّا الندم فهو توجُّع القلب عند شعوره بفوات المحبوب، وعلامته طول الحسرة والحزن وانسكاب الدمع وطول البكاء والفكر، فألم الندم كلَّما كان أشدَّ كان تكفير الذنوب به أرجى، فعلامة صحَّة الندم رقَّة القلب وغزارة الدمع، ومن علامته أن تتمكَّن مرارة تلك الذنوب في قلبه بدلاً عن حلاوتها، فيستبدل بالميل كراهيةً وبالرغبة نفرة، وأمَّا القصد الذي ينبعث منه وهو

إرادة التدارك فله تعلُّقٌ بالحال، وهو يُوجِب ترك كلِّ محظورٍ هو مُلابِسٌ له، وأداء كلِّ فرضٍ هو متوجِّهٌ عليه في الحال؛ وله تعلُّقٌ بالماضي وهو تدارك ما فرَّط، وبالمستقبل وهو دوام الطاعة ودوام ترك المعصية إلى الموت، وأمَّا العزم المرتبط بالاستقبال فهو أن يعقد مع الله عقداً مؤكَّداً ويعاهده بعهدٍ وثيقٍ أن لا يعود إلى تلك الذنوب ولا إلى أمثالها".

ولقد أشرتَ في رسالتك أخي إلى معرفتك بأسباب وقوعك في هذه الواقعة؛ مثل: ارتياد أماكن مشبوهة، يديرها أناسٌ على غير الجادَّة، كما أنَّك كنت وقتها مضيِّعاً للفريضة، فلم تصلِّ العشاء في وقتها ممَّا كان عوناً للشيطان عليك، فحاول تجنُّب هذه الأسباب مستقبلا، فابتعد عن تلك الأماكن، ولا تفتح للشيطان عليك باباً بتضييعك لفرائض الله ﷻ والخروج من ذمَّته وحمايته.

أمَّا بالنسبة لموضوع التحاقك بإحدى الجماعات العاملة للإسلام، وأنَّ وجودك بها من الممكن أن يلحق بها الشبهات، فهل يا أخي تظنُّ أنَّ كلَّ أعضاء هذه الجماعات أناسٌ معصومون ومُطهَّرون من الذنوب والمعاصي، لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون؟!.

إنَّ أصدق وصفٍ أعجبني لهذه الجماعات أنَّها كالمستشفيات التي يدخلها الناس للعلاج، ونحن نجد في المستشفى أنَّ عدد المرضى أكبر بكثيرٍ من عدد الأطباء، بل إنَّ الطبيب ربَّما يأتي عليه يومٌ ويمرض، ويحتاج لمن يعالجه، أليس كذلك؟

إنَّ العصمة ليست من شروط عضويَّة هذه الجماعات، ولو كانت كذلك فلن تجد من ينضمّ إليها، إنَّ فائدة هذه الجماعات –قبل

التعاون للعمل للإسلام- هو احتواء الفرد نفسه، وحمايته من الوقوع في براثن المعصية قدر الاستطاعة من قبيل: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً﴾ [الكهف:28].

إنَّ أفضل الخلق وهم صحابة رسول الله ﷺ الذين امتدحهم الله ﷻ في القرآن، وأثنى عليهم رسوله ﷺ، ورفع من شأنهم، منهم من ارتكب الكبائر، وليس الصغائر فقط، فلم يحُطَّ ذلك من قدرهم وكرامتهم، لا عند الله، ولا عند الرسول، ولا عند معاصريهم؛ لأنَّهم كان عندهم الفهم السليم، حتى من أساء الفهم فيهم سارع النبيُّ ﷺ على الفور بتصحيح هذا الفهم وردِّه إلى الصواب، فقد روى الإمام مسلم في صحيحه حادثة رجم المرأة التي زنت على عهد النبيِّ ﷺ، وفيها: «فحُفِر لها إلى صدرها، وأمر الناس فرجموها، فأقبل خالد بن الوليد بحجرٍ فرمى رأسها، فنضح الدمُ على وجه خالد، فسبَّها، فسمعه عليه الصلاة والسلام فقال: مهلاً يا خالد، فوالذي نفسي بيده، لقد تابت توبةً لو تابها صاحب مُكْسٍ لغُفِر له، ثمَّ أمر بها فصلَّى عليها، ثمَّ دُفنت»، وفي رواية: «لقد تابت توبةً لو قُسِمَت بين سبعين من أهل المدينة لوسعتهم، وهل وجدت توبةً أفضل من أن جادت بنفسها لله ﷻ».

وأخيرا أخي الحبيب أريد أن أهمس في أذنيك بنصيحةٍ هامَّة، وهي أنَّك يجب أن تحذر في المستقبل من الوقوع في مثل ما وقعت فيه؛ لأنَّ الناس ينظرون إلى أخطاء المتديِّنين والدعاة بعدساتٍ مكبِّرَة، وعادةً ما يحدث -بسبب سوء الفهم أو خبث القصد أحيانا- أن

يلصقوا تلك السقطات بكلِّ المتدينين، وبكلِّ الدعاة، ثمَّ تنسحب تدريجيّاً على الدين ذاته، ويكون السبب في هذا هو هذا المتديِّن أو الداعية الذي سمح لهم بأن يطَّلعوا على هَناته وسقطاته؛ ولذا كان رسل الله ﷺ وأنبياؤه يُختارون من أوساطٍ طاهرةٍ نقيَّة، لها ماضٍ ناصع البياض ومُشرِّف؛ حتى لا يجد أعداء الدعوة ما يشوِّهونها به من خلال ماضي هؤلاء أو واقعهم، وقد تجلَّى الدليل على ذلك واضحاً في شخص النبيِّ ﷺ؛ حيث كانت سيرته العطرة في قومه، وأخلاقيَّاته السامية قبل البعثة وبعدها، كانت حائط صدٍّ أمام هجمات أعداء الدعوة؛ حيث لم يجدوا ما ينفذوا منه لتشويه صورة الدعوة من خلال حاملها، انظر إلى الحوار الذي دار بين هرقل قيصر الروم وأبي سفيان بن حرب قبل إسلامه حين دعاه هرقل ليسأله عن النبيِّ ﷺ، فكان ممَّا قاله هرقل: «وسألتك: هل كنتم تتَّهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال، فزعمت أن لا، فعرفت أنَّه لم يكن ليدع الكذب على الناس، ويكذب على الله» [رواه البخاري].

همسةٌ أخرى أهمس بها إليك أخي: أرجو منك تخفيف الوطء قليلاً في تعاملك مع الناس، وفي نظرتك لهم، حيث لاحظت أنَّك ترميهم بأحكام على شاكلة: (مراهقٌ عابث)، و(قيِّمون فاسدو الأخلاق)... إلخ، ولعلَّ نظرتك هذه هي التي جعلت الناس يسارعون باتِّهامك، وينظرون إليك تلك النظرات التي أزعجتك، وجعلتك تظنّ أنَّ وقوعك في ذنبٍ هو نهاية الحياة. أخي، انظر إلى الجوانب الحسنة في الناس، وابحث عنها، ولن تعدمها، واعطف على أخطائهم، وارحم ضعفهم، بعدما جرَّبت بنفسك كم هي خادعةٌ وساوس الشياطين.

أخي الحبيب، ثق بنفسك، وتعلَّق بربِّك، وراقبه وحده، وهو سبحانه غافر الذنب وقابل التوب، ولتختر لك صحبةً حسنةً تصبر فيها نفسك، وتعمل من خلالها لدينك، تقبلَّ الله منّا ومنك. وتابعنا بأخبارك.

داعيةٌ علنا.. مخطئةٌ سرا

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، تخبرني أختي في الله وهي في قمَّة الحيرة: أعرف داعيةً تقيم الدروس والمواعظ، والنساء يتأثَّرن بها وبدعوتها، ولكن حين أجلس معها جلسةً خاصَّة أراها ترتكب معصيةً هي من أعظم المعاصي، فهي تغتاب الناس، بل وقد تغتاب والديها وتنتقدهما بشدَّةٍ أمام الناس دون احترامهما ولا توقيرهما!.
تتساءل أختي: كيف يمكن لإنسان أن يحقِّق إنجازات دعويَّة، وأن تسيل دموعه بغزارة بين يدي الله في الصلاةً –وهذان الأمران نعمةٌ عظيمةٌ لا يؤتاهما إلا إنسانٌ تقيٌّ– بينما هي ترتكب هذه المعاصي الشنيعة، ما تفسير ذلك؟

الرد

المستشار: فريق الاستشارات

تقول الدكتورة منى حداد:

أختي الكريمة، هنا تكمن المشكلة التي تعاني منها مجتمعاتنا الإسلاميّة، الدعاة ليسوا القدوة الصالحة، لهذا فهم يتركون الناس في بلبلةٍ فكريَّة، وحيرةٍ نفسيَّة.

في جلسات الدعوة يظهرون بصورةٍ إيمانيَّةٍ رائعة، وفي غيرها يمارسون المعاصي الشنيعة التي لا يمكن أن يتقبلَّها الناس؛ ليقينهم بأنَّها من الموبقات.

إنَّ الناس يراقبون في الداعية كلَّ تصرُّفاته، ولا يتقبَّلون بأن يمارس هذا الداعية اللمم، فكيف بالكبائر؟!.

إنَّ من أعطاه الله رقَّةً في القلب، ودمعاً في العين خشيةً منه تعالى، يجب أن يستشعر بأنَّ الله معه أينما كان في السرِّ والعلن، في المجالس الخاصَّة كما في المجالس العامَّة.

وإنَّ مَنْ منحه الله القدرة على التأثير في الناس وتحقيق إنجازاتٍ دعويَّة لا بدَّ له من مراجعة سلوكه يوميّاً وهو بين يدي الله، فيسأل نفسه ويحاسبها: ماذا ارتكب اليوم من الأخطاء، فكيف بالعيوب؟!.

أرى -أختي الكريمة- أن تنصحي هذه الداعية باستعمال أسلوبين للنصيحة:

أولهما: طرح المشكلة عليها أمام الملأ، كأن تُسأل: ما رأي الشريعة في كذا؟ أو ما حكم الإسلام فيمن تمارس الكبائر التالية؟ طبعاً دون الغمز بشخصها، ودون أن يكون للسائلة أيّ علاقةٍ شخصيَّةٍ بها؟

وثانيهما: مفاتحتها بشكلٍ مباشرٍ ودون تشهيرٍ بها؛ كي لا تُحرَج، ومكاشفتها بأنَّ ما تعمله من ذنوبٍ سيبطل كلَّ عملها إذا استمرَّت على هذا النحو من السلوك، وتذكيرها بأنَّ من نصَّب نفسه للناس إماماً فليبدأ بتعليم نفسه قبل غيره، ولَفْتها إلى ضرورة تهذيب نفسها قبل تهذيب الناس، ولا يغرَّنها أنَّ الناس تستمع إليها وتتأثَّر بها اليوم، فإنَّهم عندما يكتشفون هذا العقوق الذي تتَّصف به هذه الداعية فسيصابون بخيبة الأمل وسيُصدَمون بها، وربَّما بجميع الدعاة؛ لأنَّها تستهتر بكرامة والديها، وتعرِّض اسميهما للزراية والامتهان، وهما اللذان ربيَّاها وأحاطاها بكلِّ ألوان الرعاية والعناية، متناسيةً أو ناسيةً أنَّ الله تعالى قرن اسميهما باسمه في العديد من الآيات، كما قرن شكره بشكرهما ورضاه برضاهما.

أمَّا غيبتها للناس فربَّما كانت تقصد بذلك ضرب المثل في أثناء حديثها، وتوجيهها للاعتبار، شرط ألا تحدِّد أسماء هؤلاء، إلا إذا كان هؤلاء الناس من المجاهرين بمعاصيهم أو الفسقة، والعياذ بالله.

المهمّ يجب أن يدرك الجميع أنَّ في الدعاة أمراضاً أيضاً كغيرهم من الناس، وإن كنّا نتمنّى ألا نرى فيهم أيَّ عيب؛ كي يستطيعوا أن يكونوا المثل والمثال في نظرنا، وكي نتأسَّى بهم ونأخذ عنهم الكثير، ومن ثم تصل دعوتهم إلى قلوبنا صافيةً نقيَّةً لا تشوبها شائبة.

هذا ما تفضَّلت به الدكتورة منى من إجابة، وقد حدَّدتْ لك -أختي الكريمة- ما عليكنَّ عمله مع مثل هذه الداعية، ويبقى لي تعليقان:

الأوَّل: ما أشارت إليه الدكتورة منى في آخر حديثها من أنَّ على الجميع أن يدرك أنَّ الدعاة ليسوا ملائكةً منزلين من السماء، بل هم بشر، خرجوا من مجتمعاتهم بكلِّ ما فيها من حسناتٍ وسيِّئات، ومميِّزاتٍ وعيوب، ومن ثم فهم يخطئون.

ولست بالطبع هنا أؤيِّد أن يخطئ الدعاة، بل أشدِّد كثيراً على وجوب أن يكونوا حذرين في كلِّ تصرُّفاتهم وشئونهم، وأدعوهم أن يمتثلوا ما قاله إمام المدينة يحيى بن سعيد حين قال لإمام مصر الليث بن سعد، وقد أراد أن يفعل أمراً ليس بالذنب، ولكنَّه ينافي العزيمة: "يا إمام، لا تفعل، فإنَّك منظورٌ إليك"، وحبَّذا لو وضع الدعاة هذه القاعدة: "فإنَّك منظورٌ إليك" أمام أعينهم ليلَ نهار، داخل وخارج بيوتهم، إذاً لعصموا أنفسهم وعصمونا من كثيرٍ من المشاكل التي عانت منها بيوتهم أوَّلا، والمسلمون ثانياً في كلِّ مكان.

كما أدعو من يستمع إليهم ألا يفترض فيهم الكمال.

ويستتبع هذا مفهوم: "ألا تزر وازرةٌ وزر أخرى"، أي لا ينبغي بحالٍ أن نجعل تصرُّفاً خاطئاً من داعيةٍ مبرِّراً لنا كي نخطئ أو نتقاعس عن الدعوة؛ لأنَّ الله تعالى لن يسألنا إلا عمَّا فعلته أيدينا، ولن يحاسبنا إلا على ما طلبه منَّا، ومن ثم لا حجَّة لأحدٍ -أيّاً كان- على أحد.

هذه النقطة يجب أن تكون واضحةً جليَّة، فدعوا التقاعس، وابدءوا العمل.

الثاني: عانينا بشكلٍ واضحٍ من تقمُّص العديد من الدعاة لشخصيَّتين، ومن تمثيلهم لدورين، ولعلَّ هذا من أهمِّ أسباب ما ذكرتِ يا أختي الكريمة من سلوك هذه الداعية، فقد رأينا وسمعنا عن عددٍ من الدعاة يظهر أمام الناس بطريقة، ويتصرَّف حين يخلو بنفسه بطريقةٍ أخرى، ولا أتحدَّث هنا عن الذنوب والمعاصي، بل الأمر وصل إلى درجةٍ أدنى من ذلك، إذ دخلت فيه المباحات أيضا، فتراه لا يقوم بعمل مباحٍ ما أمام أخيه لأنَّه قد يقلِّل من قدره، ولكن يمارسه بينه وبين نفسه، وتراه يتصرَّف بلطفٍ ورقَّةٍ أمام الناس، ولكنَّه يكون جلفاً قاسياً مع أهله -كحال هذه الداعية- أو مع الجيران والأقارب، وتراه يدعو الناس إلى إتقان العمل وهو أوَّل المقصِّرين في عمله الوظيفيّ.

صورٌ كثيرةٌ شهدناها للأسف من حالة "انفصام الشخصيَّة الدعويَّة"، أرى أنَّ سببها الأوَّل أنَّنا لا نتعامل مع الله تعالى ولا نبتغيه، وإنَّما نبتغي الدنيا وحمد الناس، وهؤلاء جميعاً أذكِّرهم بحديث النبيِّ ﷺ الذي كلَّما قرأته أقف مع نفسي في خوفٍ ورعب، فعن أبي

هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ أوَّل الناس يُقضَى يوم القيامة عليه رجلٌ استشهد، فأُتي به، فعرَّفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت، قال: كذبت، ولكنَّك قاتلتَ لأن يقال جريء، فقد قيل، ثمَّ أُمِر به، فسُحِب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجلٌ تعلَّم العلم وعلَّمه، وقرأ القرآن، فأُتي به، فعرَّفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلَّمت العلم وعلَّمته، وقرأت فيك القرآن، قال: كذبت، ولكنَّك تعلَّمت العلم ليقال: عالم، وقرأت القرآن ليقال: هو قارئ، فقد قيل، ثمَّ أُمِر به، فسُحِب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجلٌ وسَّع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كلِّه، فأُتي به، فعرَّفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيلٍ تحبُّ أن يُنفَق فيها إلا أنفقت فيها لك، قال: كذبت، ولكنَّك فعلت ليقال: هو جواد، فقد قيل، ثمَّ أُمِر به، فسُحِب على وجهه، ثمَّ أُلقي في النار» [رواه مسلم].

وأخيرا، أجدني ملزَماً بأن أذكِّر الجميع بأن الله لن يسألنا إلا عن فعلنا، ولن يعذر أحداً منَّا تقاعس غيره أو فعله الخطأ، فهل وعينا وفهمنا وعملنا؟

العقيدة والسلوك.. الفصام النّكِد

بعد التحية، سؤالي هو: كيف يقدِر المرء أن ينتقل من مرحلة الانفصال الذي يعيشه بين عقيدته وسلوكه إلى مرحلة تصديق السلوك لما يقرُّ في القلب؟

المهدي– المغرب

الرد

المستشار: الدكتور كمال المصري

أخي الحبيب المهدي، جعلك الله تعالى هادياً مهديّاً، آمين يا ربَّنا الكريم، فما لنا من غايةٍ غير رضاك؛ حيث نُسلِم عند لقاك الرحال، ونُلقِي لديك عناء المسير.

ما سألته يا أخي الحبيب هو أمرٌ عظيم، والحديث فيه ليس بالهيِّن، ليس لأنَّه صعب الفهم، وإنَّما لأنَّه صعب المنال، فدائماً ما تكون الأفكار والنظريَّات برّاقةً جذابةً بهيَّة، غير أنَّ واقعها عادةً لا يكون كذلك، وهذا لأسبابٍ كثيرةٍ عديدة.

أمَّا عندما نتحدَّث تخصيصاً في مسألة منهج الله تعالى "الإسلام"، فيغدو الأمر أيسر وأصعب في نفس الوقت، أيسر لأنَّ تيسير الله تعالى سيكون مع من يلتزم المنهج الصحيح الكامل، وأصعب جدّاً حين لا يلتزم الناس بتكامليَّة الإسلام؛ لأنَّه دينٌ مترابطٌ قويٌّ يشدُّ بعضه بعضاً، فحينئذٍ يصبح من العسير أن تختزله أو تجتزئ منه شيئاً.

دعْنا من العموميَّات، ولنكن أكثر تحديداً:

مشكلة هذا الانفصال العقديّ السلوكيّ منشؤها في الحقيقة ثلاث مشكلات:

- مشكلةٌ في الفهم.
- مشكلةٌ في الروافد إلى القلب.
- مشكلةٌ في التطبيق.

مشكلةٌ في الفهم:

هذه المشكلة أظهرها بجلاءٍ الفاروق ﷺ في موقفين من مواقفه الرائعة:

الموقف الأوَّل: الفاروق والحجر الأسود:

عن عابس بن ربيعة، عن عمر ﷺ «أنَّه جاء إلى الحَجَر الأسود فقبَّله، فقال: إنِّي أعلم أنَّك حجر، لا تضرُّ ولا تنفع، ولولا أنِّي رأيتُ النبيَّ ﷺ يقبِّلك ما قبَّلتك» [رواه البخاريُّ ومسلم].

قال الإمام الطبريّ: "إنَّما قال ذلك عمر لأنَّ الناس كانوا حديثي عهدٍ بعبادة الأصنام، فخشي عمر أن يظنَّ الجُهَّال أنَّ استلام الحَجَر من باب تعظيم بعض الأحجار كما كانت العرب تفعل في الجاهليَّة، فأراد عمر أن يُعلِّم الناس أنَّ استلامه اتِّباعٌ لفعل رسول الله ﷺ، لا لأنَّ الحجر ينفع ويضرُّ بذاته، كما كانت الجاهليَّة تعتقده في الأوثان".

الموقف الثاني: الفاروق مع المادح:

جاء في المواعظ للعسكري أن رجلا قال لعمر ﷺ: إنَّ فلاناً رجل صِدق، فقال له: هل سافرت معه؟، قال: لا، قال: فهل كانت بينك وبينه معاملة؟، قال: لا، قال: فهل ائتمنته على شيء؟، قال: لا،

قال: فأنت الذي لا علم لك به، أراك رأيته يرفع رأسه ويخفضه في المسجد!.

لقد عانى المسلمون من طغيان رهبانيَّة النصارى على فهم المسلمين لدينهم، فأراحوا عقولهم من التفكير فيه، وحكموا على الناس بمنطق الرهبانيَّة هذا، ولم يكن الإسلام يوماً ديناً يمنع الفكر، ويدعو للرهبنة.

الإسلام دينٌ أمر العقل بأن يفكِّر، ونهى عن تقييم الأشخاص بمدى ما يُظهرونه من رهبنة.

هذه المشكلة في الفهم هي التي أوجدت فصاماً بين ما يعتقده العديد من المسلمين، وبين ما يمارسونه؛ إذ فهمهم لدينهم هو ما يعتقدون لا ما يمارسون.

مشكلةٌ في الروافد إلى القلب:

تأسيساً على نفس المنطق الخاطئ في الفهم، نشأ منطقٌ خاطئٌ في استقاء الإيمان، انبنى على أنَّ رافد الإيمان هو هذه الرهبنة، هو العبادات من صلاةٍ وصيامٍ وقيام ليلٍ وغيرها من الطاعات فقط، ونسي المسلمون ركناً أساسيًا ورافداً قويًا يجب أن يستقوا منه إيمانهم وتقواهم وقربهم من الله تعالى.

هذا الرافد هو "المعاملة"، فكما أن الدين العبادة، فالدين المعاملة كذلك، وإلا فماذا نفعل بهذا التراث الضخم الذي أتانا من ديننا، وكلّه مبنيّ على المعاملة والسلوك لا على العبادة والصلاة.

عندما يصف ربُّنا سبحانه رسوله ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: 4]، ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ

﴿الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: 159]، ويحثُّنا رسولنا ﷺ بفعله على حسن الخلق، كما وصفه عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: لم يكن رسول الله فاحشاً ولا متفحّشاً، وإنّه كان يقول: «إنَّ خياركم أحاسنكم أخلاقاً» [رواه البخاري].

حينما أسمع رسول الله ﷺ يقول: «تبسُّمك في وجه أخيك لك صدقةٌ، وأمرك بالمعروف ونهيُك عن المنكر صدقة، وإرشادك الرجل في أرض الضلالة لك صدقة، وبصرك للرجل الرديء البصر لك صدقة، وإماطتك الحَجَر والشوكة والعظم عن الطريق لك صدقة، وإفراغك من دَلْوِك في دلو أخيك لك صدقة» [رواه الترمذيّ بسندٍ حسن].

وعندما يحكي ﷺ: «بينما رجل يمشي بطريق وجد غُصْنَ شَوْك على الطريق، فأخَّرَه، فشكر الله له، فغفر له» [رواه البخاري].

وعندما يأمرُنا ﷺ بالسماحة: «رحم الله رجلاً سمحاً إذا باع، وإذا اشترى، وإذا اقتضى» [رواه البخاريّ]، ويصف المنافق بـــ«آية المنافق ثلاث: إذا حدَّث كذب، وإذا وَعَد أخلف، وإذا اؤتمن خان» [رواه البخاريّ].

هذا كلّه من الأوامر والفضائل "المعاملاتيَّة"، هل هي لمجرَّد العلم، أم هي للممارسة أيضاً؟ وهل لها إذا ما طبقناها علاقةٌ بزيادة الإيمان في قلوبنا أم لا؟

لو كانت ليست لها علاقةٌ بالإيمان، فمعذرة ما فائدتها؟ ولماذا وردت؟ ولماذا حثَّ ديننا عليها وأمر بها؟

لن يغفر الله تعالى لرجلٍ لم يزد الإيمان في قلبه حين رَفَع الأذى عن طريق الناس، ولن يرحم ربُّنا تعالى رجلاً لم يتسامح في

حياته إلا إذا كان هذا التسامح هو إيمانا ينغرس في القلب، ولن تنهال الصدقات على المسلم حين يساعد غيره، فيرشد الضالّ، ويبصر لضعيف البصر، ويتبسَّم في وجه إخوانه، لن تصله هذه الصدقات إلا لوقعها الإيمانيّ عليه.

نقص هذا الرافد "المعاملاتيّ" في قلوب المسلمين أوجد عندهم انفصاماً آخر، فعاشوا في انفصال بين حياتهم "العباديَّة" مع ربِّهم، وحياتهم "المعاملاتيَّة" مع بني البشر.

مشكلةٌ في التطبيق:

المشكلتان السابقتان أنتجتا واقعاً تطبيقيّا لا يتَّفق بشيءٍ مع الإسلام.

أصبح مفهوم "الصلاح" عندنا هو في مدى التزامنا في صلاتنا، وصيامنا، وتلاوتنا للقرآن الكريم فقط.

وغدا القُرب من الله تعالى يكون عبر قيام الليل، وكثرة السجود فحسب.

أمَّا التطبيق، أمَّا الالتزام، أمَّا إتقان العمل، أمَّا حُسْن الخلق، أمَّا مساعدة الآخرين، أمَّا حُسْن المعاملة، أمَّا...، أمَّا... إلخ من الممارسات مع البشر؛ فهذه كلُّها لا شأن لها بالله تعالى، وليست ثمَّة علاقةٌ بينها وبين الإيمان.

التطبيق خلاصته: "أن إيمانك هو علاقتك بربِّك في عباداتك، أمَّا خلق الله تعالى فليذهبوا هم وحقوقهم إلى الجحيم"، وقانونه: "كُنْ رجلاً قوَّاماً بكَّاءً، ثمَّ أهمِل في عملك، وكن غليظاً فظّا مع الناس كما تشاء".

وكم رأينا من هؤلاء الذين من هذه النوعيَّة -للأسف- التزاماً في الملبس وفي العبادة، وتقصيراً وغلظةً لا مثيل لهما مع البشر.

هذا الفصام الناتج من مشكلات ثلاثٍ بُنِيتْ بعضها على بعض هو الذي أنتج الانفصال بين العقيدة والسلوك.

إنَّ عقيدتنا وعبادتنا وأخلاقنا وممارساتنا لتخرج من مشكاة واحدةٍ لا انفصام بينها، فحين تتبنى أفهامنا على أنَّ ديننا عقيدةٌ ومعاملة، وحين ندرك أنَّ روافد الإيمان إلى قلوبنا رافدان: عباديّ ومعاملاتيّ، وحين نتعلَّم كيف نحوِّل زيادة قربنا من ربِّنا سبحانه إلى زيادةٍ في إتقان العمل وإجادته، وإكثارٍ من حُسن الخلق وحُسن المعاملة مع خلق الله تعالى، حين نفعل كلَّ ذلك يختفي الانفصال والانفصام من حياتنا.

الأمر يسيرٌ حين نفهم ديننا كاملاً، عسيرٌ صعبٌ حين نمارس الفصام النكِد.

هذا ما ارتأيته أخي الحبيب المهدي، غفر الله تعالى لي ولك ولجميع المسلمين، وعفا عنَّا جميعاً ورضي.

الفصل الثاني

الشيزوفرينيا مع الدعوة

تتمثل مظاهر الشيزوفرينيا مع الدعوة في الأساليب الدعوية الخاطئة التي يتبعها الداعية؛ فتأتي بنتيجة عكسية على الداعية، وعلى الدعوة، وعلى المدعوين؛ فالداعية طبيب للقلوب يتعامل مع أمراض يصعب تشخيصها؛ ولذلك فمهمته أصعب من مهمة طبيب الأبدان الذي يتعامل مع أمراض يسهل تشخيصها غالبا بالفحص المباشر.

ولذلك فهناك مهارات وفنون دعوية لا بد أن تتوافر فيمن يسير في ركاب الدعوة، وإذا اختلت هذه المهارات والفنون فحينها يحدث الانفصام النكد بين الداعية ودعوته.

ومن مظاهر هذا الانفصام: الغلظة على المدعوين، والشدة عليهم، والفظاظة في التعامل معهم؛ فهذه أخلاق طاردة وليست جاذبة كما يقول الدكتور يوسف القرضاوي.

ومن هذه المظاهر ما يعتري الداعية من تقصير وفتور تجاه دعوته؛ فبعض الدعاة يبدءون دعوتهم بهمة عالية وعزيمة قوية، ولكن مع مرور الزمن يصيبهم الفتور ويقصرون في دعوتهم، بل وربما يتوقفون عنها.

ومن الأخطاء التي يقع فيها بعض قادة العمل الدعوي أن يبدءوا مع الأفراد، ثم يتركوهم ويتخلوا عنهم في منتصف الطريق قبل أن يشتد عودهم، ويصلب ظهرهم لاستكمال الطريق.

ومن مظاهر الانفصام عند بعض الدعاة ضيق الأفق وحصر أنفسهم في شرنقة ضيقة جدا، متغافلين عن هذا الكون الفسيح حولهم -كما عبر أحد السائلين- فيقصرون دعوتهم على مكان واحد، أو وسيلة دعوية واحدة، أو هم دعوي واحد.

وفي الصفحات التالية نتعرف على هذه الأمور بشيء من التفصيل.

كيف تنفر الناس من الإسلام؟!

د. يوسف القرضاوي

من مظاهر التبشير المطلوبة من الدعاة التدرج بالناس في الدعوة والتعليم، فلا يطلبون من الإنسان حديث العهد بالإسلام ما يطلبونه من المسلم الذي ولد في الإسلام، ونشأ عليه، وتربى في أحضانه، وورث ثقافته وتقاليده من أسرته ومجتمعه.

ومن ثَم يكون من الخطأ أن يُطالَب هذا بأداء الفرائض والسنن والنوافل، وأن نطالبه باجتناب المحرمات والشبهات والمكروهات، وأن نشدد عليه في ذلك، كما نشدد على المسلم الملتزم الذي ارتقى في درجات الخير، وأصبح أسوة للناس.

وقد عبت على إخواني في اليابان أنهم حين يعلّمون الداخلين في الإسلام يثقلونهم بتفصيلات الأحكام، ويشغلونهم بالواجبات والتطوعات، حتى قالوا لي: إن اليابانيين لا ينتشر الإسلام بينهم؛ لأنهم يقولون: إن دينكم كثير التكاليف.

قلت لهم: أنتم السبب، وطريقتكم في التعليم هي التي تنفر ولا تبشر.

المفروض فيمن يعلم الداخلين الجدد في الإسلام أن يقتصر في المأمورات على الفرائض الأساسية، ويقتصر في المنهيات على المحرمات القطعية، لا على الشبهات، ولا على المكروهات.

بل أقول: يجب التركيز أولاً على اجتناب الكبائر، فإن الصغائر تكفرها الصلوات الخمس، وصلاة الجمعة، وصيام رمضان وقيامه،

كما جاء في الحديث الصحيح: «الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان، مكفرات ما بينهما إذا اجتنبت الكبائر» [أخرجه مسلم والبيهقي واللفظ للبيهقي].

وفي الصحيحين: «أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات، فهل يبقى على بدنه من درنه شيء؟، فذلك مثل الصلوات الخمس، يمحو الله بهن الخطايا»، والمراد بها: صغائر الخطايا، فإن الكبائر لا تكفرها إلا التوبة.

يؤكد هذا ما جاء في كتاب الله: ﴿وَأَقِمِ الصَّلاَةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفاً مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّـيِّئَاتِ﴾ [هود: 114].

وفي الصحيحين: «من صام رمضان إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدم من ذنبه، ومن قام رمضان إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدم من ذنبه».

وفي الصحيح أيضاً: «العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما».

بل قرر القرآن الكريم أن مجرد اجتناب الكبائر يكفر الصغائر، وهذا إذا اجتُنبت الكبيرة تديناً وخشية من الله تعالى، لا عجزاً عنها، وهو حريص عليها راغب فيها، يقول تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلاً كَرِيماً﴾ [النساء: 31].

ومثل الرفق بحديث العهد بالإسلام والتيسير عليه التيسير على حديث العهد بالتوبة، فإذا عاش الإنسان عمراً في أوحال المعصية، ثم شرح الله صدره للتوبة، وهداه إلى طريق الاستقامة، فالواجب أن نترفق به، ونعتبر كأنه دخل الإسلام من جديد، ونأخذ بالأخف من الأعمال، والأيسر من الأحكام؛ حتى ترسخ قدمه، وتمتد جذوره في أرض الصلاح والتقى، ثم بعد ذلك نرقى به شيئاً فشيئاً، بل هو في

الواقع هو الذي سيجتهد أن يترقى، فإذا كان في أول الأمر يكتفي بالفرائض فسيحاول أن يضيف إليها السنن أو بعضها في أول الأمر، وكذلك إذا كان يكتفي باجتناب الكبائر فسيجتهد أن يضم إليها الصغائر، بل يترقى فيها بعد ذلك، حتى تبقى الشبهات، ومن اتقى الشبهات، فقد استبرأ لدينه وعرضه.

وهكذا ندع هذا المسلم يروض نفسه ويجاهدها، ويرقى بها من منزلة إلى منزلة، حتى يصل إلى درجة المتقين الذين ورد فيهم الحديث: «لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذرا مما به بأس» [رواه الطبراني في المعجم الكبير].

ولقد أسفت غاية الأسف حين وجدت بعض الإخوة الدعاة يذهبون إلى بلاد عاشت في الشيوعية نصف قرن أو أكثر، وولد شبابها وبناتها في هذا الجو الملحد الكافر، وقد جُهِّلوا بالإسلام، وعزلوا عنه تماماً، ولم يتح لهم أن يتعرفوا عليه قط، كل ما يربطهم بالإسلام هو الشهادتان، وعاطفة موروثة نحو هذا الدين، فرأيت هؤلاء الإخوة يبدءون مع هؤلاء الناس من رجال ونساء بالأمور المختلف فيها، ويلزمونهم بمذهبهم وطريقتهم، ويوجبون على الرجل أن يلتحي، وعلى المرأة أن تلبس النقاب!.

إن منكم منفرين:

ومن أسباب التنفير: الفظاظة والغلظة والخشونة في التعامل مع الناس، فإن حسن الخلق والرفق ولين الجانب وبشاشة الوجه تحبب صاحب الدعوة إلى الناس وتقربهم منه، بخلاف الغلظة والعنف والخشونة، فإن الناس لا يطيقون من كانت هذه أخلاقه، فهي أخلاق طاردة، وليست جاذبة، كما هو مشاهد ومعلوم.

والقرآن الكريم يقرر ذلك بوضوح، فقد خاطب الرسول ﷺ بقوله: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: 159]، هذا مع أنه المرسل إليهم من الله، والمؤيد بوحيه، والمعصوم من ربه، ولكن البشر لا يطيقون بطبيعتهم مصاحبة الفظ والغليظ، ولو كان هو الرسول المعصوم، فكفى بهذا عبرة ودرساً.

ولا غرو أن وجدناه ﷺ أحسن الناس خُلقاً، وأكثر الناس رفقاً، وألطف الناس عِشرة، وأقرب الناس إلى العفو عن المسيء، والصفح عمن هفا وزلت قدمه، وقد قال تعالى في وصفه: ﴿لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: 128].

سوء المظهر من المنفرات:

ومن أسباب التنفير: سوء المظهر في الصورة واللباس والسمت، وهو ما يعطي انطباعاً لدى جمهور الناس –وخصوصاً العصريين منهم– بأن هذا الشخص متخلف، أو يعيش خارج دائرة العصر.

ولقد كان الرسول ﷺ حريصاً على أن يرقى بذوق أصحابه في سمتهم ومظهرهم، كما يرقى بهم في مخبرهم،

ولقد قال يوماً لأصحابه: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر، فقال رجل: يا رسول الله، إني رجل أولعت بالجمال في كل شيء، حتى ما أحب أن يفوقني أحد بشراك نعل، فهل هذا من الكبر؟، فقال ﷺ: إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق، وغمط الناس» [رواه الترمذي].

وما أروعها وأصدقها عبارة: إن الله جميل يحب الجمال.

صورة جاذبة وصورة طاردة:

وأهم من ذلك كله الصورة التي يقدم بها الإسلام للناس، فهناك صورة جاذبة، وصورة طاردة، صورة مبشرة، وصورة منفرة، وإنما نكسب من حولنا بالصورة المبشرة.

هناك أناس يقدّمون الإسلام في صورة تقشعر من هولها الجلود، وترتعد من قساوتها الفرائص، وتوجل من ذكرها القلوب.

إنه الإسلام الذي يدعو إلى "اللفظية" في العقيدة، و"الشكلية" في العبادة، و"السلبية" في السلوك، و"السطحية" في التفكير، و"الحرفية" في التفسير، و"الظاهرية" في الفقه، و"المظهرية" في الحياة.

إنه الإسلام المقطب الوجه العبوس القمطرير الذي لا يعرف غير العنف في الدعوة، والخشونة في المجادلة، والغلظة في التعامل، والفظاظة في الأسلوب.

إنه الإسلام الجامد كالصخر الذي لا يعرف تعدد الآراء، ولا يعترف بتنوع الاجتهادات، ولا يقر إلا بالرأي الواحد، والوجه الواحد، ولا يسمع للرأي الآخر، ولا للوجهة الأخرى، ولا يرى أحدهم أن رأيه صواب يحتمل الخطأ، وأن رأي غيره خطأ يحتمل الصواب، بل رأيه هو الصواب الذي لا يحتمل الخطأ، ورأي الآخرين هو الخطأ المحض الذي لا يحتمل الصواب بوجه.

إنه الإسلام الذي ينظر بريبة إلى المرأة، فهو يدعو إلى حبسها في البيت، وحرمانها من العمل ومن المشاركة في الدعوة والحياة الاجتماعية والسياسية.

إنه الإسلام الذي لا تعنيه العدالة في توزيع الثروة، ولا توكيد قاعدة الشورى في الحكم، ولا إقرار الحرية للشعب، ولا مساءلة اللصوص الكبار عما سرقوه وما اقترفوه، ولا تحذير الناس من الوقوع في براثن التبعية للقوى الأجنبية، أو الاستسلام للقوة الصهيونية التوسعية العدوانية، لكن يشغل الناس بالجدال في مماحكات لفظية، وفرعيات فقهية، وجزئيات خلافية، في العبادات أو المعاملات، لا يمكن أن ينتهي فيها الخلاف.

إنه الإسلام الذي يتوسع في منطقة التحريم، حتى يكاد يجعل الحياة مجموعة من المحرمات، فأقرب كلمة إلى ألسنة دعاته وأقلام كتابه كلمة "حرام".

إن الإسلام المنشود هو الإسلام الأول، إسلام القرآن والسنة، سنة النبي ﷺ، وسنة الراشدين المهديين من بعده، إسلام التيسير لا التعسير، والتبشير لا التنفير، والرفق لا العنف، والتعارف لا التناكر، والتسامح لا التعصب، والجوهر لا الشكل، والعمل لا الجدل، والعطاء لا الادعاء، والاجتهاد لا التقليد، والتجديد لا الجمود، والانضباط لا التسيب، والوسطية لا الغلو ولا التقصير.

إسلام يقوم على عقيدة روحها التوحيد، وعبادة روحها الإخلاص، وأخلاق روحها الخير، وشريعة روحها العدل، ورابطة روحها الإخاء، وثمرة ذلك كله حضارة روحها التوازن والتكامل.

هذا الإسلام وحده هو الذي يقربنا من العالم، ويقرب العالم منا، وهو الإسلام الذي تتبناه الصحوة الإسلامية، أو ما يجب أن تتبناه الصحوة بكل فصائلها، فلا يخفى أن من فصائلها ما هو في حاجة إلى أن يتجاوز طور المراهقة إلى الرشد.

"افتقاد القدوة" سبب للتدين المغشوش

تحقيق: أحمد البهنساوي

يعزو بعض المسلمين الحالة التي هم عليها من "التدين المغشوش" إلى عدد من الأسباب، يجعلون في مقدمتها افتقادهم للقدوة عند بعض الخطباء والدعاة والعلماء والآباء، وعدم مطابقة أقوالهم لسلوكياتهم الحياتية في بيعهم وشرائهم وأخذهم وعطائهم، والإحساس بكونهم ليسوا أهلا للتأسي بهم، ولا بكونهم نماذج يحتذى بها.

فقد أصبح عدد غير قليل من خطباء هذا العصر للأسف يتخذون من الخطابة مهنة يرتزقون منها؛ غير عابئين بأهمية الرسالة التي يحملونها في نشر الدعوة، ولم يعد مفهوم الدعوة واضحاً لدى الكثيرين منهم، وهو ما انعكس للأسف على صورتهم لدى الناس؛ حيث يعتقد بعض الدعاة بأن عليهم الوعظ بالقول دون العمل، رغم أن النفس البشرية تتأثر بالمحاكاة وتقليد النماذج الحسنة أكثر من الطاعة للأمر والنهي.

في البداية، يقول مسعد الحوفي (مدرس- 32 سنة- البحيرة): كان خطيب مسجدنا يذكرنا بأهمية الصلاة وفضلها ويحذرنا من تركها؛ وبخاصة في رمضان، ويعدد الثواب العظيم لصلاة التراويح والفجر في شهر رمضان الكريم، غير أننا للأسف لم نره يصلي معنا في معظم شهر رمضان بالمسجد.

ويضيف الحوفي: هذا طبعا بخلاف صلاة الجمعة؛ حيث كان يخطب فينا، فيعظنا ويذكرنا بأهمية الصلاة، ثم يعود لمنزله لاستكمال

مشاهدة المسلسلات والفوازير، حسبما حكى لنا أحد جيرانه، وهذه الظاهرة تؤكد أن الخطابة الآن أصبحت وظيفة ومصدرا للقمة العيش، ولم تعد رسالة؛ لدرجة أنني سمعت من بعض العاملين بوزارة الأوقاف أن بعض الخطباء قد لا يجد غضاضة في دفع رشوة للحصول على هذه الوظيفة!.

هدم بيت أخيه!

وأمام غرابة الكلام الذي قاله مسعد يروي لنا أحمد عبد الفتاح (طالب جامعي- 20 سنة- المنيا) قصة غريبة لخطيب أحد المساجد ببلدته، يأمر الناس بالاتحاد والاعتصام والأخوة، في الوقت الذي يتشاجر فيه مع أقرب الناس إليه؛ أخيه، لدرجة أنه قسم المنزل إلى نصفين، وفصل بينه وبين أخيه؛ حتى لا يعيشا معا.

ويستطرد عبد الفتاح قائلا: بالله عليكم، هل خطيب مثل هذا يمكن أن أتخذه قدوة؟!؛ لذلك فقد الناس ثقتهم في بعض الخطباء، ولم يعودوا يسألونهم عن أمور دينهم.

ومن أقصى جنوب مصر إلى أقصى شمالها، حيث يقول سامح جاد (31 سنة- موظف بشركة إلكترونيات- الإسكندرية): خطيب مسجدنا الذي نصلي فيه لا يروق له بعد إلقائه خطبة الجمعة سوى الجلوس على المقهى المواجه للمسجد؛ ويراه الناس يجلس مع أشخاص يعرف عنهم النصب وشرب الخمور والمخدرات، والأشد غرابة أنه يشرب معهم الشيشة (النرجيلة).

ويتساءل جاد قائلا: ألا يدري مثل هذا الخطيب أنه بهذا يرسخ في عقول الناس أن التدخين حلال؛ بدليل جلوس الشيخ على المقهى

وشربه للشيشة؟!، في اعتقادي أن مثل هذا الخطيب لا يصلح أن يكون قدوة أو نموذجاً للناس، بل إنه صار قدوة سيئة لهم، وأضاع بفعلته كل ما كان يعظنا به في الخطبة.

أما عن أشد فتنة تركت لأمة محمد ﷺ -وهي النساء- فأصحاب التدين المغشوش لهم فيها نصيب كبير، وهو ما أشار إليه هاني عبد اللطيف (68 سنة بالمعاش- بني سويف): فقد أوضح أن خطيب مسجدهم عليه علامات استفهام كثيرة بخصوص علاقته ببعض النساء، وهو يتعمد أن يسلم بيده على نساء القرية بطرق ملفتة للنظر، وعندما عاتبناه في هذا الموضوع رد علينا قائلا: الله جميل يحب الجمال!.

ويضيف عبد اللطيف: الواجب عليه أن يعلم أنه قدوة للناس، فهو خطيبهم وإمامهم ومفتيهم، والرجل الذي يأخذون عنه دينهم، ويستفتونه في أمور دينهم ودنياهم، لكن للأسف هو لا يراعي هذه الأمور، فصار بعض المغرضين من الناس ينظرون إليه ويقولون لنا: "إذا كان شيخ الجامع كده، يبقى إحنا ربنا لن يحاسبنا على ما نقع فيه من الذنوب!".

ويختتم عبد اللطيف كلامه قائلا: "المشكلة أن كثيرا من الناس الملتزمين والمتدينين في البلد عندنا ينظرون إلى هذا الخطيب على أنه من رجال الدين، وأنه عارف الصواب والخطأ، وأنه دارس شرع ربنا، وهذه هي الطامة الكبرى والفتنة في الدين!".

الخطباء يعترفون

وحتى نقف على الحقيقة كاملة، كان لا بد أن نسمع من الطرف الآخر، فالتقينا بعدد من الخطباء والوعاظ، وعرضنا عليهم المشكلة،

وهي أن أحد أسباب التدين المغشوش لدى بعض الملتزمين والمتدينين افتقادهم للقدوة لدى بعض الخطباء والعلماء والدعاة، واستمعنا لهم.

ولم ينكر أحمد عبد المنعم (خطيب وإمام بأحد مساجد منطقة الهرم بالجيزة) هذه الظاهرة، ولم يستغربها؛ وقال: "الخطيب أولا وأخيرا بشر معرض للخطأ، وليس معصوما منه، ولو لم يكن كذلك ما قال النبي ﷺ أنه: «يؤتى بالعالم يوم القيامة، ويلقى في النار، فتندلق أقتابه، فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى، فيطوف به أهل النار فيقولون: ما لك؟، فيقول: كنت آمر بالخير ولا آتيه، وأنهى عن الشر وآتيه» [متفق عليه]".

وأضاف عبد المنعم: "هذه ظاهرة موجودة تستحق الاهتمام والدراسة، ومن أهم عوامل ظهورها في رأيي البيئة التي تربى فيها الخطيب في صغره، والقيم التي تشربها في هذه المرحلة، وهناك من تربى في بيئة غير صالحة؛ ولكنه جاهد نفسه في الكبر، وتعلم القيم الصحيحة والأخلاق النبيلة".

ويتفق الشيخ علي عبد الحليم (خطيب وإمام بمحافظة الغربية) مع الشيخ أحمد عبد المنعم فيما ذهب إليه، ويضيف: "نحن لسنا بصدد جلد هذه الطائفة من الخطباء والوعاظ الآن، بقدر ما نخاف عليهم من سخط الله ﷻ، ومن ثم فإننا ندعو كل خطيب وداعية وواعظ يتصدى للقيام بهذه المهمة الكبيرة، ويسير على هذا المنوال، أن يتوب إلى الله، وأن يحذر أن يخالف قولُه فعلَه".

ويستدل الشيخ عبد الحليم بقصة للإمام الحسن البصري رضي الله عنه عندما جاءه عدد من العبيد طالبين منه إعداد خطبة عن فضل عتق العبيد، يحث فيها الأغنياء على عتقهم في سبيل الله، فغاب عنهم

قرابة شهرين؛ ثم عاد يخطب في الناس عن فضل عتق الرقاب في سبيل الله، فما لبث كل من سمعوه إلا وأعتقوا حتى عُتِقَ كل عبد بالمدينة.

فجاءه العبيد يعاتبونه: لِمَ تأخرت علينا كل هذا؟، فأجابهم: كنت أريد أن أطبق ما أقول على نفسي أولا، ثم آمر الناس به، فانتظرت حتى رزقني الله بمال، فاشتريت عبدا، ثم أعتقته لوجه الله، ثم خطبت في الناس!.

ويذكر الشيخ عبد الفتاح مغاوري (خطيب وإمام من مدينة طنطا بمحافظة الغربية) بعدا جديدا في الموضوع، فيشير إلى غياب الجانب التربوي في التعليم الأزهري الذي يؤهل هؤلاء الخطباء للخطابة؛ حيث يجد الطالب الأزهري أن أستاذه الذي يشرح له علما ما من العلوم الشرعية يدخن السجائر مثلا، أو يرفع ثمن الكتاب المقرر بدرجة مبالغ فيها، فعندها يفقد الطالب الذي سيصبح خطيبا بعد ذلك معيار العمل بما يقول، مشيرا إلى أن هذا موجود، لكنه بصراحة قليل، ولم يصل بعد للظاهرة.

فعل أنفع من ألف قول

ورغبة منا في تأصيل الموضوع، والوقوف على رأي الشرع فيه، كان لا بد أن نحمل هذا الهم ونضعه أمام علمائنا ليدلوا بدلوهم فيه، **فقال الدكتور طلعت عفيفي، عميد كلية الدعوة الإسلامية بجامعة الأزهر الشريف:**

هناك العديد من الآيات والأحاديث النبوية الشريفة التي تدل على عاقبة هذه الطائفة في الآخرة، وعتاب الله لهم؛ منها قوله تعالى:

﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: 44].

ويضيف الدكتور عفيفي: الناس لا ينظرون إلى الكلمة ولكن للعمل؛ لأنه أبلغ تأثيرا، فرب فعل رجل في ألف رجل أبلغ من قول ألف رجل في رجل، لذلك يقول المولى جل شأنه: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: 33]، محذرا من أن مثل هذا السلوك من الخطباء يكون سببا في تفشي التدين المغشوش بين الناس.

ويشير الدكتور عفيفي إلى ضرورة العمل مع القول؛ حتى لا يقع الخطيب في دائرة المنافقين، معتبرا أن فصل القدوة عن العمل مدعاة إلى الفساد والإفساد، كما أن هذا الخطيب الذي لا يعمل بما يقول سيكون محل عدم الاحترام من قِبَل مستمعيه؛ لأنه لم يعمل بما يقول أصلا. وفي هذا قول طيب للإمام ابن القيم: "علماء السوء جلسوا على باب الجنة يدعون إليها الناس بأقوالهم، ويصدون عنها بأفعالهم".

حب المال والشهرة:

وحتى تكتمل الصورة فقد عرضنا الظاهرة على خبراء علم النفس والاجتماع؛ ليقوموا بتحليلها وتشخيصها ووصف علاجها، فيقول الدكتور سمير عبد الفتاح أستاذ علم النفس بكلية الآداب بجامعة المنيا: "يقول الله ﷻ: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ [الشمس: 7،8]، مشيرا إلى أن الفجور آفة النفس الإنسانية، ولكن الكارثة أن تمرض نفس الخطيب بحب الشهرة، وتضخيم الذات، وحب المال والجاه.

ويعتبر الدكتور عبد الفتاح أن هذا السلوك من الخطباء والوعاظ يكون مبررا لعامة الناس ممن لم يرزقهم الله العلم والقدرة على المعرفة الصحيحة، فيقلدون هؤلاء الخطباء، ويصير تدينهم منقوصا ومغشوشا؛ حيث يظهر للناس منهم شيء بينما هم يخفون أشياء وأشياء.

ومن جهته يعتبر الدكتور صلاح الفوال -أستاذ علم الاجتماع بالجامعة الأمريكية- أن هذه الظاهرة مصيبة وفتنة غريبة، وملعونة من الله ورسوله والمؤمنين، وهذا مرتبط بالسلوكيات المغشوشة التي تبنى على تنشئة اجتماعية فاسدة.

ويعتقد الدكتور الفوال أن الحل يكمن في إعادة تصحيح مسار التربية الاجتماعية داخل المؤسسات الاجتماعية؛ بدءاً من الأسرة، وانتهاء بالدولة، ومروراً بالمجتمع، وأن تـأثير هؤلاء على البشر كبير؛ حيث إنهم يكونون سببا في فقدان الثقة في أي كلام في الدين، والدين منهم بريء.

وختاما.. بعد أن استعرضنا هذا الموضوع في هذه السطور، فإننا نؤكد على أن كثيرا من الأخطاء التي يقع فيها بعض المتدينين والملتزمين -مما قد يؤثر على تدينهم ويسمه بالمغشوش- يكون سببه افتقاد هؤلاء الناس للقدوة المتمثلة في بعض الخطباء والدعاة والعلماء ممن يقولون ما لا يفعلون، وهو ما يوقعهم تحت طائلة قوله تعالى في الدستور الخالد: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتاً عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: 2،3].

الداعية العصبي: توقَّفْ.. وتدرَّبْ.. ولا تُفسِدْ

السلام عليكم، لقد وصلني السؤال التالي من صديق، وأتمنّى الحصول على إجابة تفصيليَّة من قِبَلكم، جزاكم الله خيرا.

يقول هذا الصديق: "عندي سؤالٌ لك، وأنا أعلم الإجابة نوعاً ما، ولكن دعني أسألك: ماذا أفعل عندما أشهد مناقشة، ويقوم شخصٌ بخطأ دينيّ؟ مثال ذلك ما حدث عندما كنت أمشي مع شخصٍ ورأى فتيات جالسات على النجيل مرتديات ملابس رقيقة، وقال: أليسَ أفضلُ من "أمّ" حجاب؟، وأسئلةٌ أخرى كثيرة، لا أعلم، ولكنَّني حديثاً أصبحت أغضب وأُصرّ على التعليق أو الردّ، مشكلتي أنّني أتعصَّب، والمناقشة دائماً تزداد سوءا، لا أعلم، ولكنَّني أشعر أنَّه يجب عليَّ التعليق، حيث إنّني أرى أنَّه عندما يراني أحدٌ على خطأ، فمن حقّي أن يقوم بنصحي وتوجيهي، الناس يكرهون مناقشتي ويحاولون تجنّب ذلك، مثال: سألتُ شخصاً اليوم لماذا لم يأت لصلاة الجمعة، فقال لي إنّه كان مشغولا، فعلّقت أنَّ الأهمَّ هو الحضور إلى الصلاة، فغضب، وطلب منّي أن أكفَّ عن إعطائه محاضرات، إنّني أعلم أنَّ أسلوبي حازم، وأنّني غير ذكيٍّ في توصيل المعلومة، ولكنَّني أغضب بسرعة، أسألكم المشورة".

Omar– أمريكا

الرد

المستشار: مجموعة مستشارين.

يقول الشيخ عبد الحميد البلالي: "المشكلة التي وردت من الأخ السائل تحمل في طيَّاتها وسائل العلاج، فالأخ يعترف بأنَّه مندفعٌ ومتسرِّع، وردوده تحمل شيئاً من الغلظة، وزاد على ذلك أنَّه يعرف الإجابة نوعاً ما، وهذا جزءٌ من الحلِّ، فإدراك أسباب المشكلة هو أوّل خطوةٍ في سبيل العلاج، ولكن كيف يتخلَّص الأخ السائل من هذه الشِّدَّة في الردّ؟، وكيف يمكن أن يكون داعيةً مؤثراً ومحبوباً لدى الآخرين؟

يمكن أن يتمَّ ذلك عبر جملة من الخطوات:

1 - لا بد من إدراك وفهم معنى قوله تعالى لرسوله ﷺ: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: 159]، فالفظاظة والغلظة لا شكَّ أنَّهما يؤدِّيان إلى انصراف الناس بعيداً عن الداعية، وهذا رسولنا محمَّد ﷺ يخاطبه الله ﷻ بأن يدعو قومه بالحسنى، رغم أنَّهم آذَوه وكذَّبوه وسخروا منه: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: 125]، وليس بعيداً عن ذلك موقف موسى وهارون عليهما السلام؛ إذ أرسلهما ربُّهما إلى فرعون الطاغية: ﴿اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * فَقُولاَ لَهُ قَوْلاً لَّيِّناً لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ [طه: 43،44]، فهلاَّ تحلَّى الأخ السائل بالهدوء والكياسة واللباقة في الردِّ على الآخرين ودعوتهم بالحكمة؟

2 - اجتهد أن تطبِّق حديث النبيِّ ﷺ: «لا تغضب» [متَّفقٌ عليه]، وليكن ماثلا أمام عينيك أصحاب القدوة في التاريخ، وأنَّ الشديد هو من يملك نفسه عند الغضب.

3 - استخدم في ردودك نبرة صوتٍ مَرِحةً وهادئة؛ حتى تستميل عقل وقلب من تحاوره.

4 - بشيء من الذكاء والفطنة يمكن أن تلتقط خيط الحديث وتطوّعه لصالح الفكرة التي تحملها.

5 - لا ينبغي أن ينعكس مزاجك على صوتك في أثناء الحديث.

6 - ضع في ذهنك وأنت تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر أنَّك تريد أن تكسب الشخص لا أن تكسب الموقف، فالحوار إنَّما يكون لكسب عقول وقلوب الناس، فما عساك أن تجني من إحراج الآخرين بقوَّة حُجَّتك فتسكتهم بها؟، حسناً ستسكتهم، ولكنَّ قلوبهم ستمتلئ حنقاً عليك وعلى دعوتك.

7 - استحضر في ذهنك أنَّك يجب أن تكون قدوةً لمن تحاوره أو تدعوه، ومن ثَمَّ فيجب عدم الخروج عن قواعد وأدب الحوار.

8 - مازح الشخص الذي تتحدَّث إليه مهما كان مخالفاً في الرأي.

9 - كن مع هؤلاء كالطبيب مع المريض الذي يصدر عنه ما يُسيء للطبيب، ومع ذلك يترفَّق به، فطبيعة النفس البشريَّة تميل إلى اللين والرفق والتودُّد، وتنفر من الشِّدَّة والتحدِّي.

10 - عاملة الحسنة لها أثرٌ جيِّدٌ في استقطاب الآخرين.

11 - لا تستخدم عبارات: "يجب عليك"، "ينبغي عليك".

12 - الداعية الناجح يناقش بتلطُّفٍ وأناة، ويقدِّم لكلامه، ويختم بعباراتٍ فيها رقَّة.

13 - يمكنك أن تقرأ بعض الكتب التي تتحدَّث عن فنون النقاش والحوار، وكيف تكسب الأصدقاء وتؤثِّر في الناس.

ويضيف الدكتور كمال المصري:

أما وقد أجاب فضيلة الشيخ عبد الحميد البلالي على استشارتك أو استشارة صديقك، فأؤكِّد –فيما ذكره الشيخ البلالي– على اللباقة والكياسة، وعلى لين القول والمعاملة، وأن تحرص على كسب الشخص لا الموقف.

وأضيف إلى ما سبق سبعة أمور، كما أوصيك بوصيَّة:

أمَّا الأمور السبعة فهي:

1-حسن اتِّخاذ القرار:

فما كلُّ شخصٍ يجب أن تنبِّهه إذا أخطأ، أو تنصحه إذا علمت تقصيره، فكثير من الأمور تحكم هذا الأمر؛ مثل: مدى العلاقة بينك وبينه، وفارق السنِّ إذا كان أكبر منك سِنًّا، وتفاوت المستوى التعليميّ، ومدى تقارب أو تباعد المستوى الفكريّ والثقافيّ، والظرف الذي أنتما فيه؛ كأن يكون يتحدَّث أمام مجموعة من الناس، فتردّ عليه على الملأ، أو كان في حالة نفسيَّة سيئة، وغير ذلك.

كلُّ هذه الأمور نقاطٌ حاكمةٌ في قيامك بالنصح والإرشاد من عدمه، واتِّخاذ القرار بالنصح أو عدمه أمرٌ مرهونٌ بحسن تقديرك للأمور والظروف، مع عدم إغفال اللياقة واللباقة والأدب.

2- حسن تنفيذ قرارك أو حسن عرض النصيحة:

وأعني هنا آداب النصح عامَّة، وأهمُّها: إشعاره بأنَّك تريد مصلحته، وأن تنصحه سرّاً بينك وبينه لا على الملأ؛ حتّى لا تتحوّل النصيحة إلى فضيحة، ويفضَّل جدّاً لو اتَّخذت أسلوب عدم المباشرة في النصح، وأن تبدأ بمقدمةٍ تذكر فيها محاسنه ومناقبه،

فكلُّ ذلك أدعى أن يتقبّل منك ما تقول، وإذا كان رسول الله ﷺ -وهو من هو في وجوب استماع الناس له- كان ﷺ كثيراً ما يستخدم لفظة: "ما بال أقوامٍ" للتنبيه على خطأٍ ما، أو نصح شخصٍ ما: «ما بال أقوامٍ يشترطون شروطاً ليست في كتاب الله...» [رواه البخاري ومسلم].

«ما بال أقوامٍ يتنزّهون عن الشيء أصنعه...» [رواه البخاري].

«ما بال أقوامٍ قالوا: كذا وكذا...» [رواه مسلم].

«ما بال أقوامٍ يرغبون عمّا رخّص لي فيه...» [رواه مسلم].

«ما بال أقوامٍ يقولون: إنّ رحمي لا ينفع...» [الحاكم، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه (أي: البخاريّ ومسلم)].

فإذا كان هذا حال من كانت طاعته واجبة على المسلمين، فكيف بنا نحن ونحن لا نملك سلطاناً ولا حكماً على الناس؟

3- استخدام قاعدة: "ارتكاب أخفّ الضررين":

وأعني هنا تقدير الموقف، بمعنى إذا كانت نصيحتك ستؤدّي إلى ضررٍ أكبر فالأولى ألا تقولها أو تنطق بها، وإذا كان فقهاؤنا الأجلاّء قد قالوا بعدم تصحيح خطأ الإمام في قراءة القرآن في الصلاة إذا كان هذا التصحيح قد يؤدّي إلى ارتباكه وارتكابه لأخطاء أكثر، أليس من الأوْلى أن نطبّق هذه القاعدة في نصح الناس؟

4- التفريق بين الضروريّات والنوافل:

بمعنى ألا تحمّل الناس ما لا يطيقون، فتسألهم عن تقصيرهم في سُنّةٍ مثلا، أو في قُربةٍ إلى الله تعالى، فكلُّ ذلك مردُّه إلى كلّ شخصٍ

بعينه، وعلاقته بربِّه سبحانه، وفي الحديث المتَّفق على صحَّته عن طلحة بن عبيد الله ﷺ: «أنَّ أعرابيّاً جاء إلى رسول الله ﷺ ثائر الرأس، فقال: يا رسول الله، أخبرني ماذا فرض الله عليَّ من الصلاة، فقال: الصلوات الخمس، إلا أن تطوَّع شيئا، فقال: أخبرني ما فرض الله عليَّ من الصيام؟، فقال: شهر رمضان، إلا أن تطوَّع شيئا، فقال: أخبرني بما فرض الله عليَّ من الزكاة، فقال: فأخبره رسول الله ﷺ شرائع الإسلام، قال: والذي أكرمك، لا أتطوَّع شيئا، ولا أنقص ممَّا فرض الله عليَّ شيئا، فقال رسول الله ﷺ: أفلح إن صدق»، أو: «دخل الجنَّة إن صدق».

فما دام الشخص التزم بالفروض فلا تحدِّثه فيما عدا ذلك، إلا إذا أتاح هو لك هذه الفرصة، أو جاءت بطريقةٍ غير مباشرة، أو كانت علاقتكما تسمح بذلك.

5- القدوة والعلاقة الشخصيَّة أولا:

قلنا مراراً وتكراراً أنَّ القدوة هي أساس كلِّ شيء، وأنَّ العلاقة الشخصيَّة هي مفتاح كلِّ شيء، فكم من الدعاة الذين هدَوا الناس إلى الحقِّ والفضل بفعلهم لا بقولهم، وكم من الناس من جعل الناس يتركون ما كانوا عليه من فضلٍ بسبب سوء القدوة.

إذا أردتَ يا أخي أن تكون مؤثِّراً التزم أنت أوَّلاً بما تأمر به، وصدق الشاعر إذ يقول:

لا تنهَ عن خُلُقٍ وتأتي مثله   عارٌ عليك إذا فعلتَ عظيمُ

وكذلك بحسن علاقتك الشخصيَّة وحبِّك للناس تملك قلوبهم، فيكون ذلك أدعى للتأثير فيهم.

6- مراعاة المكان:

أنت يا أخي في الولايات المتَّحدة الأمريكيَّة، وكلُّنا نعلم حال المسلمين هناك، وتفاوت مفهوم ونطاق الالتزام فيها بدرجةٍ كبيرة، واعتبار العديد من الإخوة من الملتزمين رغم عدم التزامهم الكامل؛ مراعاةً لظروف البلد ومغرياته ومشاكله بالنسبة للمسلمين، أفي ظلِّ هذا السياق نمارس النصح بالعنف والغضب؟ عليك يا أخي أن تراعي بيئتك ومجتمعك كثيرا، وأن تنظر إليه بعينٍ تختلف عمَّا ألِفته في موطنك الأصليّ، فتغيِّر النظرة، وتعدِّل منهجيَّة الدعوة، مع احتفاظك بما لا يمكن الاستغناء عنه من المعلوم من الدين بالضرورة.

7- بيت القصيد هو علاقتك بربِّك:

انظر إلى قلبك دائما، واربطه بخالقك، ووثِّق هذه الصلة، وكن قرآناً يمشي على الأرض كنبيِّك ﷺ، وتذكَّر معي حديث نبيِّك ﷺ: «إنَّ الله تبارك وتعالى إذا أحبَّ عبداً نادى جبريل: إنَّ الله قد أحبَّ فلاناً فأحبَّه، فيُحبِّه جبريل، ثم ينادي جبريل في السماء: إنَّ الله قد أحبَّ فلاناً فأحِبُّوه، فيُحبِّه أهل السماء، ويوضع له القَبول في أهل الأرض» [رواه البخاري].

فاجعل الله تعالى يحبّك، هكذا يوضع لك القَبول في الأرض.

وأمَّا الوصيَّة:

فهي محاولة تدريب نفسك على عدم الغضب، وعلى كظم الغيظ، وخاصَّةً في المناقشات التي تحتاج فيها إلى الحفاظ على هدوئك ورجاحة عقلك، وهناك برامج متخصِّصةٌ في كيفيَّة السيطرة

على النفس، حبَّذا لو استطعت الوصول إليها والتدرَّب فيها، فتوقَّفْ عن نصح الناس وتوجيههم حتى تتعلَّم السيطرة على نفسك، ولو كان لديك صديقٌ تثق به اتَّفق معه على أن يقوم باستفزازك في النقاشات دائماً عندما تكونان لوحدكما، وحاول خلال ذلك أن تملك نفسك وأعصابك، وبالتدريج ستنجح إن شاء الله تعالى، فيكون هو نِعْم العون لك.

التزم يا أخي الكريم أنت وصديقك بما سبق، وستؤتي دعوتكما ثمارهما بإذن الله تعالى، وكن معنا على تواصل مستمرّ.

داعية عنيف ثقيل غير مرغوب!

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته، أما بعد:

أعرض عليكم هذه الاستشارة الطويلة مؤملا أن تجد لديكم سعة الصدر والقبول، ومن ثَم الإجابة الشافية إن شاء الله.

لي قريب نذر نفسه للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لا يكل ولا يمل، لا يتحدث في مجلس إلا في الدين والسياسة العامة للمسلمين، وهو مخلص في ذلك لدرجة الهوس، وعلمه متأتٍّ من بعض سنوات الدراسة أوائل الخمسينيات من القرن الماضي، ومن إجازة له في علم الاجتماع، وقراءاته في الكتب الدينية والصحف، ومشاهدته لبعض الفضائيات كـ"الجزيرة" و"اقرأ".

لكن مشكلته أن سامعه ومخاطبه سرعان ما ينفض من حوله نفورا من أسلوبه في الخطاب، لا يقبل الاعتراض على قوله حتى إذا عورض بحجة مقبولة؛ فهو يؤثر رأيه حتى ولو كان فيه عنت له أو لمخاطبه، ولا يبقى معه إلا من اتسع صدره، أو من أدرك غايته الجليلة، أو أراد مجاملته برا به وإحسانا. وهو متشدد على بنيه وحفدته وإخوته في أمور كثيرة؛ مثل: الصلاة، وصلاة الصبح في المسجد، ويتهددهم بالقطيعة إن لم يمتثلوا أمره، وبقطيعة رَحِمه وعدم زيارتهم في الصيف؛ لأنهم لا يقبلون وعظه، ولا يمتثلون لنصيحته رغم عدم إنكارهم لما يقوله؛ ولأنه يرى من بعض أفراد أقاربه -خصوصا أبناءهم- ما لا يرضاه منهم الله ورسوله؛ كمسألة الحجاب، وترك الصلاة أو السهو عنها عند نفر من أبنائهم.

لقد حاولت أن أتحدث معه في مسألة خطابه العنيف بما أوتيت من علم -وهو قليل من فهمي لكتاب الله وهدي رسول الله ﷺ، ومواقفه

الدعوية العظيمة مع الكفار والعصاة والمذنبين قليلا من أهله وغير أهله ﷺ- وبما بيننا من مودة القربى، ومما أطالعه في هذا الموقع الجليل من آراء في الدعوة والتربية من التحصن بالعلم والفقه والحكمة والحلم والحسنى، والتدرج في الخطاب، ومراعاة الزمان والمكان ومقامات المخاطبين وسنهم وعلمهم ومدى طاعتهم لله، ولكنه مصر على خطابه الآمر الناهي؛ الأمر الذي يجعله دائما شخصا عنيفا ثقيلا وغير مرغوب فيه لدى بعض أقاربه إذا زارهم وأقام أياما عندهم، إن لم أقل فظا غليظا في الظاهر، رغم علمي بطيبته الباطنية وإخلاصه ومحبته ذويه وأقاربه.

وهو في صراع دائم مع أهله وقرابته رغم أنهم لا ينكرون ما يقوله، ويعترفون بتقصيرهم في طاعة الله بحجة عدم استطاعتهم أو تهاونهم أو مشاكل الدنيا، وقد عز عليَّ أن يصير قريبي إلى هذه الحالة الاجتماعية التواصلية مع أنه كان في شبابه من أحب الناس إلى ذويه وإلى معارفه، وأعلم أنه يتألم ليقينه أنه مجاف لا لأمر سوى أنه على حق، وهو لا يفهم هذا الجفاء إلا كونه إصرارا لمجافيه على العصيان، وهو لا يعترف بأن السبب هو أسلوب الخطاب وعنف لسانه.

أشيروا علينا برأي أو مقالة تكون جامعة لمجمل ما طرح في هذه الاستشارة لعل الله يأتي بفتح على يدكم؛ فأعرضه عليه، وأناقشه معه، فإن لشيخ الإسلام القرضاوي موقعا أثيرا عنده، وجزاكم الله عنا خيرا، والسلام.

عبد المالك- المغرب

الرد

المستشار: فريق الاستشارات الدعوية.

تقول الأستاذة سعيدة رامضي داعية وواعظة مغربية:

أخي الكريم عبد المالك، لقد تأثرنا برسالتك، وأحسسنا من خلالها بمدى الرحمة التي تكنها لقريبك، وغيرتك على دين الله تعالى، نكبر فيك أخي الكريم هذه الخصلة، كما نكبر في قريبك غيرته وحرقته.

ولا بد أخي قبل حمل همّ الدعوة إلى الله من التسلح بالعلم النافع؛ إذ العلم إمام العمل، ولذلك يطلب منا الإلمام بهدي رسول الله ﷺ في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفي رحمته للخلق عامة، وتعامله مع أقاربه خاصة، كما يطلب منا معرفة مجتمعنا وأحواله والظروف التاريخية التي مرت بها أمتنا؛ لأن البحث عن الدواء يتطلب معرفة الداء.

أولا: نبدأ بالحديث عن هديه ﷺ في الدعوة إلى الله ﷻ، وهو الذي وصفه الحق سبحانه في محكم التنزيل بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القَلَمِ: 4]، وأثنى عليه كذلك بقوله: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ﴾ [آل عمران: 159].

ويصف لنا سبحانه علاقة المسلمين فيما بينهم بأنهم ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفَتْحِ: 29]، وتكثر بين أيدينا النصوص، لكن السؤال: كيف نفهمها؟، وكيف نفسرها؟، وكيف نطبقها؟، وكيف ننزلها في واقعنا المعيش؟، وكيف نأخذ بعين الاعتبار ظروف أمتنا التاريخية وواقعها الاجتماعي؟

وللإجابة نسوق لك أخي الكريم ولقريبك المحترم هذه الأمثلة الرفيعة على رحمة المصطفى ﷺ للخلق عامة وذوي رحمه خاصة.

عن أبي هريرة ﷺ قال: «جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: هلكت يا رسول الله، قال: وما أهلكك؟، قال: وقعت على امرأتي في رمضان، فقال: هل تجد ما تعتق به رقبة؟، قال: لا، قال: هل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين؟، قال: لا، قال: هل تجد ما تطعم به ستين مسكينا؟، قال: لا، قال: ثم جلس فأتى النبي ﷺ بعرق (مكيال يسع 15 صاعا)، فقال: تصدق بهذا، قال: فهل على أفقر منا؟، فما بين لابتيها (اللابة: الأرض التي بها حجر أسود، والمراد: بين أطراف المدينة) أهل بيت أحوج إليه منا، فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه، وقال: اذهب فأطعمه أهلك» [رواه الجماعة].

وبايع النساء رسول الله ﷺ، وجاءته عجوز لتبايعه، فشرط عليها وعلى من معها من النساء ألا يَنُحْنَ على ميت، فقالت العجوز: يا رسول الله، إن ناسا قد أسعدوني على مصائب أصابتني، وإنهم قد أصابتهم مصيبة؛ فأنا أريد أن أسعدهم، قال: فاذهبي فكافئيهم، فانطلقت فكافأتهم، ثم أتت فبايعته.

مما لا شك فيه أن الإفطار في رمضان من الكبائر، والنياحة مما نهى عنه رسول الله ﷺ، لكن الدرس هنا هو: كيف عالج رسول الله ﷺ هذه الأمور؟ رفق نبوي ورحمة وتأنٍّ، ما أحوج وعاظ عصرنا إلى التحلي بها والاقتداء برسول الله ﷺ!.

مثال آخر نسوقه بين يديك هذه المرة من خُلق آل بيت رسول الله ﷺ؛ نبسط بين يديك قصة سيدنا الحسن وسيدنا الحسين سبطي رسول الله ﷺ حينما رأيا -وهما طفلان- رجلا لا يحسن الوضوء،

فاتفقا على طريقة لطيفة لكي لا يجرحا كبرياء الرجل، قالا له: "يا عم، يزعم هذا أنه يحسن الوضوء، وأني لا أحسن؛ فنرجوك أن تنظر إلينا، وأن تحكم بيننا؟"، فتوضأ أمامه أحسن ما يكون الوضوء، وفهم الرجل وقال: "يا بني، أنا عمكم الجاهل لا أنتما".

نتعلم من هذا المشهد الرفيع أن التعليم يكون بالرفق، ومن طرف خفي، بالمثال والتذكير العام.

ونمر بك سيدي على عصر التجديد لنقف مع مجدد القرن الأول والخليفة الخامس سيدنا عمر بن عبد العزيز ﵁؛ حيث كان يريد أن يصلح شأن أمته، ويرفع عنها ظلم بني عمه ملوك بني أمية، ويستحثه ابنه الصالح عبد الملك للإسراع في الإصلاح، قائلا: "مالك يا أبت لا تنفذ الأمور؟، فوالله ما أبالي لو أن القدور غلت بي وبك في الحق"، فيجيب قائلا: "لا تعجل يا بني؛ فإن الله ذم الخمر في القرآن مرتين، وحرمها في الثالثة، وإني أخاف أن أحمل الناس على الحق جملة فيدَعوه جملة، فيكون ذا فتنة".

فسيدنا عمر بن عبد العزيز ﵁ يريد الإصلاح وإشاعة المعروف وإبطال المنكر، لكنه لا يستعجل ويتريث؛ لأن الحكمة والتدرج والصبر والمداراة شروط ضرورية لنجاح الداعية في دعوته، والواعظ في مهمته.

ثانيا: أما عن خلقه ﷺ مع ذوي رحمه -وخصوصا الأطفال منهم- فيكفينا نبراسا نستنير به ما روى الشيخان وأصحاب السنن عن أبي هريرة ﵁ قال: «قَبَّلَ رسول الله ﷺ الحسن بن علي وعنده الأقرع بن حابس التيمي، فقال الأقرع: إن لي عشرة من الولد ما قبَّلت منهم أحدا، فنظر إليه رسول الله ﷺ ثم قال: من لا يَرحم لا يُرحم».

وعند الترمذي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: «كان رسول الله ﷺ حاملا الحسن بن علي على عاتقه، فقال الرجل: نعم المركب ركبت يا غلام، فقال النبي ﷺ: ونعم الراكب هو».

لنتمعن أخي الكريم كيف يشمل النبي الكريم ﷺ أحفاده بهذا الحب وهذه الرحمة وهذا الود؛ فبالتأكيد سيبادله أحفاده نفس الحب، ويقدرونه نفس التقدير، ومن ثم يقتدون به في أفعاله وأقواله.

وفي ديننا الحنيف فسحة ومجال للهو والمزاح –ليس للصغار فقط بل للكبار كذلك– ما لم تلهنا عن ذكر الله عامة، وعن الصلاة في وقتها خاصة؛ فهذا رسول الله ﷺ كان يوصي صحابته بتعليم أبنائهم السباحة والرماية وركوب الخيل، أفلا نتخذ هذا التوجيه قياسا للعب الأطفال عامة بكل الوسائل التي تزيد الجسم قوة، والعقل تفتحا، والجوارح استقامة؟

وفي ديننا كذلك مجال للتأديب والتعزير، لكن بنفس الرحمة، ومن غير تجاوز للحدود الشرعية للغضب لله، واستحضار لقاء الله، والحضور بين يديه.

فهذا رسول الله ﷺ تغضبه جارية له ذات مرة فيقول لها: «لولا القَوَد (مخافة العقاب عندما يقاد الناس بالنواصي) لأوجعتك بهذا السواك» [الأهوال لابن أبي الدنيا] سبحان الله، رسول الله ﷺ يلوّح بالعقاب بالسواك، درس آخر في التربية والحلم نستفيده، فديننا الحنيف ينبذ العنف والتعسير، ويدعو إلى الرفق والتبشير.

روى الشيخان والترمذي عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله يحب الرفق في الأمر كله»، وفي رواية للبخاري: «عليك بالرفق، وإياك والعنف والفحش».

ولما نزل قوله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً* وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُّنِيراً﴾ [الْأَحْزَاب: 45، 46] خرج مسرعا عند سيدنا معاذ بن جبل وأبي موسى الأشعري، وقد كانا يستعدان للسفر إلى اليمن، فقال لهما: «على رسلكما، يسّرا ولا تعسّرا، وبشّرا ولا تنفرا، وتطاوعا ولا تختلفا»، ومن التيسير ما ذكره الله تعالى في سورة البقرة: ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [البقرة: 256]، وأمره سبحانه لسيدنا موسى وأخيه هارون عندما أرسلهما إلى فرعون: ﴿فَقُولاَ لَهُ قَوْلاً لَّيِّناً لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ [طه: 44]، ولبث سيدنا نوح ألف سنة إلا خمسين عاما يدعو قومه: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهَاراً* فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلاَّ فِرَاراً* وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَاراً* ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَاراً* ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَاراً* فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً* يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَاراً* وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَاراً﴾ [نوح: 5- 12]، دعوة بالليل والنهار، بالإعلان والإسرار، بالترغيب والترهيب، تنويع لأساليب الدعوة وأشكالها من غير ضجر أو اشمئزاز، بل صبر ومصابرة واحتساب.

وللمزيد من هذه المواقف الرائعة أحيلك أخي الكريم على ما كتبه الدعاة في هذا الباب وهو كثير، وأخص بالذكر ما كتبه الدكتور يوسف القرضاوي (خاصة أن قريبك من المعجبين به) في فقه الدعوة والتيسير، وتجنب التطرف والغلو.

ذكرنا في المقدمة أن العلم إمام العمل، وهذا هو العلم، فما العمل؟. مجموع النصوص السالفة الذكر تعطينا مواصفات المؤمن

الصالح في نفسه وخلقه وتعامله مع المجتمع، تعطينا الوصف المرغوب لعلاقات العبد بربه وبالناس وبالأشياء، لكن السؤال: من أين تكتسب هذه الخصال؟ وكيف؟

أحيلك أخي الكريم إلى كلام للأستاذ عبد السلام ياسين في كتابه (الإحسان) إذ يقول: "علاقة العبد بربه تكون إحسانية إن حافظ على ذكره، لا يفتر عن مراقبته وخشيته ورجائه ودعائه ومناجاته، بهذا الإحسان في عبادة ربه يطيب قلبه، وتجمل أخلاقه، وتصلح نواياه؛ فيكون للخلق رحمة، يعم نفعه العالم الأقرب فالأقرب، ونفعه للمجتمع وللناس كافة (وهذا بيت القصيد)، لا يتوقف على حسن النية وجمال القصد والإسراع إلى الفعل فقط (وهي صفات ذكرتها في وصفك لقريبك)، بل يتوقف أيضا على خبرته ومهارته وقدرته على إتقان ما هو موكول إليه من أعمال".

فمن أين لنا بهذه الرحمة وهذا الإتقان؟، **نقترح عليك أخي الكريم ما يلي:**

1- اختر لقريبك رفقة صالحة مناسبة له ولعمره، وحاول تقريبهم منه وتقريبه منهم؛ فـ"الطبع من الطبع يسترق" كما تقول العرب، وفي حديث الجليس الصالح وجليس السوء تأكيد لذلك.

2- اصحبه لمحضن تربوي يتمرس فيه على هذه المعاني ويتدرب؛ فالكتب والأشرطة وحدها لا تفي بالغرض.

3- إن للقلب إشعاعا واضحا وأثرا بينا على الجوارح كلها؛ فهو أمير الجسد كما وصفه رسول الله ﷺ في حديث ثوبان الذي نقتطف منه قوله ﷺ: «ألا وإن في الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله؛ ألا وهي القلب» [رواه

البخاري] وإنما تصلح هذه المضغة بذكر الله، والدوام عليه، وقرع بابه، والانكسار بين يديه؛ فصفات الرحمة والرفق واللين والخلق الحسن أرزاق يهبها الله لمن طرق الباب وتاب وأناب، وانتبه قلبه فاستجاب: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ [الأنفال: 24]، نعوذ بالله.

4- إن الأمر مداومة وطول نفَس، وهذا يتطلب أول ما يتطلب صدقا وإخلاصا لله ينأيان بالداعية عن رد فعل غضبي أو تشنج أو تجهم إذا لم يستجب لدعوته مدعو، وإذا لم ينتصح لنصحه مخاطب.

5- وبخصوص موقع قريبك في قلوب العائلة، ونظرتهم إليه، حاول جهدك أن تفهمهم حسن نيته وجمال قصده؛ حتى يتسنى لهم احتضانه والصبر عليه.

6- حبِّبه إلى أطفال العائلة وحببهم إليه بالزيارة والاستزارة، والهدية، والكلمة الحانية المشجعة الرفيقة.

7- اعلم أخي الكريم -وما إخالك تغفل ذلك- أن الله هو الفاعل المختار سبحانه، هو المتصرف في الكون، بيده قلوب العباد يقلبها كيف يشاء؛ لذا يطلب منه الاستعانة بالدعاء خاصة بظهر الغيب، وفي الأوقات التي هي مظنة استجابة الدعاء، وبالأخص هذا الشهر المبارك، شهر رمضان، شهر المغفرة والقرب واستجابة الدعاء، فقد قال الحبيب المصطفى ﷺ: «الدعاء مخ العبادة» [سنن الترمذي]؛ بل: «الدعاء هو العبادة» [مسند الإمام أحمد] كما في حديث آخر.

أسأل الله أن يشرح للخير صدورنا، وأن يفتح مغاليق قلوبنا لذكره، وأن يرزقنا رحمة في قلوبنا، وحكمة في عقولنا، واستقامة في جوارحنا، وأن يبلغنا أعلى الدرجات أفرادا، وأن يرزقنا التمكين والنصر أمة. ووفقكم الله لكل خير، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

حينما يضيق أفق الداعية

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، ضيق الأفق آفة تصيب الكثير من الدعاة، فيكون ضررهم على الدعوة أكثر من نفعهم، وربما ينفرون من الدعوة والالتزام من حيث أرادوا النفع، فهم يحصرون أنفسهم في شرنقة ضيقة جدا متجاهلين سعة الكون الفسيح الذي هيأه الله لنا، فنرجو إلقاء الضوء على الداء والدواء، وجزاكم الله خيرا.

عبد الله- مصر

الرد

المستشار: الدكتور محمد محمود منصور.

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وبعد: فشكر الله لكم، وجزاكم الله خيرا كثيرا على حبكم لإسلامكم، وحرصكم عليه، وعملكم به وله.

أخي الحبيب، ضيق أفق الداعي هو تضييق للدعوة، وسعته سعة لها.

والمقصود بضيق أفقه أن يقتصر مثلا بالدعوة على المسجد فقط؛ لأنه أطهر بقاع الأرض، أو على الخطب والمواعظ والكلمات؛ لأن الخطباء يفعلونها، أو أن يبدأ دائما الدعوة بالحديث عن الصلاة؛ لأنها عماد الدين، أو أن يستخدم الترهيب أكثر من الترغيب، أو التيئيس أكثر من التشجيع، أو الشدة أكثر من الشفقة؛ لأنه يرى أن المدعوين لا يستحقون إلا ذلك، أو يتعجل ولا يصبر أكثر مما يتدرج،

أو يقاطعهم أكثر مما يخالطهم؛ لأنهم فسقة، أو لا يتحاور معهم بل يملي عليهم أوامره؛ فهو الأعلى وهم الأدنى، أو يحتكر الدعوة ويقصرها عليه وعلى العلماء، ولا يحمّلهم إياها بما يناسبهم؛ فهم ليسوا أهلا لها، أو يقتصر على دعوة الرجال دون دعوة النساء بضوابطها، أو الشباب دون الشيوخ والأطفال، أو رواد المسجد دون سائر أهل الحي ودون الجيران والأقارب والزملاء والأصحاب، أو يتصلب ويأخذ برأي واحد وهو الصواب، وما دونه من آراء -سواء فقهية أو حتى خبرات حياتية صحيحة- فهو وضعي من عند البشر خاطئ، أو يتقوقع وينعزل ويتجنب مَن حوله؛ لأن طعامهم شبهة، وأعمالهم بدعة، وأزياءهم تشبُّه بالكفار، أو يقدّم سُنّة على فرض، أو الفرض الذي على التراخي على فرض الوقت، دون مراعاة لترتيب الأولويات، أو يتشنّج ويتوتر ويتجهّم عند التعامل مع الآخرين؛ لأن في تعاملاتهم انزلاقا وتنازلا وتهاونا... أو ما شابه ذلك من تصرفات بعض الدعاة أخي الحبيب، **إن أهم أسباب هذا الداء ما يلي:**

- العقل: فهو يخشى من كل آخر؛ خوفا أن يكون سببا في تفريطه في الدين.
- البيت: فلا رأي فيه إلا للأب أو للأم أو حتى لهما معا، لكن لا رأي للأبناء، فينشئون غالبا بل بكل تأكيد لا رأي لهم.
- المدرسة: فلا رأي في الفصل إلا للمدرس إن كان له رأي هو الآخر غير رأي الناظر الذي بدوره يكون رأيه هو رأي الوزارة في الغالب.
- الجامعة: فلا رأي في المدرج إلا للأستاذ إن كان له رأي غير رأي رئيس الجامعة الذي رأيه كثيرا ما يكون هو رأي الوزير.

- العمل: فلا رأي إلا للمدير، والمبتكر متهور، والمتسائل غبي، والمفكر عنيد، فرأي المسؤول إذاً هو دائما الصواب.
- المجتمع: كثيره سلبي مستسلم لا رأي له، والمسؤول هو وحده المحرك الذي يعرف الحق، وعليه يسير على الدوام، والمتمسك فيه بدينه حتى ولو في نفسه فقط يعدّ غريبا متعصبا، وإن أراد أن يكون في موقع مسؤولية يديرها بقوانين وأخلاق الإسلام التي تربى عليها منذ صغره فهو إرهابي لا بد من محاكمته... فما ظنك بمجتمع كهذا؟! إنه ولا بد سيفرز جيلا غالبه ضيق الأفق.
- الدعاة: فهم يربّون عموم الناس ودعاة المستقبل من بعدهم، وينصحونهم بمثل ما هم فيه وعليه، فكر واحد، وإلا يكون الانحراف عن الصراط المستقيم.
- الخوف من الغير أن يفتنوه ويبعدوه عن دينه، فكلهم أو معظمهم غير آمنين، لا ثقة فيهم.
- الحرص على الإسلام أن يصيبه أي تحريف بسبب أي تجديد في أسلوب عرضه لا فيه.
- الراحة: فالانعزال -خاصة عن غير روّاد المساجد- أكثر راحة وأمانا في الدعوة.
- الخبرة: فلا احتكاك بآخرين حتى لا يصاب بأمراضهم؛ فالوقاية خير من العلاج كما هو معروف.
- العلم: فعلم الشرع وحده يكفي لإدارة الحياة دون العلوم الدنيوية.
- العشوائية: فالتخطيط معوّق، والبركة ستجبر أي تقصير.

أخي الحبيب، إن الدواء هو فعل عكس الداء السابق ذكره، وأهمه:

الفهم:

فهم أنّ الدعوة ليست في المسجد فقط، وإنما في كل مكان ممكن؛ في البيت، ومع الأهل والجيران والأقارب والأصحاب وأهل الحي وزملاء العمل على مسار الحياة كلها كما يقول تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾ [الْأَنْعَامِ: 122].

وأنها ليست بالخطب والمواعظ فقط، بل بالقدوة والموقف والخدمة والزيارة، والمشاركة في الأفراح والأحزان، كما كان يفعل الرسول ﷺ وصحابته الكرام، وباستخدام الأشرطة والكتيبات والمجلات والمحمول والإنترنت والفضائيات، وكل ما يستحدث وينفع.

وأنها ليست حكرا على العلماء وحدهم، وإنما كل فرد بما يستطيعه، ووسع الله الشريحة المدعوة في قوله: ﴿يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ﴾ [الأحقاف: 31].

وأنها للجميع رجالهم ونسائهم كما يفهم من قوله: ﴿يَا قَوْمَنَا﴾ بمراعاة الضوابط الشرعية كغض البصر، وعدم الخلوة، واختيار الكلام المناسب.

وأنها ليست بالضرورة أن تبدأ بالكلام عن الصلاة رغم أهميتها، ولكن كما علمنا أسلوب القرآن بتحليل شخصيات المدعوين، والتعرف عليهم، ومعرفة أهم المداخل للتأثير في قلوبهم، وزرع الحب والثقة بينهم وبين داعيهم، وربطهم بربهم، ومخاطبة ومعاملة كل منهم على حسب أحواله وظروفه وإمكاناته، ومفاهيمه وثقافاته، وبيئته المحيطة به.

وأنها بالتشجيع أفضل من التيئيس، وبالترغيب أقوى من الترهيب، وبالرفق أعظم من الغلظة، وبالتدرج أنسب من التعجل،

وبالحوار ألطف من الأوامر، وبالصبر أجمل من الانفعال، وبالمخالطة المنضبطة أشد من المقاطعة السلبية، وبالأمل والتفاؤل أنفع من التشاؤم.

وأنّ الإسلام كله يحتمل أكثر من رأي إلا الحرام فليس فيه إلا رأي واحد كما يقول تعالى مثلا سامحا بالحجاب أو النقاب: ﴿وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ [النور: 31] حتى يأخذ كل فرد بما يناسبه، ويناسب ظروفه وأحواله وبيئته فيسعد.

وأنّ ليس كل جديد بدعة، وقد قال ﷺ: «الحكمة ضالة المؤمن...» [جزء من حديث أخرجه الترمذي]، وليس كل تشبه بالخير الذي عند الغير، ولا كلّ تصرّف شبهة أو حراما، فقد رهن الرسول ﷺ درعه عند يهودي في مقابل شعير يأكله، وهو يعلم أنّ ماله فيه شبهة يختلط حلاله بحرامه؛ لأن الأصل في الأشياء الإباحة كما يقول تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً﴾ [البقرة: 29]، والاستثناء هو المنع لما يضر ويتعس.

وأنّ التخطيط وترتيب الأولويات هو أصل دعوي لا تسير الدعوة بدونه، كما هو فعل الرسول ﷺ وصحابته الكرام الذين خططوا للتربية وللتخصص؛ ليقودوا الدنيا بقوانين الإسلام ليَسعدوا ويُسعدوا، وحققوا بالفعل ما أرادوا.

وهذا الفهم الصحيح يتأتّى بالقراءة والاطلاع، ومعايشة الفاهمين الواعين وسؤالهم، ومتابعة الواقع؛ وهو ما يعين على تغيير كثير من المفاهيم وأساليب التفكير.

القدوة:

قدوة الوالدين مع أبنائهم في البيوت، والمدرسين مع تلامذتهم في المدارس، والأساتذة مع طلابهم في الجامعات، والمسؤولين مع مرءوسيهم، وكل داع مع مدعويه، يكون كل هؤلاء قدوة فيما سبق ذكره في بند الفهم، فإذا ما كانوا كذلك فلا بد أن ينشأ نشؤهم أيضا كذلك، كما كان الصحابة مثل الرسول ﷺ؛ فعن معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه -وكان حديث عهد بالإسلام- قال: «بينا نحن نصلي مع رسول الله ﷺ إذ عطس رجل من القوم، فقلت: يرحمك الله، فرماني القوم بأبصارهم، فقلت: واثكل أماه، ما شأنكم تنظرون إلي؟، فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم، فلما رأيتهم يصمّتوني سكتّ، فلما صلى رسول الله ﷺ فبأبي وأمي ما رأيت معلما قبله ولا بعده أحسن تعليما منه، والله ما قهرني، ولا شتمني، ولا ضربني، وإنما قال: إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس هذا، إنما هي التسبيح والتكبير وقراءة القرآن...» [جزء من حديث أخرجه أحمد]، فلقد تعلموا منه ﷺ في هذا الموقف وحده الحوار، وسعة الصدر، والصبر، والرفق، وعدم التوتر عند حل المشكلات؛ بل حلها ببساطة، والتدرج في الأخذ بيد المخطئ حتى ينصلح، والتيسير لا التعسير، والتفاؤل في تحقيق النتائج لا التشاؤم.

العلم:

فكلما ازداد العلم وتعددت الآراء كان هناك أكثر من رأي في التعامل مع كل موقف، وكلما اتسع الأفق ازداد عدد المتعاملين بهذا الإسلام المرن الشامل، وانتشر وساد.

يقول ﷺ: «أحق ما أخذتم عليه أجرا كتاب الله» [أخرجه البخاري]، وقد قاله لبعض الصحابة لما تحرّج بعضهم أن يأكل من غنم كانت أجرا لأحدهم قام برقية ملدوغ والدعاء له بقراءة الفاتحة فقال لهم: «وما يدريك أنها رقية، قد أصبتم، اقسموا واضربوا لي معكم سهما، وضحك» [أخرجه البخاري].

فقد تعلموا منه ﷺ هنا أنه أحيانا يظن الداعي أنّ الأمر شبهة وهو ليس هكذا، بل حلال، كأن يأكل مثلا عند جاره أو صديقه أو زميله أو مضيفه، وليس عليه أن يسأل عن مصدر ماله إلا ما يظهر له، ويتأكد دون أي شك أنه حرام.

الخبرة:

فخبرات الحياة تضيف بكل تأكيد سعة في التصرف، وقدرة على إحسانه، يقول تعالى على لسان هارون عليه السلام مبررا هدفه من انتظار عودة موسى عليه السلام، رغم ارتداد بعض قومه عن بعض دينهم: ﴿إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾ [طه: 94]. قال الإمام القرطبي: "... أي: خشيت أن أخرج وأتركهم، وقد أمرتني أن أخرج معهم، فلو خرجت لاتبعني قوم ولتخلف مع العجل قوم، وربما أدى الأمر إلى سفك الدماء، وخشيت إن زجرتهم أن يقع قتال"؛ فخبرة هارون عليه السلام بأحوال قومه وواقعهم جعلته يحسن التصرف معهم.

التدريب:

من خلال الدورات التدريبية التي لا بد أن يتبعها ممارسات عملية، فلقد جمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه الصحابة على صلاة القيام

في رمضان ليدرّبهم ويشجعهم عليها، رغم أنهم لم يتجمعوا لها في أثناء حياة رسول الله ﷺ وعاجلهم بقوله: «نعم البدعة هذه» [جزء من حديث أخرجه البخاري] توسيعا لفقههم وأفقهم وأسلوب تفكيرهم، فإن كنتم تظنون أني مبتدع بعد رسول الله ﷺ إذاً فهي بدعة، ولكنها حسنة!.

التخطيط:

معرفة وتحديد الأهداف المراد الوصول إليها، ووسائلها، ومن سيقوم بها، ومواقيتها، وميزانياتها... كل ذلك ولا شك يوسّع الأفق، ويدفع للتعاون مع الآخرين لإنجازها، ولعل في قصة هجرة الرسول ﷺ ودقة تخطيطه لها واستعانته بغير مسلم لدلالته على طريق آمن خير دليل على ذلك.

الانفتاح:

بالتواصل مع الجميع، والحوار معهم، والاستفادة من آرائهم واقتراحاتهم وخبراتهم.

يقول ﷺ منبها لهذا عند حديثه عن "حلف الفضول" الذي كان قبل الإسلام، وكان أعضاؤه من الفضلاء، وكانت مبادئه كلها إسلامية؛ حيث نصرة الضعفاء والمظلومين: "لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفا ما أحب أن لي به حمر النعم، ولو أدعى به في الإسلام لأجبت" (راجع سيرة ابن إسحاق)، فكل ما ينفع – من مسلمين أو غيرهم– يسعى إليه المسلم، لينتفع ويسعد به، وينفع ويسعد من حوله، ولا شك أن استخدام وسائل الاتصال الحديثة يعين كثيرا في هذا.

الصحبة:

فهي بصلاحها ووعيها تعين على كل ما سبق؛ إذ هي تؤثر بخيرها في غيرها، وتتأثر بخيرهم، وتغيّر شرهم.

بهذا كله أخي الحبيب يتسع الأفق، وينجح الداعي، وتنتشر الدعوة، ويكثر الخير، وتعم السعادة، ويزداد الثواب. وفقكم الله وأعانكم، ولا تنسونا من صالح دعائكم.

عندي مشكلة.. من يربي الذي يربيني؟!

أبي وشيخي وأستاذي الفاضل الدكتور فتحي يكن:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أرجو أن يتسع صدر فضيلتكم لهذا الأنين الذي يضج به صدري، وأن يتسع وقتكم لقراءة هذه السطور النازفة، والردّ عليها، لقد منَّ الله علي إذ عرفني الطريق إلى تلك الجماعة التي أحسبها إن شاء الله على الحق، فعملت لله من خلالها، لكني أرى بها أشخاصا يدّعون حملها وهم أبعد ما يكونون عنها.

أتصدّق يا سيدي أن القائم على تربيتي أسمع منه من نابي الألفاظ ما أنزه سمعك عن ذكره، وما لم أكن أصدقه لو حكي لي عنه، لكنه واقع نحياه، لمست يا سيدي من خلال المواقف التي رأيتها مع مسؤولي وغيره من الإخوة من حولي أنها ظاهرة ما أرسلت سؤالي إلا للإشارة إليها، إنه ضعف إيماني وتربوي، وضياع للثقة، وفقدان للأخوة، فالأخوة يا سيدي اجتماع على مبادئ وقيم، فكل الذي يجمعهم حب وأخوة، وكل من تجمعهم الدنيا يلتقون دائما في طريق واحد، هذا يا سيدي واقعنا الذي نحياه بكل مرارة وأسى، لقد أصبح كل الهم أن نصبح عددا فصرنا غثاء كغثاء السيل.

قد تلومني على فقدان الثقة، وكيف لا أفقدها وقد تأكدت أن مسؤولي لم يبلغ شكواي ويقسم أنه أبلغها؟! قد يكون لكل مجتمع عيوبه، ولكن يا سيدي مجتمعا كل أفراده دعاة إلى الله، ألا يتنزه عن مثل هذه المآسي، ألا تكون أخطاؤه مجرد اللمم؟!.

سيدي، إنني لم أقف مكتوف الأيدي، لقد حاولت في لقاءاتنا المجمعة أن يكون لي خاطرة في التذكير بالموت وباليوم الآخر، فإذا أصحاب الحول الواحد في الدعوة يبكون، وأصحاب العشرين عاما يضحكون.

أناشدك الله أن تدلّني على العلاج الناجع لتلك الظاهرة، لقد راجعت كتاب (قطوف شائكة)، ووالله يا سيدي إن كل من يحسُّون هذه المعاني ويتكلّمون فيها يهمَّشون ويبعدون، ويُتّهمون بعدم الفهم. معذرة على الإطالة، غير أني أحسست أني ألقيت حملا ثقيلا من على كاهلي.

محمد- مصر

الرد

المستشار: الدكتور فتحي يكن

الأخ الكريم محمد -حفظك الله تعالى-، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

فقد اطلعت على رسالتك، وعجبت كل العجب لما جاء فيها، وسبب عجبي كون الأشخاص المعنيين في الرسالة هم أعضاء في جماعة مشهود لها باهتمامها التربوي، بل إن الجانب التربوي هو ما يميزها عن غيرها!.

ودعني أتوقف وإياك عند عدد من النقاط، مستوضحا وموضحا:

- أن تقع بعض تصرفات نابية من فرد في جماعة فأمر مُنتظر وبديهي، أما إذا تكرر الخطأ واتسعت رقعته، وغدا ظاهرة، فهذا أمر يقتضي المعالجة السريعة.

- هل قمت بطرح القضية على المسؤولين وكاشفتهم بما حدث كواجب من واجبات النصح والحسبة في الدين؟، وكيف كان تصرفهم حيال الأمر؟

- أن تقوم من جانبك بتذكير إخوانك فهو خير ومحمدة، لكن المطلوب إجراء تصحيح عام مركزي في حال تفاقم هذه الأمراض والظواهر.

- لا أكتمك أن ظاهرة تراجع المستوى التربوي إلى ازدياد على امتداد الساحة الإسلامية، وهذا يعود إلى أسباب كثيرة، أبرزها عدم وضع ضوابط شرعية للعمل السياسي، وضعف مستوى القدوة، وغلبة الهم التمثيلي (النيابي أو النقابي أو غيره)، وتعطل المحاسبة والمراقبة، وعدم تكافؤ المناهج التربوية مع طبيعة المرحلة وتحديات العصر، وتقليدية المحاضن التربوية... إلخ.

لقد شغلت بالي كثيرا وطويلا ظاهرة تراجع الإيمانيات والأخلاقيَّات في الحركة خصوصا وعلى الساحة الإسلامية عموما، وقد جرى التركيز عليها في مؤلفاتي الأخيرة، ومنها:

- نحو صحوة إسلامية في مستوى العصر.
- التربية الوقائية في الإسلام.
- قوارب النجاة في حياة الدعاة.
- مشكلات الدعوة والداعية.
- قطوف شائكة من قلب التجارب الإسلامية... وغيرها.

ثم إن الكتابة والتأليف لا يكفيان لمعالجة أمثال هذه القضايا؛ حيث إن هنالك وجهات نظر مختلفة ومتعددة، ما يحتاج إلى مؤتمرات وخلوات ودراسات ووقفات طويلة تتناول هذه الظواهر، وتستكشف أسبابها وجذورها بتجرد وموضوعية وصدق مع الله وإخلاص له؛ حيث إن تحديات هذا الزمن والمستهلكات الإيمانية كثيرة وخطيرة، ما يحتاج إلى تفعيل المنتجات الإيمانية والأخلاقية، والله أعلم.

وأود بهذه المناسبة أن أضع بين يديك رسالة كنت قد كتبتها في إطار معالجة مشكلات شبيهة بالمشكلة التي طرحتها، قلت فيها:

عصر الاستهلاك الإيماني:

يشهد هذا العصر استهلاكا إيمانيا مريعا من شأنه أن يدفع بالكثير من المسلمين خاصتهم وعامتهم إلى هاوية الإفلاس الإيماني مصداقا لقوله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاَةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [مريم: 59]، وقول الرسول ﷺ: «خير أمَّتي القرن الذين يلوني، ثمَّ الذين يلونهم، ثمَّ الذين يلونهم، ثمَّ يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته» [رواه مسلم].

إن كل ما حولنا يصرفنا عن الله ويغرينا بالدنيا وشهواتها، ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾ [آل عمران: 14]، وصدق رسول الله ﷺ حيث يقول: «حُفَّت الجنَّة بالمكاره، وحُفَّت النار بالشهوات» [رواه مسلم].

وأكتفي بعرض نموذج بسيط حول عملية الاستهلاك الإيماني في زحمة من المواقع الاستهلاكية التي لا تبقي ولا تذر:

- أمامي نشرة أسبوعية مجانية تقع في نحو من أربعين صفحة، كل صفحة فيها تمتلئ بعشرات الدعوات والدعايات التي تستهلك الإيمان والأخلاق والوقت والمال، ولا تترك للإنسان فرصة للتنفس الإيماني السليم، فهذه دعوة إلى تنحيف الأجساد، وتأمين الأصدقاء، واستيراد الخادمات والحاضنات التي تتناسب مع

جميع الأذواق والميزانيات، وعرض لمقعد بكبسة زر يساعدك على النهوض، وعرض لمعالجة الصلع، أو إزالة الشعر نهائيا عن الأجساد وإلى الأبد، وعروض لا تُعدّ في عالم التجميل، وعروض لعلاجات متنوّعة للقضاء على الضعف والفشل الجنسي، وعروض لرفع الصدر وتنحيف الخصر والوشم وتغيير خلق الله، ناهيك عن عروض بيع السيارات، والمفروشات، والأدوات الكهربائية، والكمبيوترات، والفيلات، والشقق، والشاليهات، يرافق كل ذلك عروض سخية بالبيع المقسط يمكن أن يستهلك عمر الإنسان كله، يضاف إلى ذلك تنافس في عروض المطاعم وحفلات الطرب والرقص وما يمنع الحياء عن ذكره.

هذه مفردة صغيرة ومحدودة من وسائل الاستهلاك الإيماني، يضاف إليها عالم الإنترنت، وعالم الفضائيات، وما يذخر به من مثيرات ومغريات وفتن، وكل ما تمخض عنه العقل البشري من إغواء ووضع في خدمة الشيطان، فماذا يتبقى بعد ذلك؟

هل يتبقى وقت؟، هل يتبقى جهد؟، هل يتبقى عقل؟، هل يتبقى مال؟ هل يتبقى دين؟ هل تتبقى أخلاق؟، والنتيجة: ضياع العمر وسوء المصير، والنتيجة كذلك ظهور تنظيمات وجماعات "عُبَّاد الشيطان".

كيف نواجه هذا الكمّ من قوارض الإيمان؟

لا بد من مشاريع إنتاجية للإيمان تغالب الاستهلاك وتغلبه، وذلك يحتاج إلى قوة إرادة، وعزيمة، وصبر، ومجاهدة نفس، ومغالبة هوى لا تفتر ولا تتوقف.

إنه يحتاج إلى إنماء إيماني (فردي وجماعي، شخصي ومؤسَّسي) يماثل حجم الاستهلاك الإيماني أو عولمة الاستهلاك وفق منهج تربوي نوعي متكامل يكون في مستوى العصر وتحدياته، والله وليُّ الأمر والتوفيق.

انفصام الدعاة.. الأسباب والعلاج

الإخوة الأفاضل، أحييكم بتحيَّة أهل الجنَّة، فالسلام عليكم ورحمة الله، وهناك نقطتان أودُّ الاستشارة حولهما أو على الأقلّ طرحهما للنقاش:

الأولى: ما السبب يا ترى في الشباب الذي يلتزم صفوف الدعوة جديدا، فيكون شعلةً من النشاط العمليِّ والروحانيِّ، فهل يا ترى هو انطفاء شعلة الفضول الطيِّب للارتقاء لمستوى الالتزام أم أنَّه الوضع البشريُّ الطبيعيّ، وليس المنزَّه عن الأخطاء الذي يراه في صفِّ الدعوة، ما يدفعه للتراجع بعد أن توقَّع وجود صحابة الرسول يعيشون بأخلاقهم، ففوجئ بإخوة عاديِّين يخطئون ويصيبون، يذنبون ويستغفرون؟

الثانية: ما السبب يا تُرى لوجود انفصام الشخصيَّة عند عدد لا بأس به من الإخوة الملتزمين بل الناشطون في صفِّ الدعوة، حيث تراهُ إذا اختلى بنفسه أصبح شيطاناً من شياطين الإنس، مع العلم أنَّهم يحملون هَمَّ الدعوة في قلوبهم أكثر ممَّا يحمل الكثيرون غيرهم؟ وما علاج مثل هذه المشكلة؟. وجزاكم الله عنَّا وعن المسلمين كلَّ الخير.

أبو حذيفة

الرد

المستشار: الأستاذ محمد حسين عيسى & والدكتور كمال المصري

يا أخ أبو حذيفة، هناك عوامل كثيرةٌ توصِّل إلى ما ذكرتَ في سؤالك من انطفاء جذوة الإيمان والنشاط لدى البعض في قيامه بأعباء الدعوة، من هذه العوامل:

1- سنَّة الله تعالى في خلقه أن فطرهم على الخير والشرّ، قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا* فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا* قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا* وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾ [الشَّمس: 7- 10]، فالفلاح لمن تزكَّى، وذكر اسم ربِّه فصلَّى، والخيبة لمن تلهَّى، وأتبع نفسه هواها، وتمنَّى على الله الأمانيّ، فتكون الحياة اختباراً للمؤمن بالنظر إلى سواه، وكيف يقصِّرون أو يعصون، وعندها يستوحش الطريق لتفرُّده فيه، وفي هذا التفرُّد اختبارٌ آخر، حتى يكون سيره إلى الجنَّة لغير طلبٍ لسواها.

2- طبيعة الفطرة البشريَّة التي جُبِلت على ذلك، مصداقاً لحديث رسول الله ﷺ: «إنَّ لكلِّ عملٍ شِرَّة، ولكلِّ شِرَّةٍ فترة، فمن كانت شِرَّته إلى سنَّتي فقد أفلح، ومن كانت فترته إلى غير ذلك فقد هلك» [رواه أحمد والترمذيُّ والطبرانيّ، ورجاله رجال الصحيح].

ومعنى الحديث: أنَّ سنَّة الله في كلِّ خلقه أن يشتدَّ نشاطه، ثم يصيبه الملل والكلل والكسل، أي: أن يتحمَّس الإنسان ويهتمَّ ويجتهد ويعمل، ثمَّ يصاب بالفتور والتكاسل... وهكذا.

3- عدم الواقعيَّة في التصوُّر والعمل، فواقع البشر الخطأ لأنَّ «كلّ ابن آدم خطَّاء، وخير الخطائين التوابون» [رواه الترمذي، وابن ماجه، والحاكم، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه].

بل إنَّ الخطأ كان في الصحابة أنفسهم ﷺ، ويقول الله ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَواْ إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: 201]، فإذا تصوَّر الإنسان جماعةً بلا ذنوبٍ أو أخطاء

فهو غير واقعيّ، وبدلاً من التراجع عليه أن يراجع نفسه هو ليتوافق مع الواقع، ولكنَّ هذا لا يعني التسليم بالأخطاء، ولكن نصحّح الخطأ، ونقوِّم المِعْوَجَّ سويًا، وننطلق للعمل جميعا.

4- فضل الله ورحمته بعباده أن يعينهم ويوفِّقهم ويؤيِّدهم في البدايات؛ حتى يسيروا في الطريق المستقيم، وبعد أن يبيِّن لهم فيعرفون الطريق، ويعملون فيه، ويتذوَّقون حلاوته، يتركهم واجتهادهم بعد أن أقام عليهم الحُجَّة بالعلم والعمل والحال، فالموفَّق من اجتهد وظلَّ على اجتهاده، وعاد من فترته إلى شِرَّته؛ حتى يأتيه العون والمدد من الله تعالى.

هذه أخي بعض العوامل المساعدة في انطفاء جذوة الإيمان، ويبقى السؤال الأهمّ: إذا كان الحال كذلك، فما العمل؟

والإجابة في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الْعَنْكَبُوت: 69]، فمن جاهد نفسه وأعادها إلى طبيعة النشاط والعمل فهو الذي يُهدَى ويُؤيَّد، وعندها يتساءل: واشوقاه للبدايات، فإن نازع نفسه وشيطانه ومضى في طلبه للجنَّة مهما كان الطريق موحشاً ومظلما، فستشرق عليه شمس الهداية ثانية، وسوف يرى الإمداد من الملائكة في كلِّ خطواته عوناً وتأييداً، وقبولاً وتيسيراً.

وهكذا دوام الحال من المحال، والفلاح ألا يستسلم للدَّعَة والكسل فيقع في حبائل الشيطان، فيأسره في مواطن البدع والعصيان.

وهكذا يا أبا حذيفة فإنَّ ما شرحته في سؤالك أمرٌ بشريٌّ وفطريّ، ولكنَّ شرع الله تعالى يطالب بالمجاهدة وعدم الركون والاستسلام.

أمَّا عن التساؤل الآخر يا أبا حذيفة فإنَّ في إجابة السؤال الأوَّل بعض الإجابة عنه، ولكنِّني أزيدك فأقول:

من عجائب القلب البشريِّ أنَّه يكون فيه الإيمان والكفر، والخير والشرّ، وهو صراعٌ لا يتوقَّف حتى خروج الروح من الجسد، فأيُّهما غلب، وأيُّهما علا كان له زمام القيادة والسيادة، والنبيُّ ﷺ يقول: «إنَّ للشيطان لمَّة بابن آدم، وللمُلْك لمَّة، فأمَّا لمَّة الشيطان فإيعادٌ بالشرِّ، وتكذيبٌ بالحقِّ، وأمَّا لمَّة الملك فإيعادٌ بالخير، وتصديقٌ بالحقِّ» [رواه الترمذيّ، وقال: هذا حديثٌ حسنٌ غريب]، فالقلب مسرح معركةٍ دائمةٍ بين أمداد الملك وأُلقيات الشيطان، لا يخلو غالباً من حقٍّ وخيرٍ، وباطل وشرّ، فإذا غفل العبد عن قلبه، ولم يَنْفِ أُلقيات الشيطان، ويستجلب بطاعته أمداد الملك، احتلَّ الشيطان أرض ومسرح الصراع والنضال، فضعفت مقاومته ومحاولته برغم ضعف كيد الشيطان، فإن استعان العبد بالتوبة والصلاح وخير الأعمال انخنس الشيطان وفرَّ رعبا، وقيل له: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ [الْحِجْرِ: 42]، والشيطان جبانٌ لا ينتصر ويقوى كيده إلا في الخلوات والفلوات: «فإنَّما يأكل الذئب من الغنم القاصية»[المستدرك للحاكم]، فإذا اعتاد العبد الخلوة عن الصالحين والأقوياء، تفرَّد به شيطانه فناغى غرائزه ومطالبه؛ ظنّاً أنَّه لا رقيب ولا حسيب، وبالاعتياد تستسلم النفس أمام مطالبها، وكما قلنا إنَّ الله الخالق سبحانه قد قال وقوله الحقّ: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا* فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا* قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا* وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾ [الشَّمْسِ: 7-10]، فالخير والشرُّ والنزوع إلى أيِّهما مركوزٌ في الخِلْقة، بل هذه هي خاصيَّةٌ في النفس البشريَّة، والصراع ماضٍ في النفس طول الحياة، وعلى مدار العمر مثل

الحقّ والباطل يصطرعان حتى يوم القيامة، والحقُّ وحزبه والباطل وحزبه لا تقوم بينهما هدنة، والحرب سجال، والغلبة والعاقبة للمتّقين، والمتّقون على خطر عظيم، وجند الله هم الغالبون.

فلا عجب يا أبا حذيفة ممّا تجد من أحوال هؤلاء الدعاة، فهم بين كرٍّ وفرٍّ، وإقبالٍ وإحجام، فالأمر جهادٌ واجتهاد، فمن اجتهد فأخطأ فله أجر، ومن اجتهد فأصاب فله أجران، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: 200]، وهذا هو النبيُّ ﷺ الأتقى والأعلم يجأر إلى ربه، ويقول: «يا حيُّ، يا قيُّوم، برحمتك أستغيث، لا تكلني إلى نفسي طرفة عين» [رواه الحاكم، وقال: هذا حديثٌ صحيحٌ على شرط الشيخين، ولم يخرجاه]، ويقول ﷺ: «إنَّ الدِّين يُسْر، ولن يُشادَّ الدينَ أحدٌ إلا غلبه، فسدِّدوا وقاربوا، وأبشروا، واستعينوا بالغُدْوة والرَّوحة، وشيءٍ من الدُّلْجة» [رواه البخاري].

والعلاج: إيقاظ الإيمان بالرقيب القريب، ثم اعتياد الصحبة والمخالطة النافعة، ويعين على ذلك أنَّ الله يسمع ويرى، ويعلم في كلِّ آنٍ وحينٍ وحالٍ ومكان، والكرام الكاتبون يعلمون ما تفعلون، والجوارح كلُّها تشهد لا تغيب، وسوف تُستَشهَد فتشهد عليك يوم الحساب، بل الأرض والكون سيتحدَّث بأخبارك كلِّها، لا يُكتَم منه شيء.

كانت هذه إجابة الأستاذ محمَّد حسين عيسى، ويضيف الدكتور كمال المصري:

أولا: المشكلتان اللتان ذكرتهما يا أخي تنبعان من منبعٍ واحد؛ وهو طبيعة النفس البشريَّة التي جُبِلت على التقلُّب وعدم الاستقرار، فتراها في صعودٍ وهبوطٍ مستمرّ.

ثانيا: يجب الانتباه دائماً إلى أنّنا بشرٌ ولسنا ملائكة، هكذا خلقنا الله تعالى، وهكذا أرادنا ويريدنا أن نكون، ولو كان يريدنا بصفات الملائكة، لكان من العبث أن يخلقنا بصفات البشر، تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً، وإذا أردنا أن نتصرّف نحن على أنّنا لسنا من البشر، خرجنا عمّا أراده الله لنا من كوننا بشراً نصيب ونخطئ، ننشط ونفتر، نرضى ونغضب، فعلينا الانتباه لهذا الأمر جيّدا.

ثالثا: من قال إنّ الصحابة لم يكونوا يخطئون؟ هذا الفهم "التقديسيّ" للصحابة خطيرٌ ومرعب، الصحابة يا أخي لهم فضلهم وسبقهم رضي الله عنهم أجمعين، ولا يمكن لعاقلٍ أن يُنكر ما قدّموه من دعمٍ للرسول ﷺ، ولا ما فضّلهم به وقدّمهم بذلك على الأُمّة بأسرها إلى يوم القيامة، ولكنّهم أوّلاً وأخيراً بشر، أعيدها ثانية: "بشر"، يتصرّفون كالبشر، وعاشوا كالبشر، وإلا فبماذا نفسّر أخطاءهم التي أخطئوها في عهد النبيّ ﷺ؟ وما أحداث غزوة أحدٍ منّا ببعيد، وكيف نفهم القرآن الذي نزل في حادثة الإفك في سورة النور، وفي الثلاثة الذين خُلِّفوا في سورة التوبة؟ أليس كلُّ ذلك تأكيداً على "بشريّتهم"؟!.

يا إخواننا الدعاة، إنّ الله تعالى أكّد على بشريّة الرسول ﷺ، وعاتبه على بعض تصرّفاته، فكيف بمن هم دونه؟ قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ [فصلت: 6]، وقال سبحانه: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ* لَّوْلاَ كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [الأنفال: 67، 68]، وقال ﷻ: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى* أَن جَاءهُ الأَعْمَى* وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى﴾

[عَبَسَ: 1-3]، وآيات سورة الإسراء لمَّا طلب المشركون من رسول الله ﷺ طلباتٍ عدَّة: أن يفجُر لهم من الأرض ينبوعاً، أو تكون له جنَّةٌ يأكل منها، أو يُسقط من السماء كِسَفاً عليهم، أو يرقى هو إلى السماء، فقال لهم بوضوح: ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلاَّ بَشَراً رَّسُولاً﴾ [الإسراء: 93]؟

سؤالٌ أخير: لِمَ جعل الله سبحانه كلَّ هذا قرآناً يُتلى إلى قيام الساعة؟ أليس لكي ندرك ذلك تماماً بغير لبسٍ أو خطأ؟

إنَّنا والله نزداد تقديراً وإعجاباً برسولنا ﷺ وصحابته الكرام ﷺ، حين ندرك بشريَّتهم، وأنَّهم رغم هذه البشريَّة وصلوا إلى ما وصلوا إليه من قربٍ وحبٍّ لله تعالى، وعزمٍ وهمَّةٍ في الدعوة إليه.

رابعا: مسألة "الانفصام" التي ذكرتَها أخي من المسائل الخطيرة التي تعاني منها الدعوة الإسلاميَّة اليوم، وهي ذات قسمين:

القسم الأوَّل: ما تفضَّل به أستاذنا محمَّد حسين من كون هؤلاء الدعاة بشرا، يتصرَّفون كما يتصرَّف البشر، وبذلك يكون لفظ "الانفصام" غير منطبقٍ على هؤلاء، إذ هو ليس بانفصامٍ بقدر ما هو سوء فهمٍ وتقديرٍ من الناس لهؤلاء الدعاة، أو صورة من صور "التقديس" و"التبجيل" لهم، وهذا خطأٌ ووهمٌ واضح.

القسم الثاني: "الانفصام" بمعناه الحقيقيّ، وهم من تصدَّروا لأمر الدعوة لحاجةٍ في النفوس، وغرضٍ من الدنيا، وهؤلاء على نوعين:

نوعٌ أحسن الابتداء، ولكنَّ قلبه فسد، وغرَّته الدنيا لمَّا تولَّى مسؤوليَّةً ما أو منصباً دعويّاً ما، وهذا النوع يُرجى صلاحه إن شاء الله تعالى، وعلى إخوته تنبيهه إلى خطر ما هو عليه.

ونوعٌ آخر وجد في طريق الدعوة فرصةً لكسبٍ ما، أيّاً كان نوعه (كسب ماديّ، وشهرة، ومصالح وعلاقات، وغير ذلك)، وهذا النوع كان وصوله في الغالب إلى منصبٍ أو مسؤوليّةٍ ما بسبب كونه ابناً أو قريباً لأحد كبار الدعاة، فاستغلَّ ذلك، أو صعد في غفلةٍ من الزمن وسط مجموعةٍ تهمل التربية والتوجيه، وهذا النوع برؤه صعب، وإن كان الله يهدي من يشاء، ولكنَّ المعطيات الماديَّة تشير إلى صعوبة العلاج.

وهؤلاء وصفهم النبيُّ ﷺ بقوله: «لأعلمنَّ أقواماً من أُمَّتي يأتون يوم القيامة بحسناتٍ أمثال جبال تهامة بيضا، فيجعلها الله ﷻ هباء منثورا»، قال ثوبان (راوي الحديث): يا رسول الله، صفهم لنا، جلِّهم لنا، أن لا نكون منهم ونحن لا نعلم، قال: أما إنَّهم إخوانكم ومن جِلْدتكم، ويأخذون من الليل كما تأخذون، ولكنَّهم أقوامٌ إذا خلَوا بمحارم الله انتهكوها» [رواه ابن ماجه بسندٍ صحيح].

وعموما، فالعلاج يكمن في إعادة تربية هؤلاء وَتأهيلهم، وتذكيرهم دائماً بالله تعالى، وبما أعدَّه للمؤمنين به المخلصين له، وتحذيرهم من الرياء وحبِّ النفس كيف أنه يهدم كلَّ ما نبني ولا نجني منه شيئا، وأنَّ ما كان لله دام واتَّصل، والتأكيد باستمرار على شأن النيَّة ودورها وأثرها في حياة المسلم، وبحديث الفاروق ﷺ المتَّفق على صحَّته: «إنَّما الأعمال بالنيَّات، وإنَّما لكلِّ امرئٍ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأةٍ ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه».

فهذا هو الحال يا أخي نسأل الله السلامة، وما علينا إلا أن نلتزم بما ذكرته أمُّ المؤمنين أمُّ سلمة رضي الله عنها لمَّا سئلت عن أكثر دعاء النبيِّ ﷺ فقالت: «كان النبيُّ ﷺ يُكثِر أن يقول: يا مقلِّب القلوب، ثبِّت قلبي على دينك» [رواه الترمذيّ].

قُطاع طرق وليسوا بدعاة

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، سؤالي هو: زوجي إمام مسجد، كثيرا ما ألاحظ عليه أنه يصلي الجمعة فقط، وبعض الأيام لا يصلي، اكتشفت ذلك عندما وجدته ينام كثيرا، وحين يستيقظ أقول له: تعال نصلّ معا، يقول لي بأنه قد صلى، فأندهش: كيف صلى ووقت الظهر والعصر قد مرا وهو نائم؟، وفي بعض الأحيان يجيبني بأن القلم يرفع عن النائم، لكن ما أثار انتباهي هو أنه لم يغتسل من الجنابة إلا اليوم الثاني، زوجي يتهاون في الصلاة، فما حكم الشرع في ذلك وهو إمام الناس يثقون فيه ويتبعونه في الصلاة؟

سؤالي الثاني هو: إنني أحاول أن أحافظ على صلاتي، ولكنني أؤخرها لأشغال معينة أو الغفلة، بالله عليكم أرشدوني إلى كيفية الحفاظ على الصلاة، كنت أتمنى أن يكون زوجي محفزاً لي في ذلك، لكنه يعاني من الغفلة مثلي، فعندما أحاول أن أوقظه يفتري علي بأني لست أهلا لهذا الدين، وبأن الحجاب الذي أضعه لا يليق بي؛ وفي بعض الأحيان يلعن ديني وربي وأخلاقي، وحين حكيت هذه الأمور لصديقتي مُنع من الإمامة بالناس، وقال: أنت السبب في ذلك؛ لكنه لا يعلم بأن فوقه من هو مطلع على ذلك.

أفيدوني جزاكم الله خيرا.

MATAOUI- أمريكا

الرد

المستشار: فريق الاستشارات الدعوية.

يقول الأستاذ عصام تليمة الباحث الشرعي وعضو فريق الاستشارات:

أختي الكريمة، إن ما ذكرته طامة من الطوام، بل كارثة من الكوارث، أن يصبح الداعية إلى الخير سراجا يضيء للناس وقلبه يحترق، أو أن تغرق سفينة النجاة بالناس، أو أن يصبح الأمر كما يقول العوام: "باب النجار مخلّع"، فيقول الواعظ خلاف ما يفعل، أو يفعل خلاف ما يقول، يأمر بالمعروف ولا يأتيه، وينهى عن المنكر ويأتيه، وقد جعل الله ﷻ ذلك من الكبائر والمقت فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ* كَبُرَ مَقْتاً عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ﴾ [الصَّفّ: 2-3]، إنه أمر ممقوت، وممقوت عند من؟ عند الله جل وعلا.

وقد تحدث القرآن عن هذا الصنف من أهل العلم أو الدعاة إلى الخير الذين لا يفعلون ما يأمرون به، فشبههم بحيوانين: الكلب والحمار، يقول تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِيَ آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ* وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَـكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث﴾ [الأعراف: 175، 176]، فهذا مثل عالم السوء الذي يعمل بخلاف علمه، وتأملي ما تضمنته هذه الآية من ذمه، وذلك من وجوه كما يقول الإمام ابن القيم رحمه الله:

أحدها: أنه ضل بعد العلم.

وثانيها: أن الشيطان أدركه ولحقه بحيث ظفر به وافترسه، ولهذا قال: (فأتبعه الشيطان)، ولم يقل: تبعه، فإن معنى "أتبعه" أدركه ولحقه، وهو أبلغ من "تبعه" لفظا ومعنى.

وثالثها: أنه غوى بعد الرشد، والغي: الضلال في العلم والقصد، وهو أخص بفساد القصد والعمل، كما أن الضلال أخص بفساد العلم والاعتقاد، فإذا أُفرد أحدهما -أي الضلال والغواية- دخل فيه الآخر، وإن اقترنا فالفرق ما ذُكر.

ورابعها: أنه سبحانه لم يشأ أن يرفعه بالعلم، فكان سبب هلاكه، لأنه لم يرفع به، فصار وبالا عليه، فلو لم يكن عالما كان خيرا له، وأخف لعذابه.

وخامسها: أنه سبحانه أخبر عن خِسَّة همته، وأنه اختار الأسفل الأدنى على الأشرف الأعلى.

وسادسها: أن اختياره للأدنى لم يكن عن خاطر وحديث نفس، ولكنه كان عن إخلاد إلى الأرض، وميل بكليته إلى ما هناك.

وعبر عن ميله إلى الدنيا بإخلاده إلى الأرض؛ لأن الدنيا هي الأرض وما فيها، وما يستخرج منها من الزينة والمتاع.

وسابعها: أنه رغب عن هداه واتبع هواه، فجعل هواه إماما له يقتدي به ويتبعه.

وثامنها: أنه شبهه بالكلب الذي هو أخس الحيوانات همة، وأسقطها نفسا، وأبخلها، وأشدها كَلَباً، ولهذا سمي كلبا.

وشبه من يعمل بخلاف ما يقول بالحمار، وذلك في قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللهِ وَاللهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾

[الجمعة: 5]. يقول الشهيد سيد قطب: "فبنو إسرائيل حملوا التوراة، وكلفوا أمانة العقيدة والشريعة (ثم لم يحملوها)، فحملها يبدأ بالإدراك والفهم والفقه، وينتهي بالعمل لتحقيق مدلولها في عالم الضمير وعالم الواقع، والمسلمون الذين غبرت بهم أجيال كثيرة، والذين يعيشون في هذا الزمان، وهم يحملون أسماء المسلمين ولا يعملون عمل المسلمين، وبخاصة الذين يقرءون القرآن والكتب، وهم لا ينهضون بما فيها، أولئك كلهم كالحمار يحمل أسفارا، فليست المسألة مسألة كتب تحمل وتدرس، إنها مسألة فقه وعمل بما في الكتب".

إن أفضل وصف نستطيع أن نطلقه على هؤلاء هو ما سماهم الإمام ابن القيم: "قطاع الطرق"، إذ يقول: "علماء السوء جلسوا على باب الجنة يدعون إليها الناس بأقوالهم، ويدعونهم إلى النار بأفعالهم، فكلما قالت أقوالهم للناس: هلموا، قالت أفعالهم: لا تسمعوا منهم، فلو كان ما دعوا إليه حقا كانوا أول المستجيبين له، فهم في الصورة: أدِلاّء، وفي الحقيقة: قُطَّاع الطُّرق".

أخطاء بدرت منك:

أختي الفاضلة، بداية قبل أن أدخل في الخطوات العملية لعلاج زوجك مما هو فيه، أود أن أقف وقفة معك، من خلال ما سطرته يداك في هذه الرسالة، إذ إنها بيَّنت عدة أخطاء وقعتِ فيها أختي الكريمة، وهذه الأخطاء هي:

أولا: أخطأت بروايتك لصديقتك ما صدر من زوجك من تقصير، وهو ما أدى إلى منعه من الإمامة بالناس، ومن رواية ما بدر منه من ألفاظ، فأنصحك في مثل هذه الأمور ألا تشتكي إلا لمن

يملك الحل والعلاج، أما غير ذلك فستكون العواقب وخيمة، والنتائج سيئة، بل أنصحك بأن لا تشعري زوجك بأنك تعلمين أنه كاذب في كلامه معك من حيث أداء صلاته من عدمها، بل أوهميه بتصديقك له، وأنه قدوتك الحية، فإن المرء المريض بمثل هذه الأمراض أكثر ما يهيجه ويجعله يشرد عن الصواب أن يفاجأ بأن من حوله يعلمون حقيقة كذبه وخداعه، ومن العلاج في مواقف كهذه عدم المصارحة بمعرفة ما يحدث منه، بل مدّ حبل الهداية له، فكثيرا ما يكون من أسباب الشرود الشديد عن الحق اكتشاف أمر الإنسان الذي بينه وبين ربه، حتى وإن اطلع عليه بعض الناس، ولكِ أن تشعريه بأنك تعلمين تقصيره في أداء الصلوات، وأن تعرضي لذلك بدون تصريح أو تكذيب صريح له، فقد كان رسول الله ﷺ يحرص على كتمان ما يرى من أهل المعاصي، ويتعامل معهم بحكمة، حتى يعود بهم إلى حظيرة الهداية، ومن ذلك ما روي عن موقفه مع سيدنا خوّات بن جبير ﷺ، وقد كان خوّات بن جبير جالسا إلى نسوة من بني كعب بطريق مكة، فطلع عليه رسول الله ﷺ فقال: يا أبا عبد الله، مالك مع أولاء النسوَة؟، قال: يَفتِلن ضفيرا لجمل لي شَرُود، يقول خوات ﷺ: فمضى رسول الله ﷺ لحاجته، ثم طلع عليّ فقال: أبا عبدِ الله، ما ترك ذلك الشّرادَ بعدُ؟، قال: فسكتُّ واستحيَيتُ، فكنت بعد ذلك أتفرد منه كلما رأيته حياء منه، حتى قدمت المدينة، وبعدما قدمت المدينة، حتى طلع عليّ وأنا أصلي في المسجد فطوّلت، فقال: لا تُطوّل فإنّي أنتظرك، فلما فرغت قال: يا أبا عبد الله، ما ترك ذلك الجمل الشّرادَ بَعدُ؟ قال: فسكت واستحيَيتُ، فقام، فكنت أتفرد منه حتى لحقني يوما وهو على حمار وأنا أريد قُباء، وقد جعل رجليه في شق واحد، فقال:

أبا عبد الله، ما ترك ذلك الجمل الشّرادَ بَعدُ؟ قلت: والذي بعثك بالحقّ ما شرد منذ أسلمتُ، قال ﷺ: الله أكبر، اللهم اهد أبا عبد الله.

قال الراوي: فحسن إسلامه، وهداه الله، وله الحمد.

وذكر غير واحد: أنه ﷺ لما قال له: ما فعل جملك الشرود؟، قال: عقله الإسلام يا رسول الله.

والشاهد هنا: أن رسول الله ﷺ رأى خوات وهو في موضع ريبة، فما كان منه إلا أن تغافل عنه، وغض الطرف عنه، ولما سأله وأجاب أوهمه أنه اقتنع بالإجابة، وهو في قرارة نفسه يعلم حقيقة الأمر، ثم بيّن له بلطف أنه يفهم دون جرح له، ولم يسأله عن حقيقة الموقف، بل سأله كلما رآه عن جمله الشرود، وهو تعريض من رسول الله ﷺ، فكانت بعد ذلك إجابته لرسول الله ﷺ: والذي بعثك بالحق ما شرد منذ أسلمت!.

ثانيا: أنك ظننت أن على زوجك وحده النهوض بك، بينما نسيت أن من واجبك أنت أيضا النهوض بزوجك عباديا، وحياتيا، ودعويا، فكلاكما مكمل للآخر، فالحديث الشريف يقول: «رحم الله رجلا قام من الليل فصلى وأيقظ امرأته، فإن أبت نضح في وجهها الماء، رحم الله امرأة قامت من الليل فصلت، وأيقظت زوجها، فإن أبى نضحت في وجهه الماء» [رواه أبو داود، وقال الألباني: حديث صحيح]. أي أن الأمر مشترك بينهما، ولا يركن كلاهما إلى الآخر.

علاج الزوج:

أما عن العلاج أختي للخروج بزوجك من هذه الكبوة، فأقترح ما يلي:

أولا: ابحثي عن رفقة صالحة لزوجك من أهل الدعوة إلى الله، وممن يوثق بهم، الذين قيل عنهم: من إذا ذكرت الله أعانوك، وإن نسيت ذكروك، ممن تفيض جوانبهم بالحكمة والتقوى، وممن يملكون الخبرة في إصلاح القلوب، ويحسنون فن التعامل مع نوعية زوجك، يحاولون معه النهوض به إيمانيا، يستثيرون فيه كوامن الإيمان، ويبعدون عنه شيطان نفسه، ويجعلونه يقترب من الله سبحانه وتعالى أكثر.

ثانيا: إذا كان زوجك نائما في وقت الصلاة فأيقظيه بلطف ورفق وحب كي تصليا معا، ويصلي بك إماما، وهذه بداية، ثم بعد ذلك شجعيه على الصلاة في جماعة، وليتك تتحملين في البداية بعض التعب، فإن كان في مسجدكم مكان للنساء، فكوني حريصة على الخروج لصلاة الجماعة معه وعودا معا، فإن المرء يجد في صلاة الجماعة راحة نفسية غير صلاة البيت، وهذا شعور يشعر به كل من ذاق حلاوة صلاة الجماعة.

ثالثا: أحسني تعاملك معه، ولا تجعلي هذه الأزمة تغير من نظرتك إليه، ويشعر بأنك تنظرين إليه نظرة أقل مما كانت من قبل، بل أدّي إليه حقوقه الزوجية كأحسن ما ينبغي أن يكون، وأحسني عشرته، فإن ذلك من العوامل التي تقوي العلاقة، وتجعله يقبل منك النصح.

رابعا: احذري من فتح الموضوع معه مباشرة، أو تذكيره بين الحين والآخر بهذا التقصير والضعف، أو تعييره به وقت الغضب، أو النقاش الحاد في الموضوع، فإن هذا الأمر يزيد الأمر تعقيدا، ولا يصل بكما إلى حل.

خامسا: احذري من استفتاء أهل التشدد في هذا الأمر، فإن أيسر ما سيفتيك به المتشددون في ذلك: اهجريه، ثم اطلبي منه الطلاق، فإنه كافر، فترك الصلاة كفر، وهو مذهب الإمام أحمد، لا ننكر ذلك، ولكن هناك من الآراء رأي آخر وهو رأي الجمهور يقول: إنه ليس بكافر، بل هو مسلم عاصٍ، يُصبر عليه، ويعان على أدائها، ويدعى للالتزام بها بالرفق والحسنى، فقد تصادفين في مشكلتك هذه كتابا أو شريطا أو داعية من أهل التشدد في هذه القضية، فتتأثرين به، وتأخذك الحمية والعجلة والتسرع لتنفيذ ما سمعت أو ما قرأت، فتكون القشة التي تقصم ظهر البعير.

سادسا: حاولي النقاش معه دوما في موضوعات خطبه التي يطرحها في صلاة الجمعة نقاش من يريد الاستفادة والتعلم، وبيني تأثرك بموضوعاته وقيمتها العلمية، ومدى استفادتك منها، واقترحي عليه موضوعات، وشاركيه في تحضير خطبة الجمعة، لعل ذلك يقربك منه، ويقربه منك، ويجعل للنصيحة منك قبولا.

سابعا: هناك فئة من الناس وبخاصة من لهم عناية بالعلم الشرعي، ومن هم من أهل الخطابة لا يتأثرون بوعظ، وبخاصة في كلام الجنة والنار، بل قد نرى تأثرهم بأمر آخر، فابحثي عما يؤثر في زوجك، فأنت أدرى به، فقد يؤثر فيه موقف إنساني شديد، وقد يؤثر فيه موت أحد الأحباب أو الأصدقاء، فاستغلي مثل هذه المواقف لتستثيري إيمانه الكامن، وتقهري به شيطانه، وقد يؤثر فيه إشرافه على دفن ميت، أو تغسيله وتكفينه، إلى آخر ما هو من المؤثرات على الإنسان، المهم ألا تقفي عند مؤثر واحد يمكنك به التغيير من حال زوجك.

ثامنا: لا تيأسي من دعوة زوجك والصبر عليه، فكم من أناس فقدنا الأمل في دعوتهم، ولكن كانت الأيام تفاجئنا بهدايتهم، بل وبسبقهم لنا في العمل والدعوة والصلاح، وانظري إلى قول أحد الصحابة عن عمر بن الخطاب: لو أسلم حمار الخطاب ما أسلم عمر، ومع ذلك أسلم عمر ﷺ، وأصبح عمر بن الخطاب بما له من مواقف من العشرة المبشرين بالجنة، والملقب بالفاروق.

تاسعا: ساعدي زوجك على أن يستمر في العمل الدعوي بالخطابة وغيرها، حتى وإن كان لا يعمل بما يقول، فإن ذلك أدعى لالتزامه وعودته إلى العمل بما يقول، فترك الأمر بالمعروف لعلة عدم إتيانه خطأ، وهو مدخل من مداخل الشيطان، وقد اختلف العلماء قديما عن حكم الآمر بالمعروف وإن لم يأته، هل يترك ذلك؟، والراجح من ذلك: أن يستمر في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

عاشرا: أخلصي له في الدعاء، بأن يصلح الله من شأنه، فبقدر حبك له بقدر ما يكون دعاؤك لله بهدايته، وإصلاح حاله، فبرغم كفر عمر بن الخطاب، وبرغم عداوة أبي جهل للإسلام، وقف النبي ﷺ يدعو الله بهذا الدعاء: «اللهم أعز الإسلام بأحب هذين الرجلين إليك: بأبي جهل، أو بعمر بن الخطاب» [رواه الترمذي بسند صحيح]، فقد دعا الله بهدايتهما، وطلب أبو هريرة ﷺ من رسول الله ﷺ أن يدعو لأمه بأن تهتدي وتسلم، وذلك لحبه لأمه، وخوفه عليها من عذاب الله، فما كان من رسول الله ﷺ إلا أن دعا الله لها بالإسلام، فأسلمت.

وعلى قدر حبك له على قدر ما سيكون جهدك معه في علاجه، والصبر على ذلك، فأظهري هذا الحب في علاقتك به، وفي دعائك

لله سبحانه وتعالى، ولا بأس بأن تدعي الله سبحانه وتعالى بهذا الدعاء، وبخاصة إذا سمعه زوجك: "اللهم اهدنا، واهد بنا، واجعلنا سببا لمن اهتدى".

فأحيانا عندما يصادف الإنسان المقصر في طاعة الله أو المذنب ساعة يسمع فيها من يحبه يدعو الله له، تكون سببا في تغييره، وقد حكى الشيخ الشعراوي رحمه الله أن صديقا له يحبه، وكان الشيخ الشعراوي آنذاك مدخنا، فسمع الشعراوي صديقه عند الكعبة المشرفة يبكي ويدعو الله قائلا: يا رب، اللهم اجعل الشعراوي يترك التدخين ولا يعود إليه؛ يعلق على ذلك الشيخ الشعراوي: فعز علي ما رأيت، وهزني هزا، وجعلني أشعر بقشعريرة، وأحس بأن ما أفعله خطأ لا بد من تركه، فأقسمت ألا أدخن مرة أخرى، وأقلعت تماما عن التدخين.

فأخلصي أختي الكريمة في الدعاء لزوجك بأن يصلح الله حاله، ويغير حاله إلى أحسن حال.

حادي عشر: وهي نصيحة لك، وهي ألا تربطي تدينك بشخص، بل عليك أن ترتبطي بالمبادئ لا بالأشخاص، فالتزامنا يكون بالإسلام، لا بالإسلاميين، نلتزم بالمبدأ حتى وإن جاءنا على أيدي علماء أجلاء، فالإنسان أصله الضعف والتقصير، فلو ربطنا الحق بالناس لضعنا، وضاع الحق معنا، فلا عصمة لأحد إلا الأنبياء، وقد علّم القرآن المسلمين الثبات على المبدأ، والارتباط به لا بالأشخاص، وذلك في غزوة أحد، عندما نما إلى علم البعض وفاة رسول الله ﷺ، وحدث ما حدث من عبث الشيطان بالبعض للتخلي عن أمر الإسلام، فقد مات حامل الرسالة ﷺ، فنزل قول الله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ

وَمَن يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَن يَّضُرَّ اللهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: 144]، فلا تربطي التزامك وتدينك بزوجك، مهما تغير حاله، ولكن اربطيه برب زوجك المطلع عليه وعليك سبحانه وتعالى.

علاج تقصيرك:

أما عن تقصيرك وغفلتك أختي في أداء الصلوات، فأنصحك بما يلي:

1- مراقبة الله تعالى، واستشعار مراقبته لك وأنه مطلع عليك، وسوف يحاسبك على ما تقدمين وما تؤخرين.

2- الوقوف على عقاب من يؤخر الصلاة عن وقتها، فقد قال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ* الَّذِينَ هُمْ عَن صَلاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [الْماعُون: 4، 5]، لم يقل: تاركون، بل قال: ساهون.

3- نظمي مواعيدك وأشغالك، بحيث تنتهي عند وقت الصلاة، لا تكون الصلاة في منتصفها، وبذلك تنشغلين عن أدائها.

4- بخصوص صلاة الفجر، يمكنك ضبط "المنبه" على وقت الصلاة، أو اقتناء الساعات التي تنبه الإنسان عند وقت كل صلاة، أو أن تطلبي من إحدى صديقاتك ممن تقوم لصلاة الفجر بأن تذكرك بالهاتف بالصلاة، وكذلك كل صلاة، إلى مدة معينة حتى تعتادي ذلك.

5- أكثري من القراءة في فضل أداء الصلاة على وقتها، وسماع الأشرطة في ذلك.

هذا ما لدي من نصح في أمرك، وهو أمر يسير على من يسره الله له، نسأل الله لنا ولك الهداية والتوفيق، وأن يقينا وإياك الغفلة والتقصير، اللهم آمين.

أخطاء يقع فيها الدعاة

بسم الله الرحمن الرحيم، كثرت في الأيام الأخيرة ظاهرة الوقوع في أعراض الدعاة وتقسيمهم ونسبتهم إلى أحزاب، وهجومهم على بعضهم البعض بالحاد من الألفاظ، فما رأيك في ذلك؟

لمياء- مصر

الرد

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فوظيفة الداعية الأساسية تختلف باختلاف من يوجه إليه خطابه، فإن كان المخاطب غير مسلم يجتهد في أن ينقل له صورة الإسلام الصحيحة، ويدعوه للإيمان بالله، فهذه هي مهمة رسل الله سابقا، ومهمة الدعاة بعد الرسل؛ ولذا على الدعاة أن يتخلقوا بأخلاق أنبياء الله.

أما إذا كان المدعوون من المسلمين فإن مهمة الدعاة حينئذ توضيح ما أشكل على الناس من أمور دينهم، ومعالجة الأخطاء التي يقعون فيها.

ولذا فعلى الداعية أن يخلص عمله لله تعالى، وأن يتخلق بخلق الأنبياء والعلماء، وعلى الدعاة أن يترفعوا عن الصغائر والدنايا، وأن يعملوا على تجميع شمل الأمة لا على تفريقها.

أما ما يحدث الآن من الذين دخلوا حقل الدعوة حديثا وصاروا يكيلون الاتهامات لبعضهم البعض، ويخطئون بعضهم البعض على

المنابر وفي وسائل الإعلام الأخرى فقد ابتعدوا عن نهج النبي ﷺ في معالجة الأمور، وهم بذلك يضرون بالدعوة، فإذا قلنا إن هناك خطأ، فإن هناك العديد من الوسائل التي من خلالها يمكن تقويم هذا الخطأ ومعالجته في نطاق لا يثير البلبلة أو الضغينة.

يقول سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله:

إن الله ﷻ يأمر بالعدل والإحسان، وينهى عن الظلم والبغي والعدوان، وقد بعث الله نبيه محمداً ﷺ بما بعث به الرسل جميعاً من الدعوة إلى التوحيد، وإخلاص العبادة لله وحده، وأمره بإقامة القسط، ونهاه عن ضد ذلك من عبادة غير الله، والتفرق والتشتت، والاعتداء على حقوق العباد.

وقد شاع في هذا العصر أن كثيراً من المنتسبين إلى العلم والدعوة إلى الخير يقعون في أعراض كثير من إخوانهم الدعاة المشهورين، ويتكلمون في أعراض طلبة العلم والدعاة والمحاضرين، يفعلون ذلك سرا في مجالسهم، وربما سجلوه في أشرطة تنشر على الناس، وقد يفعلونه علانية في محاضرات عامة في المساجد.

وهذا المسلك مخالف لما أمر الله به ورسوله من جهات عديدة منها:

أولا: أنه تعدٍّ على حقوق الناس من المسلمين، بل من خاصة الناس من طلبة العلم والدعاة الذين بذلوا وسعهم في توعية الناس وإرشادهم وتصحيح عقائدهم ومناهجهم، واجتهدوا في تنظيم الدروس والمحاضرات وتأليف الكتب النافعة.

ثانياً: أنه تفريق لوحدة المسلمين وتمزيق لصفهم، وهم أحوج ما يكونون إلى الوحدة، والبعد عن الشتات والفرقة، وكثرة القيل والقال

فيما بينهم، خاصة أن الدعاة الذين نيل منهم هم من أهل السنة والجماعة المعروفين بمحاربة البدع والخرافات، والوقوف في وجه الدعاة إليها، وكشف خططهم وألاعيبهم.

ولا نرى مصلحة في مثل هذا العمل إلا للأعداء المتربصين من أهل الكفر والنفاق، أو من أهل البدع والضلال.

ثالثاً: أن هذا العمل فيه مظاهرة ومعاونة للمغرضين من العلمانيين والمستغربين وغيرهم من الملاحدة الذين اشتهر عنهم الوقيعة في الدعاة، والكذب عليهم، والتحريض ضدهم فيما كتبوه وسجلوه.

وليس من حق الأخوة الإسلامية أن يعين هؤلاء المتعجلون أعداءهم على إخوانهم من طلبة العلم والدعاة وغيرهم.

رابعاً: إن في ذلك إفساداً لقلوب العامة والخاصة، ونشراً وترويجاً للأكاذيب والإشاعات الباطلة، وسبباً في كثرة الغيبة والنميمة، وفتح أبواب الشر على مصاريعها لضعاف النفوس الذين يدأبون على بث الشبه وإثارة الفتن، ويحرصون على إيذاء المؤمنين بغير ما اكتسبوا.

خامساً: أن كثيراً من الكلام الذي قيل لا حقيقة له، وإنما من التوهمات التي زينها الشيطان لأصحابها، وأغراهم بها، وقد قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلاَ تَجَسَّسُوا وَلاَ يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضاً﴾ [الحجرات: 12].

والمؤمن ينبغي أن يحمل كلام أخيه المسلم على أحسن المحامل، وقد قال بعض السلف: لا تظن بكلمة خرجت من أخيك سوءاً، وأنت تجد لها في الخير محملاً.

سادساً: ما وجد من اجتهاد لبعض العلماء وطلبة العلم فيما يسوغ فيه الاجتهاد فإن صاحبه لا يؤاخذ به، ولا يثرب عليه إذا كان أهلاً للاجتهاد، فإذا خالفه غيره في ذلك كان الأجدر أن يجادله بالتي هي أحسن، حرصاً على الوصول إلى الحق من أقرب طريق، ودفعاً لوساوس الشيطان وتحريشه بين المؤمنين.

فإن لم يتيسر ذلك، ورأى أحد أنه لا بد من بيان المخالفة فيكون ذلك بأحسن عبارة وألطف إشارة، ودون تهجم أو تجريح أو شطط في القول قد يدعو إلى رد الحق أو الإعراض عنه، ودون تعرض للأشخاص أو اتهام للنيات أو زيادة في الكلام لا مسوغ لها، وقد كان الرسول ﷺ يقول في مثل هذه الأمور: ما بال أقوام قالوا: كذا وكذا.

فالذي أنصح به هؤلاء الإخوة الذين وقعوا في أعراض الدعاة، ونالوا منهم أن يتوبوا إلى الله تعالى مما كتبته أيديهم، أو تلفظت به ألسنتهم مما كان سبباً في إفساد قلوب بعض الشباب، وشحنهم بالأحقاد والضغائن، وشغلهم عن طلب العلم النافع، وعن الدعوة إلى الله بالقيل والقال والكلام عن فلان وفلان، والبحث عما يعتبرونه أخطاء للآخرين وتصيدها، وتكلف ذلك.

كما أنصحهم أن يكفروا عما فعلوا بكتابة أو غيرها مما يبرءون فيه أنفسهم من مثل هذا الفعل، ويزيلون ما علق بأذهان من يستمع إليهم من قولهم، وأن يقبلوا على الأعمال المثمرة التي تقرب إلى الله، وتكون نافعة للعباد، وأن يحذروا من التعجل في إطلاق التكفير أو التفسيق أو التبديع لغيرهم بغير بينة ولا برهان، وقد قال النبي ﷺ: «من قال لأخيه: يا كافر فقد باء بها أحدهما»، متفق على صحته.

ومن المشروع لدعاة الحق وطلبة العلم إذا أشكل عليهم أمر من كلام أهل العلم أو غيرهم أن يرجعوا فيه إلى العلماء المعتبرين، ويسألوهم عنه ليبينوا لهم جلية الأمر، ويوقفوهم على حقيقته، ويزيلوا ما في أنفسهم من التردد والشبهة، عملاً بقول الله ﷻ في سورة النساء: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلاَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاَتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ [النساء: 83].

والله المسؤول أن يصلح أحوال المسلمين جميعاً، ويجمع قلوبهم وأعمالهم على التقوى، وأن يوفق جميع علماء المسلمين وجميع دعاة الحق لكل ما يرضيه وينفع عباده، ويجمع كلمتهم على الهدى، ويعيذهم من أسباب الفرقة والاختلاف، وينصر بهم الحق، ويخذل بهم الباطل، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه، ومن اهتدى بهداه إلى يوم الدين. والله أعلم.

خواطر نقدية للدعاة

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، عندي بعض النصائح للدعاة، ولكن أوَّلا أريد أن آخذ رأيكم فيها:

1- الاهتمام أكثر بقضيَّة إثبات العقيدة والهويَّة الإسلاميَّة، فالملاحظ أنَّ كثيراً من الدعاة كي يتقرَّبوا إلى الناس يقعون في معاصٍ، وهذا يضرُّ بالدعوة أكثر ممَّا ينفعها؛ لأنَّ علينا أن نفهم جيِّداً أنَّ أهمَّ دعوةٍ نقوم بها هي الدعوة العقائديَّة.

لا بدَّ أن نظهر دوماً أمام الناس فخورين بإسلامنا، حريصين على تطبيق كلِّ شيء فيه، حتى لو غضب الناس كلُّهم منَّا، أقوياء لا ضعفاء، واثقين من انتصار الإسلام والإسلاميين في نهاية الأمر، مُظهرين لقوَّة الإسلام وشجاعة المسلم المستعدّ لأيّة تضحية في سبيل دينه، سواء كانت بالمال أو بالأمن، وليس فقط مُظهرين لطيبة وزهد الإسلام.

فالواقع الفعلي أنَّ أغلب الناس قد أصبحوا مشتاقين للسماع عن قوَّة الإسلام، بينما ملُّوا الحكايات الخاصَّة بطيبة المسلمين (خاصَّةً في ظلِّ هذه الظروف التي يتمُّ فيها تحدِّي الإسلاميين بشتَّى الطرق)، ونتيجةً لهذا المظهر الضعيف من جانب كثير من الدعاة المعتدلين، فقد لاحظتُ أنَّ كثيراً من الناس أصبحوا يُحبُّون دعاة العنف (أمثال بن لادن).

2- الاهتمام بالتأثير في الناس، وليس بإعجاب الناس بالداعية، فكثيراً ما يصفق الناس للداعية فور إتمامه كلامه، ثمَّ بعد ذلك لا يُطبِّقون شيئاً واحداً ممَّا يقول؛ لأنَّه يخاطب العواطف ويلهبها، ولكنَّه لا ينفذ إلى العقل وإلى التغيير الحقيقيِّ للفكر، وكثيراً ما يهاجم الناس الداعية، ثمَّ يجدون أنفسهم بعد ذلك منساقين لفعل كلِّ ما يقوله لهم، هذا بناءً على ممارستي للدعوة منذ سنين.

3- المبالغة في الأخذ بالضرورات الدعويَّة، فمثلاً في رمضان الماضي كان هناك برنامج "كنوز" على قناة "اقرأ"، والبرنامج فكرةٌ دعويَّةٌ ممتازة؛ لأنَّه يستضيف غير المتديِّنين (أمثال الممثلين في المسلسلات العاديَّة)، وبذلك يستجلبهم للتدين، ويستجلب معهم كلَّ المعجبين بهم، ولكن لماذا تكون هناك مذيعة في البرنامج؟، ولماذا تلجأ المذيعات في مثل هذه البرامج إلى استضافة الرجال وإكثار الحديث معهم بما يتعدَّى الشرع؟، والزيّ الذي تلبسه هؤلاء المذيعات كثير الزركشة بما يلفت نظر أيّ شابٍّ، وأنا شخصيّا أشعر بصورة واضحة بأنَّ فيه فتنة، ففيه أحمر وأخضر فاتح، وألوان واضحة الفتنة، وأسلوب كلامهنّ أيضاً فيه تجاوزٌ شرعاً، مثل: المزاح مع الضيف الرجل... إلخ.

كلُّ هذه السلوكيَّات تُوضِّح أنَّ الداعية لا يُقدِّر الضرورة بقدرها الصحيح، ويبالغ في التيسير للتقرُّب من المدعوين، بما يفقده القضيَّة كلَّها، حيث إنَّ المدعو يشعر في قرارة نفسه أنَّ هذا شخصٌ ليس متديِّناً أصلا، وبالتالي لا يسمع له.

4- من صور المبالغة في الأخذ بالضرورات الدعويَّة كثيرٌ من مراكز الخدمات الملحقة بالمساجد، نجد فيها تلفزيون، ويتمّ فيه تشغيل مناظر الراقصات والممثلات العاريات بصورة عاديَّة جدّا، لم يتمّ تقدير الضرورة بقدرها الصحيح، فقد نحتاج إلى تركيب تلفزيون في هذه المراكز لأسباب معيَّنة، ولكن من المهمّ جدّا أن نحرص على ألا نشغل فيه إلا الأمور البسيطة، وليس مشاهد الراقصات، والمغنِّيات، والقبلات... إلخ.

5- أحبُّ أن أشيد في هذا الصدد بفضيلة الدكتور يوسف القرضاوي، فهو مثالٌ عمليٌّ قويٌّ على تطبيق (أنَّ الضرورة تُقدَّر بقدرها)، فهو يهاجم كثيراً من المسؤولين دون أن يُغضبهم، وينصحهم دون أن يمدحهم، ويهادنهم دون أن يداهنهم، ويحرص على عدم الاختلاط كُلَّما أمكن ذلك، فمثلاً في إحدى الندوات عن تعدُّد الزوجات كان فضيلته يجلس

وظهره للمكان المخصَّص للفتيات المتبرِّجات، فيا ليت الدعاة وبعض قادة الحركات الإسلاميَّة يراعون هذه الدِّقة في تقدير الضرورة بقدرها.

6- أرى أنَّ الواقع الفعليّ يحتاج إلى ترسيخ قيمة (المتديِّن) في المجتمع، فلقد صار كثيرٌ من الناس يسوُّون بين الإنسان الفاشل دينيّا وبين الإنسان الفاشل دنيويّا، والله ﷻ لم يسوِّ بينهما مطلقاً، فالإنسان المتديِّن الحريص على تطبيق الشريعة حتى وإن كان جاهلاً بها، وحتى وإن كان يكسل عن تطبيقها أو يسهو في بعض الأحيان، وحتى وإن كان له أوجهٌ من الفشل الدنيوي، هو خيرٌ ألف مرَّة من غير المتديِّن الذي لا يهتمُّ أصلاً بتطبيق الشريعة، ويرى أنَّه أذكى منَ المتديِّنين، وأنَّهم يضيِّعون وقتهم هباء.

هذه هي الحقيقة وفقاً لكلِّ آيات القرآن المحكمات، وهذه الحقيقة ينبغي أن نُركِّز عليها حتى لا "يطفش" المتديِّنون من التديُّن، فمن المعروف أنَّ أيَّ إنسان في الدنيا في بداية تديُّنه يكون ضعيفاً وعنده أخطاء كثيرة، وكلُّنا جربناً هذه المرحلة، فعلينا أن نثبِّت المتديِّنين، لا أن نسويهم بمنتهى البساطة بأولئك الذين يحرقون البخور للحكام، أو يسكتون عن حرق البخور لهم، ولا يرون غضاضةً في موالاة الأمريكان تحت شعار (إحنا ضعفاء)، وأنا هنا أتعرَّض لظاهر الأعمال لا للحكم على القلوب.

الرد

المستشار: الأستاذ فتحي عبد الستار.

أخي الحبيب ياسر، سعدتُ برسالتك الطيبة التي تفيض كلماتها وحروفها بالغيرة على ديننا الحنيف وأتباعه، فأسأل الله عز جل أن يبارك فيك، ويتقبل منك، وبعد:

فقد تحدثت أخي في رسالتك عن موضوعات عدة، تدور كلها في فلك واحد، وهو تقديم النصح لدعاة الإسلام في أمور ترى أنها

لازمة وواجبة، وهنيئاً لك الأجر من الله ﷻ على ذلك.

وأستأذنك أن أناقش معك بعض ما طرحت من أفكار ووصايا في رسالتك:

طلبت أولاً من الدعاة أخي الحبيب الاهتمام أكثر بقضيَّة إثبات العقيدة والهويَّة الإسلاميَّة، وقلتَ: "علينا أن نفهم جيِّداً أنَّ أهمَّ دعوةٍ نقوم بها هي الدعوة العقائديَّة".

ولعلك تعني بإثبات العقيدة ترسيخها وتثبيتها، فإن كنت تعني ذلك فأنا معك بالطبع في أهمية أن يعمل الدعاة على ترسيخ العقيدة في نفوس الناس، ولكن بأية طريقة يرسخونها؟ هذا هو السؤال.

لا بد أن يتعلم الناس العقيدة متمثلة في السلوك، لا على أنها مجرد نصوص تُحفَظ وتُردَّد فقط، كما أن الإسلام أخي ليس عقيدة فقط، إنما هو عقيدة وعمل، عقيدة تستقر في القلوب، ويصدقها عمل الجوارح، فالعقيدة والعمل جناحان لا ينفصلان، ولا قيمة لأحدهما دون الآخر.

ثم تحدثتَ أخي عن وقوع بعض الدعاة في المعاصي بدعوى التقرب إلى الناس؛ كمشاهدة التلفزيون معهم، وكلامك هذا يصير صحيحاً بالطبع، لو كان هؤلاء الدعاة يشاركون الناس في مشاهدة المواد المحرمة على شاشة التلفزيون، أما مجرد مشاهدة التلفزيون أخي ياسر فليست محرمة لذاتها كما أفتى العلماء، فالتلفزيون وسيلة إعلامية كغيرها من الوسائل، وجهاز كغيره من الأجهزة، يمكن استعماله في المفيد والضار، والحسن والقبيح.

ولا ينبغي التعميم والإطلاق في هذا الأمر، فلو شاهدت أحد الدعاة يشاهد التلفزيون وحده أو مع جماعة من الناس، فلنتحقق أولاً

ممَّ يشاهد، ولتُحسن الظن به، فإن وجدته يشاهد ما لا حرمة فيه فليس لك أن تنتقده أو تعيب عليه، أما إذا شاهدته يفعل عكس هذا ويشاهد ما تحرم مشاهدته تحت أية دعوى ولو كانت دعوة الناس والتقرب إليهم فهنا وجب عليك نصحه وتذكيره أنه ما هكذا تورَد الدعوة، وأن في الوسائل الصحيحة الحلال الغَناء.

ثم دعوتَ أخي الكريم الدعاة إلى الفخر بإسلامهم، والحرص على تطبيق كلِّ شيءٍ فيه، حتى لو غضب الناس كلُّهم.

وللوهلة الأولى يبدو كلامك منطقيًا مقبولاً، ولا خلاف على المبدأ، ولكن لو تحدثنا عن التطبيق فإننا نجد قواعد يجب مراعاتها، فإن كنت تقصد بالفخر بإسلامنا ألا نتحرج من الأحكام الشرعية وتنفيذها، والآداب الإسلامية ومراعاتها، فهذا ما لا يعارضك فيه أحد، بل نوافقك عليه ونؤيدك مصداقاً لقوله ﷻ: ﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾ [النساء: 65]، وقوله: ﴿كِتَابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ فَلاَ يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: 2].

وإن كنت تقصد أيضاً مواجهة الاستهزاء والإيذاء بعزة وشمم، والاستمساك بالذي هو حق، فهذا أيضاً ما لا ينازعك فيه أحد، ﴿وَمَا لَنَا أَلاَّ نَتَوَكَّلَ عَلَى اللهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا﴾ [إبراهيم: 12]، ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: 173]، أو اتباعاً لمنهج نبي الله نوح عليه السلام الذي حكاه عنه القرآن، فعندما سخر منه قومه لتنفيذه أوامر الله ﷻ واجه هذه السخرية

مفتخراً بطاعته لله ﷻ، محولاً سخريتهم عليهم قائلاً: ﴿إِن تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾ [هود: 38].

فليس معنى الفخر بإسلامنا أن نتكبر على الناس بالتزامنا، فالله ﷻ يقول: ﴿كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ [النساء: 94]، ولنا نحو الناس واجب، وهو ما أمرنا به الله ﷻ، أن ندعوهم إلى سبيله بالحكمة والموعظة الحسنة، وأن نجادلهم بالتي هي أحسن.

وليس معنى الفخر بإسلامنا أن نصدم الناس بأحكام الشرع، بأن نعرضها عرضاً ينفرهم ويزعجهم دون مراعاة لعقلياتهم وبيئتهم وما درجوا عليه، بل يجب علينا التدرج معهم، والسير معهم خطوة خطوة، فليس هدفنا إغضابهم، بل تعليمهم وهدايتهم، فالتدرج سُنَّة من سنن هذا الدين، ومَعْلَم من أهم معالمه، هكذا علمنا الله سبحانه، فقد تدرج التشريع الإلهي الحكيم مثلا في تحريم الخمر، حيث ذمَّها أولاً في آيتين ليهيئ القلوب والنفوس لتحريمها، ثم حرَّمها في آية ثالثة.

كما أن النبي ﷺ -مؤيَّدا بالوحي- بدأ بتأسيس العقيدة، واستغرق في ذلك المرحلة المكية بأكملها، ثم شرع في بناء المجتمع والدولة، فنزلت التشريعات تنظم حياة الناس.

وفي ذلك تقول عائشة رضي الله عنها: «إنما نَزَل أول ما نزل منه -أي القرآن- سورة من المُفصّل، فيها ذِكْر الجنة والنار، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شيء: لا تشربوا الخمر، لقالوا: لا ندع الخمر أبداً، ولو نزل: لا تزنُوا، لقالوا: لا ندع الزنا أبداً» [رواه البخاري].

أما ما ذكرتَه أخي الحبيب من اتجاه الناس لتفضيل دعاة العنف، وإرجاعك هذا للمظهر الضعيف الذي يظهر به كثير من الدعاة المعتدلين على حد قولك، فأحب أولاً أن أتفق معك على أن الدين لا يخضع لأهواء أحد، ولا ينصاع لتعجل المتعجلين، ولا اندفاع المندفعين، وسيرة النبي ﷺ تشهد بذلك، وتشهد باعتماده ﷺ للمرحلية والتخطيط الواعي المتزن، بعيداً عن ردود الأفعال والانفعال السريع غير المنضبط.

كانت تلك مبادئ النبي ﷺ في دعوته، مبادئ لا يحيد عنها، ولا تتأثر بالضغوط، ولو كان ﷺ يستجيب لردود أفعال صحابته وينساق وراءهم في اندفاعهم لما تم هذا الدين، ولما انتصرت الدعوة ووصلت إلى أقاصي الأرض، ولما وصلتنا خالصة نقية سائغة، ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾ [الحجرات: 7].

والداعية يجب أن يجعل النبي ﷺ أسوته في ذلك، فيثبت على الحق، ولا تدفعه شطحات الناس وميولهم واندفاعاتهم إلى تنكُّب الطريق المستقيم للدعوة، ليرضي أهواءهم على حساب دعوته، مهما كانت الضغوط والفتن.

وأنت نفسك قد أشرتَ لهذا عندما انتقدتَ تركيز الداعية على إعجاب الناس به، دون التأثير فيهم بالخير، فيعطيهم ما يريدون من إلهاب العواطف وإثارة المشاعر دون أن يوجِّه هذه العواطف والمشاعر التوجيه الصحيح، ويصقلها بالفقه الدعوي والحركي، وهذا مما ينافي الإخلاص بالطبع.

ولكن لا يمنع هذا من أن يسعى الداعية بالطبع لامتلاك المفاتيح والأدوات التي تفتح له قلوب الناس؛ حتى يستطيع أن يؤثر فيهم ويغيرهم إلى الأفضل، فيحوز الفضلَين.

يأتي بعد ذلك ما عبرتَ عنه بالمبالغة في الأخذ بالضرورات الشرعية، والتي تقصد بها التوسع في الترخُّص باعتبار الضرورة، وأنا معك بالطبع في عدم صواب ذلك، حيث إنه يؤدي في نهاية الأمر إلى تمييع الدين، والاستهانة بأحكامه.

ومن ناحية المثال الذي ذكرتَه (مذيعات القنوات الفضائية الإسلامية)، فإن الإسلام لا يمنع أن تحاور المرأة الرجال وتناقشهم، ولكن في ظل ضوابط وآداب حددتها الشريعة المطهرة، منها: عدم الخلوة، والجديَّة أثناء الحديث، وتحديد الكلام، وعدم الخضوع بالقول، وغض البصر المتبادَل، والالتزام بالزيِّ الشرعي، فلا يصف ولا يشف، ولا يُظهِر إلا الوجه والكفين، ولا يلفت النظر بالمبالغة في الزركشة والزينة.

وإذا تأكد أن عمل المرأة في هذا المجال يؤدي إلى فتن محققةٍ لا يمكن تفاديها فالمنع أولى، تبعاً لقاعدتي سد الذرائع، ودرء المفاسد.

ولعل حداثة تجربة القنوات الفضائية الإسلامية، وعمل النساء المحجبات فيها، يجعل مثل هذه الأخطاء تحدث، لذا فقد وَجَبَتْ المتابعة من قِبَل العلماء، والتوجيه المستمر لهذه القنوات لكي تلتزم بالآداب الإسلامية، وتؤدي رسالتها التي أنشئت من أجلها، ولا تدفعنا مجاراة الواقع الإعلامي إلى تمييع ديننا، والتنازل عن أحكام ديننا ومبادئنا وأخلاقنا.

أما حديثك عن مراكز الخِدمات الملحقة بالمساجد، ووجود تلفزيون فيها يعرض مناظر الراقصات والممثلات العاريات بصورةٍ عاديَّةٍ جدّا، فقد تعجبتُ جدّا من هذا، وإمكانية حدوثه، وكيف يسمح القائمون على هذه المراكز بذلك، إلا أن يكون الخبر مبالغاً فيه، أو بسبب تجاوز فردي غير مسؤول من أحد الأفراد العاملين في تلك المراكز.

والواجب حيال ذلك -إن تأكد حدوثه بالفعل- هو تقديم النصح للقائمين على تلك المراكز، ومن يشرف عليهم ويتابع عملهم، وبيان عدم جواز حدوث هذه المنكرات في هذه الأماكن لحرمتها أولاً، واحتراماً لبيوت الله ﷻ، وتنزيهاً لها عن هذه المنكرات.

فإن أصرّوا على ذلك ولم ينتهوا، فيمكن أن تعلن لهم مثلاً أنك ستقاطع هذا المركز، وستدعو غيرك إلى ذلك إن لم يكفوا عن هذا الفعل الذي ينتهك حرمة بيوت الله ﷻ.

نأتي إلى النقطة الأخيرة التي أثرتها في رسالتك، والمتمثلة في قولك: "فالإنسان المتديِّن الحريص على تطبيق الشريعة -حتى وإن كان جاهلاً بها، وحتى وإن كان يكسل عن تطبيقها، أو يسهو في بعض الأحيان، وحتى وإن كان له أوجهٌ من الفشل الدنيوي- هو خيرٌ ألف مرَّةٍ من غير المتديِّن الذي لا يهتمُّ أصلاً بتطبيق الشريعة، ويرى أنَّه أذكى من المتديِّنين، وأنَّهم يضيِّعون وقتهم هباء".

وقد قرأت هذه الفقرة من كلامك مرات لأفهم كيف يكون الإنسان متديناً، ويحرص على تطبيق الشريعة، وفي نفس الوقت هو جاهل بها، ويكسل عن تطبيقها؟! فما مظاهر تدينه إذاً؟ وما فهمه للتدين؟

ثم كيف نُفضّل من يحمل هذه الصفات التي ذكرتَها مضافاً إليها الفشل الدنيوي على غيره من الأذكياء الناجحين؟ ما الذي يميزه لنفضله؟

إن التدين أخي الحبيب ليس مجرد ادعاء، أو لقبا يطلقه المرء على نفسه، أو يطلقه عليه غيره، دون أن يكون لهذا الادعاء ما يؤيده من أفعال.

أما إن كنت تقصد الاعتقاد، فأظن أن حتى من نطلق عليهم لقب (غير المتدينين) عندهم نفس اعتقاد صاحب الصفات التي ذكرتها، من اعتقاد في صحة الشريعة ووجوب الالتزام بها، وإن كان يمنع هذا (المتدين) الجهل والكسل والسهو، فأولئك أيضاً ربما تمنعهم نفس الموانع.

كلامك يصير مقبولاً في حالة المقارنة بين من يختار التدين له طريقاً ويحاول قدر إمكانه أن يتعلم أحكامه ويطبق ما يتعلمه مدافعاً الكسل والتقصير، وبين من يرفض حكم الشريعة لحياته، ولا يُقبِل على تعلمها وتطبيق أحكامها، فلا شك أن الأول أفضل بالطبع.

أنا معك في ألا يكون التفوق أو النجاح الدنيوي معياراً أو مقياساً للحُكم على الأفراد، ولكن فرقٌ أخي الحبيب بين من يحاول ويفشل، وبين من يكون فشله ناتجاً عن كسل وإهمال.

فما معنى أن يكون المتدين فاشلاً وسط الناجحين من غير المتدينين؟، ما الصورة التي يقدمها لدينه وتدينه ومَن حوله يرونه على هذه الحالة؟!.

إنه بذلك قد يعطي صورة سيئة جدّا عن الدين والتدين، بل وقد يعتقد البعض أن تدينه هو سبب فشله، وأن الدين والتمسك بأحكامه عائق في طريق النجاح.

إن المسلم المتدين مطالب بأن يتفوق في جميع مجالات الحياة، ليكون علامة مضيئة تزيّن جبين دينه، ويعطي المثال الرائع لإثبات أن التدين والتمسك بأحكام الدين ليس عائقاً أبداً عن النجاح في نشاطات الدنيا المختلفة، وهو بذلك يستطيع أن يناقش غير المتدينين ويدعوهم لطريق التدين، فيجد منهم آذاناً تسمع، وعقولاً تقتنع، وقلوباً تفقه.

أخي الحبيب، شكر الله ﷻ لك، وجعل نصائحك هذه في ميزان حسناتك، وتقبل منا ومنك صالح العمل، ومرحباً بك وبرسائلك دائماً، وأنتظر أن أسمع رأيك فيما ناقشتك فيه.

الفصل الثالث

الشيزوفرينيا مع العائلة

تعاني كثير من بيوت الدعاة وأسرهم من انشغال رب الأسرة بدعوته عنهم؛ فهو ليس عنده وقت يعطيه لأهله وأولاده؛ فينشط في دعوة الآخرين، ويكسل مع أقرب الناس إليه، وهذا مظهر خطير من مظاهر شيزوفرينيا الدعاة.

وربما يكون هذا الداعية حريصا على توفير متطلبات أهله المادية والدنيوية؛ ولا يأتي في باله الأمور الأخروية، متناسيا قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ [التَّحْرِيمِ: 6].

وبعض الدعاة يحاولون دعوة أهليهم، ولكنهم يأخذونهم بالعزائم من أول الأمر، فيشددون عليهم كما يشددون على أنفسهم هم، وهذه من أزمة البدايات في الدعوة؛ فتكون النتيجة أن ينفر منهم الأهل، ويضيقوا هم بهم ذرعا، غافلين عن قول الله تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاَةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [طه: 132].

فالداعية الذي ينشغل بدعوته عن عائلته يحتاج إلى وقفة وإعادة نظر في أحواله، والداعية ذو الشخصية المزدوجة الذي يحسن فن التعامل مع الناس، ولكنه مع أهله يفتقد هذا الفن، هو أيضا في انفصام واضح.

وفي الصفحات التالية نتعرف على هذه المظاهر بشيء من التفصيل مع التعرف على الاقتراحات العلاجية لها.

عقوق الدعاة لأبنائهم.. المراجعة واجبة

أعمل في دعوة الناس للخير وإرشادهم إلى الله، تزوجت وأنجبت وترعرع ابني في مدرسة إسلامية، وكنت أعامله بشدة منذ الطفولة ليصبح رجلا مسلما، وله أخت أكبر وأخرى أصغر، والآن هو في المرحلة الثانوية وحاله أنه لا يطيع الله، ولا يؤدي الصلاة، وأصبح على غير ما كنت أتمناه، وأيضا عنيد مع الله ومعي، وسلوكه غير سويٍّ لدرجة عدم الصلاة في رمضان، حتى إني قلت له: إن والدك قد مات منذ الآن، ولم أتحدث معه منذ بداية رمضان.

أرجو المساعدة.. هل المشكلة فيَّ أنا أم يتم عرضه على طبيبٍ نفسي؟ ومن هو؟. ولكم جزيل الشكر.

Salah- مصر

الرد

المستشار: الدكتور محمد محمود منصور.

شكر الله لكم، وجزاكم خيرا على حبكم للإسلام، وحرصكم عليه، وعملكم له.

أخي الوالد الداعي؛ أهنئك، ولكني أعاتبك!، أهنئك على حبك للإسلام وحرصك على تربية أبنائك عليه ليسعدوا به.

بل وأهنئ الإسلام والمسلمين بظهور جيل جديد من الآباء أمثالك يحرص على ذلك، ونعتبره من بشائر النصر وعودة الناس للإسلام بإذن الله ليسعدهم، حيث لم يتوفر لجيلنا نحن الذين في مثل

سنك هذا الحرص على التربية الإسلامية الذي نجده الآن، وسيكون لك أجرك رغم خطئك! لأن الرسول ﷺ يقول: «إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران، وإن حكم واجتهد فأخطأ فله أجر» [أخرجه البخاري ومسلم]، وأنت -كما الحاكم- راع في بيتك.

ولكني أعاتبك بشدة لأنك لم تنتهج نهج الإسلام ونهج الرسول ﷺ وأساليبه في حسن تربية النشء.

إن التربية أخي الحبيب معناها التنمية؛ أي: تنمية النفس، أي تنمية صفات الخير المخلوقة في الفطرة، والتي يقول خالقها جل وعلا عنها: ﴿فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم: 30]، هذه الفطرة المظلومة؛ لأننا نظن مخطئين أن فيها شرا نريد أن نقوّمه، فنعاديها ونقسو عليها من أجل هذا، رغم أن هذه الفطرة منسوبة لله تعالى فهي (فطرة الله).

فهل روح الله التي كرم بها بني آدم فيها شر؟!.

إنى أعاتبك بشدة لأني حينما وضعت نفسي مكان ابنك أشفقت عليه، ودعوت له بالصبر عليك، ولك بالتوفيق، فقد دارت بذهني عدة تساؤلات أظنها تدور أيضا بذهنه، وأظن -بل أؤكد- أنه قد صُدم حين استعرض إجاباتها في نفسه، وازداد بها بعدا عنك وعن الإسلام، بل عن الله تعالى؛ لأنك بالنسبة له مندوب عن الله سبحانه في تربيته، فظن أن الله قد أوصاك بهذا! فدفعته أنت بتصرفاتك لإساءة الظن بربه، رغم أنه طلب منك عكس هذا؛ لأنه ودود كريم يحب خلقه كما يقول: ﴿مَا يُرِيدُ اللهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [المائدة: 6]، طلب منك ما كان يتمناه ابنك بفطرته لما استعرض إجابات هذه التساؤلات.

أحسب أن ابنك تساءل: أين القدوة؟!، هل يريدني أبي أن أصبح مثله غليظا منفرا عصبيا شديدا ديكتاتوريا غير متفاهم؟! أليس الرسول ﷺ قدوتنا جميعا، فهل كان كذلك؟! أليس الله قد حذرنا من هذه الصفات فقال: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: 159]؟!.

ثم كيف يدعو أبي الآخرين لله وللإسلام، إذا كنت أنا ابنه ويدعوني بهذا الأسلوب؟! فإن كان يدعوهم بنفس الأسلوب فهو داع بكل أسف فاشل!، وإن كان يدعوهم باللين والرفق فهو مخادع؛ لأنه ليس كذلك مع كل الناس وأخصهم أنا، فبُعدا للدعوة إذا كانت كذلك، وبُعدا للدعاة إذا كانوا كذلك!.

وتساءل: أين الحب والرحمة؟!.

الحب الذي كان يضفيه الرسول ﷺ على كل من حوله، خاصة الأطفال، كما يقول أنس رضي الله عنه: «ما رأيت أحدا أرحم بالعيال من رسول الله ﷺ» [رواه مسلم]، فيحرك قلوبهم بهذا الحب نحو كل خير، فالحب ولا شك يدفع لاتباع الخير، ثم هل حبّبتني في الله مثلا بتدبر مخلوقاته وأرزاقه ورحماته أم كرّهتني فيه؟!.

لقد دخل عمر بن الخطاب رضي الله عنه على النبي ﷺ فرأى حفيديه الحسن والحسين على كتفه، فقال: نعم الفرس تحتكما، فقال ﷺ: ونعم الفارسان [رواه أبو يعلى بسند صحيح]، ودخل عليه ﷺ سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه فرأى الحسن والحسين يلعبان على بطنه، فقال: يا رسول الله، أتحبهما؟، فقال ﷺ: وما لي لا أحبهما وهما ريحانتاي [رواه البزار بسند صحيح]، أي: سبب راحتي وسعادتي.

وتساءل: أين الحوار؟!.

ألم يقل الله تعالى في حق من هم على غير الإسلام: ﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: 125]؟ فأين التي هي أحسن معي وأنا ابنك؟!، إنني لا أرى إلا التي هي أسوأ، والتي هي أشد وأعنف!.

إن الرسول ﷺ قد تحاور حتى مع الشاب الذي جاءه يستأذنه في الزنا؛ حتى يقنعه بضرره عليه وعلى كل المجتمع من حوله في دنياهم وآخرتهم، فاقتنع الشاب، ثم لم يتركه ﷺ بعد أن حرك عقله، ولكن حرك قلبه أيضا بأن دعا الله له بكل الحب والشفقة؛ فهل تدعو لي يا أبي أم تدعو عليّ؟!.

لقد كان ﷺ ينصح بكل الحب والحنان وحسن القول، فيقول مثلا: «يا غلام، إني أعلمك كلمات»... وغير ذلك من الأمثلة الكثير الذي يصعب حصره.

ثم هل حبّبتني في الإسلام وشرحت لي أنه نظام ينظم للناس كل شئون حياتهم صغيرها وكبيرها ليسعدهم، أم أجبرتني عليه بوصفه تكاليف مقيدة يُسمع لها ويُطاع دون فهم أو اقتناع؟!.

وهل أقنعتني بضرر الحرام وتعاسته، ومنفعة الحلال وسعادته لي في دنياي وآخرتي؟!.

وهل رغبتني كثيرا في الحلال أولا، ثم رهّبتني من الحرام، أم استخدمت الترهيب فقط لأنك تراه أسرع وأسهل لك في تقويمي؟!.

وهل تضربني على الصلاة وغيرها من الطاعات لأن الرسول ﷺ أوصاك بهذا في قوله: «مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر، وفرقوا بينهم في المضاجع» [رواه أبو داود].

إن معنى الحديث يا أبي الحبيب ليس الضرب هكذا سريعا أو الشدة، بل معناه أن ابنك أعطاه الله لك خامة طاهرة نظيفة لمدة عشر سنوات قبل أن يبلغ ويحاسب كالكبير، حتى تتمكن خلال هذه السنوات الطوال من تنمية فطرته بالقدوة والحب والحوار وحسن التوجيه، فإن فعلت ذلك فلن تصل إلى مرحلة الضرب إلا في حالات استثنائية جدا، وذلك حين تكون قد استخدمت كل أساليب التربية الصحيحة لأعوام كثيرة ولم يستجب ابنك رغم هذا، وغلب على ظنك أن الضرب هو الوسيلة الوحيدة المتبقية التي ستأتي بنتيجة؛ مع مراعاة أنك إن وصلت إلى مرحلة الضرب فأنت الفاشل لا أنا، فشلت في الصبر على تطوير شخصيتي عبر عشر سنين كاملة، ثم ليس معنى الضرب أن تضرب، إن من معانيه العقوبة، وأن تبدأ بالأخف ثم بالأصعب، فتبدأ مثلا بالنظرة الحادة، ثم مثلا بالحرمان من المصروف وما شابه ذلك، وإن ضربت فابدأ بضرب خفيف لا يكون في مكان حساس، ولا يؤدي إلى إيذاء شديد أو كسر نفسية أو إتلاف عضو، وإن استجبتُ لك فلا تستكمل الضرب!.

وأذكرك أن الرسول ﷺ ذاته الذي قال هذا الحديث لم يضرب أحدا أبدا، ألم تقل عائشة رضي الله عنها: «ما ضرب رسول الله ﷺ شيئا قط بيده، ولا امرأة، ولا خادما» [رواه مسلم]؟، ألم يقل ﷺ لخادم له أغضبه ذات مرة: «لولا القصاص يوم القيامة لأوجعتك بهذا السواك»؟، فلم يضرب ﷺ ولو كان ضارباً لضرب بأخف شيء؛ لأن الهدف الإصلاح لا الانتقام أو الإرهاب.

ثم هو ﷺ يؤكد هذا في قوله: «إن الله رفيق يحب الرفق،

ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، وما لا يعطي على ما سواه» [رواه مسلم].

وقد كانت أقصى عقوبة له ﷺ ما فعله مع صبي بعثته أمه له بعنب، فأكله في الطريق، فكان ﷺ كلما رآه يقول له: «غدر، غدر» [رواه الطبراني]، أي: يا غادر، بمداعبة!، فكانت عقوبته ﷺ كلها حبا وحنانا ونصحا وإرشادا.

وتساءل: أين السعادة الزوجية؟، أين المناخ المستقر السعيد الذي كان يعيشه الرسول ﷺ وصحابته الكرام في بيوتهم، والذي تطمئن فيه نفوسنا وتستقر وتصح وتسعد؟!.

فهل أنت وأمي متآلفان متفاهمان متوافقان، سعيدان فيما بينكما، متفقان في معظم أساليب تربيتنا؟، أم أن أحدكما يربينا بطريقة والآخر بعكسها؟، أم أنكما مختلفان أصلا في شئون حياتكما، تعيسان تضفيان تعاستكما علينا؟، وهل أشركتما معكما جيراننا وأقاربنا ومدرسينا وغيرهم ممن يؤثرون فينا، أم استأثرتما بوجهة نظركما التربوية أنتما فقط؟!.

وهل بحثتما لنا عن صحبة صالحة جذابة متنوعة الأنشطة متطورة حتى يعين بعضنا البعض على كل خير، أم عزلتمانا بحجة الخوف علينا؟! أم اشترطتما علينا صحبة المسجد فقط ذات النشاط الواحد المتكرر الممل أحيانا أو كثيرا، أو ذات تحفيظ القرآن الكريم بالإكراه رغم عدم استعداد قدرات بعضنا لذلك، حتى أجبرتمانا على الكذب أو الرياء أو الخداع أو النفاق، فهل هذه صفات يحبها الله والإسلام أن تكون في أبنائه؟، وهل سيمكنهم بها أن يصلحوا أنفسهم والأرض كلها ويسعدوها كما طلب منهم ربهم ودينهم ويحبه لهم ويثيبهم عليه؟!.

وتساءل: أين المصاحبة والمصادقة والأخوة؟!.

ألم يقل الرسول ﷺ عن الخدم: «هم إخوانكم» [رواه البخاري ومسلم]؟ فما بالك بالأبناء؟!.

ثم هل استمعت لي ولأحوالي؟، أليس من الممكن أن أكون أتألم لبعدي عن الله وأنت لا تعلم، وأريدك أن تأخذ بيدي إليه وإلى الإسلام، ولكن يصدني ما أراه من شدتك معي، فلا تطوع لي نفسي أن أشاركك أفكاري وآلامي وآمالي؟ وأين محاولة علاج مشكلاتي عموما؟، أم تقاطعني وأنا في أشد الحاجة إليك؟، وهل يترك الطبيب مريضه لأنه قد مرض ويمنع عنه الدواء، فما مهمة الطبيب إذاً، هل يعالج الأصحاء فقط؟!.

إن المقاطعة يا أبي الحبيب لا تكون إلا إذا استنفذت كل وسائل العلاج وكل وسائل دعوتي للخير، فهل يكون العلاج الجراحي إلا بعد فشل العلاج الدوائي؟، ولا تقاطعني إلا إذا غلب على ظنك أن المقاطعة أنفع في العلاج، فإن تبين لك فشلها بعد عدة أيام –تطول وتقصر على حسب تقديرك– فتراجع عنها، وإلا ازداد المريض مرضا، كما نبهنا الرسول ﷺ لذلك في قوله: «لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال» [رواه البخاري ومسلم].

وتساءل: أين تنمية المواهب عندي، والتي أعطاها تعالى لكل الناس بالتساوي، ثم هم ينمونها أو يضعفونها؟، أم أنك أجبرتني على تعلم ما تحبه أنت لا ما أحبه أنا؟، أليس من الممكن أنه لو كنت شغلتني بمواهب حلال لكان ذلك خيراً وسببا لمنعي عن الشر؟!.

وتساءل: أين الثقة فيَّ وتحميلي المسؤولية تدريجيا وتصاعديا، وتقوية إرادة نفسي، وأخذ رأيي ومشورتي في كل شيء ممكن؟،

فذلك مما يرجح العقل، أم ظننت أن عدم الثقة، والتشكك في كل تصرف، وإلغاء الشخصية، وعدم قبول الرأي الآخر هي أهم أساليب التقويم والتربية عندكم، فكيف تريدني أن أكون ذا شخصية متكاملة وأنت قد سلبتها مني بكثرة توجيهاتك دون إعطاء الفرصة للتفكير أو إبداء الرأي؟!.

ثم لا تنظر لإخوتي من البنات، فالغالب أنهن قد استسلمن لك دون اقتناع.

أخي الحبيب، كل هذه التساؤلات التي قد يطرحها ابنك حق، وهي واقعية، بل إنها تعكس وسائل الإسلام للتربية الصحيحة، فليس في الإسلام خطوات جامدة للتربية لاتباعها، بل هي قواعد عامة لتفتيح أذهان المسلم والمسلمة لتنمية فن التربية الموجودة في خطتهم أصلا، ويحتاج فقط إلى زيادته بالعلم والخبرة في كيفية استخدام ما هو مناسب مع كل طفل سواء أكان ذكرا أم أنثى، وعلى حسب البيئة التي يعيش فيها؛ لأن الطفل رغم صغره إلا أنه إنسان، له حق التفكير والتكريم والعيش السعيد، وهدف الإسلام من هذا هو إيجاد شخصية مسلمة متوازنة في كل جوانب الحياة، تحسن استكشافها والانتفاع بها والسعادة فيها وإسعاد من حولها ليرضى الجميع، ويرضى ربهم لرضاهم، ويسعدوا في دنياهم وآخرتهم.

أخي الحبيب، لي تساؤل أخير: إذا كنت تدعو شخصا غريبا عنك إلى الله والإسلام فكيف تدعوه؟!.

إنك ولا شك ستجتهد اجتهادا شديدا في التمهيد قبل دعوته، من خلال التعارف عليه تفصيليا، وزرع الحب بينك وبينه بالسؤال والتهادي وتقديم الخدمات والمشاركة في الأفراح والأحزان ونحو

ذلك، والحديث معه بكل رفق ولين وود وشفقة، وبما يناسب، وفي توقيت ومناخ مناسب، وستصبر عليه وستشجعه كلما تقدم خطوة وتمسك بخلق حتى ولو كان بسيطا؛ لأن التشجيع يدفع النفوس لمزيد من التقدم كما يشجعنا الإسلام دائما، وستتدرج معه في التمسك بأخلاق الإسلام، فأنت بالطبع لا تريده أن يكون –ولا ابنك– صحابيا من أول يوم تدعوه فيه.

يا أخي، انظر إلى نفسك حين التزمت بالإسلام، وكم أنهكت الدعاة الذين كانوا يدعونك، ثم تغيرت ولله الحمد كما يقول تعالى: ﴿كَذَلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللهُ عَلَيْكُمْ﴾ [النساء: 94]، أليس كذلك؟!.

إنني أطلب منك أن تعامل ابنك كأنه على الأقل مدعوّ غريب، فمهد لدعوته وحسّنها بكل ما سبق ذكره، واعتذر له عما سبق منك من أخطاء، فلقد علمنا الإسلام العودة للحق وإعطاء كل ذي حق حقه، فهذا سيزيده ثقة بك ولا ينقصها، وسيحرك مشاعره، وسيعود بإذن الله، وستجد النتائج مبهرة، فما زالت الفرصة قائمة والأمل في وجه الله كبيرا، ولقد تغير كثيرون قبله كانوا أسوأ منه، فلِمَ لا يكون هو أيضا من المتغيرين؟!.

وسيكون لك أعظم الثواب بتعليمه وبصلاحه كما يقول الرسول ﷺ: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له» [رواه مسلم]، وفقك الله وأعانك، ولا تنسنا من صالح دعائك.

زوجي الداعية والمواقع الإباحية

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، زوجي يستمع للغناء والموسيقى، وكذلك اكتشفت أنه يشاهد المواقع الإباحية على النت، فكيف أتصرف معه؟، وهل أواجهه؟

مع العلم أنه يدعي التقوى، ويقول لي: لا تنظري إلى التلفاز أو حتى إلى البرامج الهادفة، وأنه يصلي ويعمل مع الإخوة العاملين في مجال الدعوة، ولا أدري ماذا أفعل معه وكيف أتصرف، وهو عصبي جدا معي ومع والدته، وعند الغضب يتفوه بكلمات لا تروق لي، وعندما أعاتبه يقول: لقد كنت غضبان.

م ن– مصر

الرد

المستشار: الأستاذ فتحي عبد الستار.

بسم الله، والصلاة والسلام على رسول الله.

أختي الكريمة، وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، ومرحبا بك، وشكر الله لك حرصك على أن يكون زوجك من الطائعين لله ﷻ، البعيدين عن معصيته، وبعد:

فليس العاملون في مجال الدعوة أختي الكريمة بالملائكة الذين لا يخطئون، وليسوا أبدا معصومين ومنزهين عن الوقوع في المعاصي، فكل ابن آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون كما قال ﷺ، وقد كان في الجيل الأطهر والأعظم والمزكّى من الله ورسوله –وهم

جيل الصحابة- عصاة ارتكبوا كبائر وصغائر بحكم بشريتهم، فلماذا نفترض في دعاة اليوم أن يكونوا ملائكة، وأن يكونوا أفضل من صحابة رسول الله ﷺ؟!.

هذا مفهوم يجب أن ندركه أولا حينما نتعرض لمثل هذه المشكلات، وليس معنى هذا أننا نقر الدعاة -ومنهم زوجك- على أخطائهم ومعاصيهم، حاشا لله، ولكن الهدف هو أن نستوعب تلك الأخطاء والمعاصي ونضعها في حجمها الصحيح، ولا تسبب لنا إزعاجا يلهينا عن علاجها وتصحيحها، وندرك أنه ليس هناك الآن معصومون على وجه الأرض، مهما كانوا، فالفتنة أختي الكريمة لا تؤمن على حي، نسأل الله العفو والعافية.

أما بالنسبة لما تأخذينه على زوجك، فتعالي نتكلم في كل شكوى ذكرتها على حدة:

بالنسبة لاستماعه للموسيقى والغناء، فلا أدري أي نوع من الغناء أو الموسيقى يستمع إليها زوجك، فالمسألة فيها تفصيل لدى الفقهاء، ولا يجوز أن نحكم على أمر كهذا بإطلاق، ونشعل الخلاف حول أمر مختلف فيه، ولست هنا في مقام الإفتاء، ولكني أود أن أذكرك أن الأمر فيه خلاف يجب أن نستوعبه، فانظري إلى ما يستمع إليه زوجك، فإن كان من قبيل ما أحله بعض الفقهاء بشروطهم فلا يجب عليك الإنكار عليه في ذلك، ولكن يمكنك أن تنصحيه بعدم الإكثار منه؛ لأن الإكثار من المباحات يجر إلى الحرام أحيانا، ويلهي عن الواجبات.

أما إن كان ما يستمع إليه من قبيل الغناء المحرم فيجب عليك في هذه الحالة أن تنكري عليه ذلك، ولكن باتباع وسائل دعوية تحقق

الهدف ولا تخلق هوة بينكما وتتسبب في مشكلات عائلية، ولا تجعله يزداد عنادا وإصرارا. فبعض الرجال يترفعون وتأخذهم العزة بالإثم تكبرا وعنادا إن جاءتهم النصيحة والنهي والإنكار بشكل مباشر من زوجاتهم، ولا ينجع معهم إلا طرق أخرى، سأحدثك عنها بعد قليل.

أما بالنسبة لمشاهدته للمواقع الإباحية فلا يختلف اثنان على حرمة ذلك بالطبع، فهو أمر مستقبح عقلا وشرعا، وعواقبه وخيمة على الفرد والأسرة والمجتمع.

أما عن الوسائل التي يمكنك اتباعها مع زوجك ليقلع عن سماعه للغناء المحرم ومشاهدته للمواقع الإباحية، فأنصحك بالآتي:

1- إياك والنهي المباشر، وإشعار زوجك بأنه يتلقى منك تعليمات أو أوامر، واحذري من نظرات الاتهام والاحتقار، خاصة إنك ذكرت أن زوجك عصبي وينفعل بسرعة.

2- ابحثي عن الأسباب التي تدعوه لتلك الأفعال، فقد يكون من ضمن أسبابه إهمالك لاحتياجاته النفسية والبدنية، فيبحث عن إرواء لها من خلال تلك القبائح، فتفقدي أحوالك واهتمامك بهيئتك وملابسك وزينتك ونظافتك الشخصية وتلبية احتياجاته العاطفية والبدنية، مع الحرص على التجديد والابتكار في كل ذلك، وكما يقول المصريون: "املئي عينيه" حتى لا ينظر لغيرك، وكل لبيب بالإشارة يفهم.

3- إياك أن تشعريه بالمراقبة والتجسس عليه، وكذلك لا داعي للتلميحات والهمز بالكلام، فهذا سيؤدي به إلى العناد، وإياك أيضا أن تفضحيه بين أقاربه أو أصدقائه بدعوى أن ينصحوه أو يساعدوك في إصلاحه، بل استري عليه زلته وهفوته وأقيلي عثرته، وتأكدي أنه سيحفظ لك ذلك الفعل، ولو قمت بالعكس فسيخلق هذا شرخا كبيرا في

علاقتكما، وسيجعله يفقد الثقة بك كأمينة على أسراره.

4- اعلمي أختي أن زوجك لا ينقصه العلم بحرمة ما يفعل، بدليل أنه ينهاكم عنه، ولكن ما يحتاجه زوجك حقيقة هو رفع منسوب الإيمان لديه، وهذا سيتأتى عن طريق دعوته بحب ليشاركك في أنشطة إيمانية؛ كصلاة ركعتين سويا في جوف الليل، والاجتماع على تلاوة شيء من القرآن بصفة دورية، أو الصيام والإفطار سويا. وقولي له: إنك أنت التي تشعرين بحاجتك لهذا، وأنك تتمنين منه أن يساعدك.

5- احرصي على تشجيعه للقيام بأعمال مفيدة تشغل وقته، فحثيه على مشاركة إخوانه في الأعمال الدعوية وعدم التكاسل عنها، مذكرة إياه بالثواب الذي سيجنيه من ذلك، واحتياج الأمة لجهوده.

6- لا تهملي سلاح الدعاء، فهو أمضى سلاح، وأنجع دواء، فتوجهي إلى ربك سبحانه بالدعاء الحار أن يهدي زوجك، ويعصمه من هذه الفواحش.

أعلم أن المهمة شاقة، لكن الثواب المترتب عليها من قِبل الله ﷻ يستحق هذه المشقة وهذا التعب، وتذكري وعد الحبيب ﷺ: «لئن يهدي الله بك رجلا خير لك من أن يكون لك حمر النعم»[رواه البخاري]، وزوجك أحق الناس بأن تسعي لهدايته، وفقك الله أختي، وأصلح لك زوجك.

زوجي وصديقتي اغتالا دعوتي

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وبعد:
سيدي الفاضل، أحييكم بتحية أهل الجنة، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، من قبل أربعة أشهر كنت أمارس الدعوة إلى الله، وأحاول أن أحفظ المصحف كاملا، لكنني تغيرت يا سيدي، والسبب الأول هو زوجي الذي يتاجر في الخمور ولا يصلي.

أما السبب الثاني فهو أخت من الأخوات، كانت معاملتي لها طيبة جدا، وأحببتها في الله أشد الحب، هذه الأخت تدخلت بيني وبيني أخواتي الأخريات، فأبعدهن عني بحجة متاجرة زوجي في المحرم، تقول لهن إنه لا يجوز لهن الأكل معي بالرغم من أنها كانت تدخل بيتي وتأخذ من أموالي؛ لأنني ساعدتها كثيرا -اللهم لا رياء- في شراء دواء لابنها المصاب بمرض السرطان، وهن يسمعن كلامها فيبعدن عني.

هي تحب أن يقول عنها الناس: "ما فيش أحس منها في ممارسة الدعوة"، حتى إنها في يوم وجدتني ألقي محاضرة في مأتم، فغضبت لأنني لم أقم من مكاني وأتركها تكمل!.

بعدها سمعت أنها تشهِّر بي عند الناس بأنه لا يجوز لي إلقاء المحاضرات؛ لأن زوجي تاجر محرمات، أي نعم، أنا حاولت معه أكثر من 100 مرة لكن دون جدوى، كما أنه داخل على مشروع جديد كان يريد أن يشركني فيه فرفضت، والسبب هو ابتغاء مرضاة الله، والآية التي يقول فيها ﷻ: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً* وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: 2، 3].

المشكلة أن مرضه بالسكري والشرب أثَّر على الواجب المقدس بيننا، فأصبحنا كأي أخ وأخت يعيشان مع بعضهما؛ هو ينام في غرفة وأنام في أخرى، وبعد مرور الأيام وأنا على هذه الحال أصبحت أحس بالوحدة؛

لأن المدة التي صبرتها هي خمس سنين، أحس بعدم الاهتمام من ناحية زوجي لي الذي طالما حاولت معه أن يتقرب إلى الله أولا وأخيرا، ولي أنا أيضا ولو بكلمة طيبة؛ لأني أحتاجه بجانبي، خصوصا أنني مريضة بالقلب، وحينما أصاب بالأزمة القلبية لا أجده بجانبي، مثلي مثل أي أرملة أو مطلقة؛ لأنه لا يعرف إلا السباب واللعان في البيت.

المهم أنني أحاول دائما أن لا أحسسه بالنقص الذي يعاني منه كما قلت لكم بالتقرب منه، لكن لا فائدة، أصبحت أحس بالفراغ والوحدة القاتلة، فقررت أن أمارس الدعوة بالإنترنت، في البداية الأمور كانت على أحسن ما يرام، لكن في يوم دخل الشيطان ليلعب لعبته، فنجح لعنه الله، تعرفت على رجل من دولة عربية، كنا نتبادل الدروس الدينية والأحاديث، إلى أن لاحظت اهتمامه الزائد بي، فأصبحت مغرمة به، وتغير الوضع من الكلام في الدين إلى الكلام في المحرم.

وبينما أنا نائمة رأيت أن الدود يخرج من فمي والقيح يتسرب من بين أصابعي، ولما استيقظت أحسست بالذنب تجاه نفسي، وندمت على التقصير تجاه ربي، والله وكأنني كنت في كهف وخرجت منه.

أنا الآن يا سيدي دموعي لا تجف من الندم، والسبب هو إهمال زوجي لي، وتجارته في المحرم، وتلك الأخت الداعية، والانهيار الذي أصبت به من وحدتي، ماذا تقولون لهذه الأخت الداعية؟، وماذا يقول الله ورسوله فيما فعلته بي؟، هل سأنال ثواب صبري عن العجز الذي أصاب زوجي؛ لأنني لا أريد مفارقته وأود مساعدته؟، هل سيغفر لي ربي كلامي مع ذلك الرجل وتعلقي به ورؤيته لي بغير الحجاب الشرعي؟، أقول: إنه هو الوحيد الذي كان يراني متبرجة، لكنني الآن تائبة عائدة إلى الله ندمانة، هل أطلب من زوجي أن يسامحني دون أن أقول له ما فعلته؟. أتوسل إليكم، ادعوا لي بالمغفرة والثبات، أفيدوني، وجزاكم الله خيرا.

حسناء- المغرب

الرد

المستشار: الدكتورة ليلى أحمد الأحدب

عند قراءة مشكلة مثل مشكلتك يتوجب أن نضع يدنا على بعض النقاط في شخصيتك؛ لأني أرجو أن تقبلي مني الإشارة إلى بعض نقاط الضعف في شخصيتك؛ كي تتخلصي منها قبل عملك في الدعوة إلى الله؛ وذلك كي يكون عملك مقبولا متكاملا نافعا.

فأهم نقطة ضعف يمكنني الإشارة إليها هي التي بدأت بها رسالتك من توجيه اللوم لغيرك في تركك الدعوة إلى الله، وهما شخصان: زوجك الذي يتاجر في الخمور ولا يصلي، وأخت لك في الدعوة أحببتها في الله وساعدتها، ثم تنكرت لك وتغيرت معك؛ فالشخص الأول كان موجودا في حياتك قبل بدئك بالدعوة، إذ لم يبدُ من كلامك أن زوجك كان رجلا صالحا وانحرف بعد ذلك، والشخص الثاني يعطي صورة سلبية عن الدعاة؛ فهذه الأخت هي مثال سيئ للمسلم غير الداعية؛ فكيف لمن حمل لواء الدعوة إلى الله؟!.

وعلى هذا فإن زوجك ليس له يد في منعك من الاستمرار فيما بدأت به، وهذه الأخت عملت على تحطيم مشروعك الدعوي حسب ما يُفهم من كلامك، ونجحت في ذلك؛ فلماذا لم تصمدي في مواجهتها، وتستمري فيما نذرت نفسك له لتثبتي لنفسك ولها وللجميع أنها ليست صادقة فيما تقول، وأنها لا تتصف بصفات المسلم الذي من واجبه الستر على أخيه المسلم، وليس كشف عوراته كما فعلت هي؟

أستخلص إذاً يا عزيزتي من شخصيتك بوادر سلبية يجب أن يتخلص منها الداعية قبل البدء بدعوة الناس؛ فالدعوة تبدأ بإصلاح

النفس، وتدارك الأخطاء والسلبيات؛ كي يستطيع الداعية أن يصلح من حوله بدءا بأسرته وانطلاقا إلى محيطه الأكبر، وأنت عندما تعيدين سبب تراجعك إلى الغير تبرئين نفسك من الخطأ والضعف، وعدم تبرئة النفس من الشيم التي يحبها الله سبحانه كما قال تعالى على لسان زوجة العزيز: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّي﴾ [يوسف: 53].

المشكلة في بعض الدعاة والداعيات إلى الله برأيي هي تسنُّم هذه المكانة الخطيرة قبل الاستعداد لها؛ إذ من واجب الداعية الذي يقوم بالدعوة العامة أن يتصف بنقاط قوة في شخصيته، يستطيع من خلالها أن يوصل رسالته للناس على أكمل وجه، ومنها: قوة الشخصية، وعدم التأثر بكلام الناس، وتحمل الإساءة، والصبر على الأذى، والاستمرار في دعوة القريب دون إهمال الغريب، ودون كلل أو ملل؛ فأنت مثلا تقولين: إنك حاولت مع زوجك مائة مرة ليترك تجارة المحرمات دون جدوى، لكن يا ترى هل اتبعت كل السبل الممكنة معه؟، وهل سألت نفسك كيف يمكن مساعدته للتخلص من هذا الرجس الذي يدخله إلى بيته الذي هو بيتك؟، هل لك وظيفة تعتاشين منها كي يكون مطعمك حلالا، وليس من ربح بيع الخمور وتوابعها، والخمر أم الكبائر؟

بالتأكيد أنا لا أسيء الظن بك، لكن أعتقد أنك بحاجة إلى اتخاذ موقف صارم مع نفسك أولا؛ بحيث لا تَدَّعي أي ظرف يودي بك إلى معصية الله؛ فإذا كان زوجك تاجر خمور؛ فهي كبيرة من الكبائر دون ريب، ولكن انغماسك أنت في علاقة محرمة -حتى لو كانت على النت- هي من أكبر الكبائر؛ لأنها خيانة لرابط الزواج الذي

وصفه الله سبحانه وتعالى بالميثاق الغليظ، وإذا كنت ترجعين السبب إلى افتقادك العاطفة والعلاقة الحميمة مع زوجك؛ فهذا ليس مبررا، والحمد لله أنك انتبهت إلى خطئك، وتراجعت عنه، وأسأل الله أن يغفر لك، ويعينك على حل مشكلتك مع زوجك؛ فما أعلمه يا أختي الكريمة أن عدم إعفاف المرأة من قِبل زوجها يتيح لها طلب الطلاق؛ كي لا تقع في الحرام، فإذا كان زوجك غير قادر على إشباعك عاطفيا، وإمتاعك جسديا، وإعانتك عند مرضك؛ فيمكنك طلب الطلاق منه؛ فهذا حق من حقوقك الشرعية، خاصة أن عمرك كما ذكرت بين الخامسة والعشرين والسادسة والثلاثين، وهو العمر الذي يصعب على المرأة أن تعيش بدون إشباع جسدي؛ ذلك لأن الرغبة الجنسية تكون لدى المرأة في ذروتها في هذه السن؛ فهل فكرت في هذا الحل؟

لم تناقشي في رسالتك موضوع طلاقك من هذا الرجل، فهل هو أمر غير وارد بالنسبة لك؛ كخوفك من كلام الناس عليك لأنك مطلقة، أم لعدم وجود من يعيلك غيره؟، فإذا كان الأمر كذلك فيمكنك أن تنظري للمشكلة من زاوية أخرى، وهي أن تقومي بتغيير اتجاهاتك الفكرية تجاه ما يعترض حياتك من مشكلات؛ لأن من واجبك يا أختي الكريمة أن تغيري نفسك قبل أن تفكري في تغيير أي شخص آخر، وتغيير الاتجاهات الفكرية ليس بالشيء الصعب إذا اقتنعت بضرورتها لتحسين شكل حياتك والتأقلم معها.

أرجو أن تعلمي أن المشاعر يمكن أن تتحكم بالإنسان لتتحول إلى أفكار مهيمنة عليه إذا سُمح لها بالسيطرة لتقود الأفكار وليس العكس؛ فمثلا شعور الإنسان بالعجز تجاه مشكلته يمكنه أن يتحول

إلى فكرة سلبية عن نفسه بأنه إنسان عاجز، وهذه الفكرة بدورها تولد مشاعر سلبية أخرى بأنه غير قادر في كل المجالات، وهذا ما ينجم عنه رؤية ذاتية سلبية أنه ليس بذي قيمة في الحياة؛ لأنه ليس قادرا على تغيير نفسه؛ فكيف سيكون قادرا على تغيير غيره؟!.

لذلك فمن المهم جدا أن نجعل المشاعر تقف عند حدودها، ولا نترك لها الحبل على الغارب لتتمادى وتحكم حياتنا؛ كي لا تتحول إلى أفكار سلبية، وبالتالي إلى سلوك غير مرغوب أو شخصية انسحابية من الحياة، كما حصل في حالتك؛ حيث انسحبت من الدعوة العامة، وانطلقت إلى الدعوة الشخصية وفي عالم الإنترنت المجهول؛ فوقع المحظور.

ظروفك الحالية صعبة جدا مع زوجك، وتنعكس عليك شعورا بالنقص عن الأخريات؛ فهذا الشعور بالنقص هو ما يجب أن تعالجيه، ولا أعتقد أنك قادرة على ذلك إلا إذا فعلت أحد أمرين: إما أن تتخلصي من سبب هذا الشعور وهو زوجك بالطلاق منه، أو أن تتأقلمي مع حياتك الحالية عبر تقوية إيمانك بالله القادر على كل شيء، والتأقلم مع زوج كهذا وتخطيه كعقبة في طريق الدعوة ممكن إذا تذكرت أن بعض الأنبياء عليهم صلوات الله وسلامه كانت زوجاتهم عاصيات كامرأة نوح ولوط عليهما السلام، وإذا تذكرت وذكّرت صاحبتك وأمثالها أن امرأة فرعون هي التي كانت السبب في نمو موسى وترعرعه في قصر فرعون، وأنها امرأة موعودة بالجنة رغم أن زوجها أحد مُدعي الألوهية.

إذاً يجب عليك أن تعملي في اتجاه تقوية شخصيتك وتطويرها بالإيمان المترافق مع العقل، ومن ثم يساعدك هذا التطور على قبول

وضعك مع هذا الزوج إن كنت مضطرة لذلك، أو مفارقته إن كان هو الحل الأمثل، وعندها في كلتا الحالتين -سواء كنت مطلقة أو زوجة لتاجر خمور- فلن يهمك كلام الجميع عنك؛ لأنك تعملين ما بوسعك لإرضاء الله سبحانه وليس لإرضاء بشر، وعلى قدر نياتكم ترزقون، وإنما الأعمال بالنيات، فإذا كانت نيتك خالصة لله سبحانه فلن يتركك ولن يتخلى عنك، وسيرسل لك من يساندك سواء على صعيدك العائلي أم الاجتماعي، وتذكري قول الله في الحديث القدسي: «أنا عند ظن عبدي بي، فليظن بي ما شاء» [رواه الطبراني في الكبير، والحاكم في المستدرك].

ولا تنسي الدعاء الذي هو سلاح المؤمن، سواء كان لك أو لزوجك ولغيركما؛ فالله قادر على أن يحول حالك وحاله وحالنا جميعا إلى أحسن حال، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

نفسي وأهلي.. سلاح الحب لا يُهزم

بسم الله الرحمن الرحيم؛ السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.
أولاً وقبل كل شيء أقول لكم: جزاكم الله خيراً، وأسأل الله أن يسخركم لخدمة هذا الدين، وأن يجعلكم للقرآن حفظةً، وللسنة حملةً، وأن ينفع بكم الإسلام والمسلمين.. آمين آمين، لا أرضى بواحدة حتى أضيف إليها ألف آمين.
إخوتي في هذا الموقع المميز؛ أطلب منكم أن تساعدوني في حل مشكلتي، وهي إحساسي بأني منافقة، وسبب ذلك أن أخلاقي مع صديقاتي عالية وحسنة، ولكن في البيت عكس ذلك.
أكره هذا الشيء، وأريد أن أتغيَّر، ولكن كيف؟ أريد منكم طرقاً عمليَّة، ولكم منّي أحرّ الدعوات بالتوفيق والسداد.

أمل- السعودية

الرد

المستشار: الدكتور كمال المصري.

آمين آمين يا أختي الفاضلة أمل.. جزاكم الله خيراً على دعواتك الطيبات، وأسأل الله تعالى أن يستجيب، وأن نكون أهلها، ولا أملك في هذا الصدد إلا أن أقول كما تقول الملائكة لمن يدعو لأخيه أو أخته: «ولك بمثل» [رواه مسلم]، فلك أمثاله وأمثاله وأضعافه يا أختي الكريمة.. اللهم ربّنا استجب.

أختي الفاضلة، دعيني من فضلك قبل الدخول في الطرق العملية أن أحدد معك أين تقع المشكلة، وهي في الغالب حسب ما فهمت من

كلامك ليست كمشكلة حنظلة ﷺ في الحديث الشهير: «نافق حنظلة»[رواه مسلم]، وإنَّما مشكلتك في أنَّ أخلاقك عاليةٌ في الخارج، وهي ليست كذلك في البيت، ولكن لا بأس من أن أعرج على حديث حنظلة هذا لأوضح هذه الفكرة التي قد تلتبس على كثيرٍ من الناس، والتي قد يكون جزءاً منها ما تشعرين به أو نتيجة من نتائجها.

فعن حنظلة الأسيدي -وكان من كُتَّاب رسول الله ﷺ-قال: لقيني أبو بكر فقال: كيف أنت يا حنظلة؟، قال: قلت: نافق حنظلة، قال: سبحان الله، ما تقول؟، قال: قلت: نكون عند رسول الله ﷺ، يذكِّرنا بالنار والجنة، حتى كأنَّا رأي عين، فإذا خرجنا من عند رسول الله ﷺ، عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات، فنسينا كثيراً، قال أبو بكر: فوالله إنا لنلقى مثل هذا، فانطلقت أنا وأبو بكر، حتى دخلنا على رسول الله ﷺ، قلت: نافق حنظلة يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: وما ذاك؟، قلت: يا رسول الله، نكون عندك تذكِّرنا بالنار والجنة، حتى كأنَّا رأي عين، فإذا خرجنا من عندك، عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات، نسينا كثيراً، فقال رسول الله ﷺ: والذي نفسي بيده، إن لو تدومون على ما تكونون عندي وفي الذكر لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم، ولكن يا حنظلة ساعة وساعة، ثلاث مرات، [رواه مسلم].

فهكذا هم البشر، وعلينا أن نفهم كُنه تكوينهم، وأن ندرك أنَّ الأمر ساعة وساعة.

أمَّا مشكلة اختلاف أخلاقك يا أختي بين البيت وخارج البيت، هذه المشكلة ليست لها علاقة بالنفاق إلا من جهة واحدة، إذا كنت تمثِّلين الخلق الحسن في الخارج، أي هو ليس فيك، ولا حتى تريدينه

فيك، وإنما تتصنعينه لأهدافٍ وأغراض أخرى، وهذا ما أستبعده تماماً فيك، فلتُخرجي إذاً فكرة النفاق هذه، وضعي مكانها كلمة أخرى هي "الضعف البشري"، وهذا الضعف موجودٌ في كلٍّ إنسان، يبدو عند كل واحدٍ منا في شكلٍ ما، ولا يستطيع الخلاص منه إلا من جاهد نفسه وقوَّمها وحاسبها باستمرار، فأكرمه الله تعالى بالهداية والفلاح: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: 69].

فأنت يا أختي الفاضلة تمتلكين الخلق الحسن في داخلك، غير أنَّ نقطة ضعفك البشري تظهر في البيت لأنَّ فيه ما يُبرز ويُظهِر نقطة ضعفك هذه، وهذا ما نحتاج منك إلى بيانه لنا.

أما عن طرق العلاج التي طلبتِ فلي فيها النقاط التالية:

1- ابحثي عن أصل المشكلة:

هذه المساحة التي لم توضحيها لنا هي الطريق الأول للعلاج، ماذا يحوي بيتكم ليحوّل أخلاقك الطيبة إلى غير ذلك؟ ما أظن أبداً أن هذا التغيير الذي يطرأ على أخلاقك يحدث بمجرد دخولك البيت لأنك دخلت البيت، بل بالتأكيد هناك أسباب تجعلك في هذه الحال، وبمنطق أهل الأصول: ليس البيت كمكان هو العلة، وإنما عليك البحث عن العلَّة فيما يحتويه هذا المكان.

إذا وصلتِ إلى أصل المشكلة وأسبابها تستطيعين أن تضعي الخطوة الأولى في طريق العلاج، ربما يكون في تعاملك مع والديك أو في تعاملهما معك ما قد شابه الكثير من المشكلات التي وصلت بكما إلى عدم قدرتك على التواصل معهما تواصلاً طبيعيّاً صحيحاً، فعلى سبيل

المثال: كثير من الأسر ما زالت حتى اليوم تميِّز بين الولد والبنت في المعاملة، وتعطي الولد كل الصلاحيات التي تسلبها من البنت، بل ربما يتجاوز الأمر –للأسف– ليصل الأمر إلى جعل الولد قيِّماً على أخواته البنات، مهما كان عمره وعمرهن، ومهما كان مستواه العلمي والثقافي ومستواهن، ومهما كانت أخلاقه وسلوكياته وأخلاقهن وسلوكياتهن.

إنَّ ما يقوم به أولياء أمور هذه الأسر لهو جريمةٌ كبرى لا ترضي الله تعالى العدل المقسط جلَّ شأنه، ولا يقبلها رسولنا الكريم ﷺ الذي جاء برسالة الهداية والعدالة والرحمة للعالَمين.

وللأسف فإن هذه التصرُّفات تخلق في البيت فتيلاً مشتعلاً دائماً يحرق البيت ليل نهار، ويأتي على كل صغيرة وكبيرة فيه، وهذا ما ينبغي أن يقف له الدعاة والمصلحون والاجتماعيون وقفةً قويةً وجادة، علَّها تُصلح العقول والأفهام، وتبني الأُسَر على أساسٍ من المودة والرحمة كما أراد لها الله تعالى.

قد يكون الوالدان السبب في خلقك هذا يا أختي الكريمة، وقد يكون السبب إخوانك وأخواتك في البيت، فشابت علاقاتكم تراكمات من الأخطاء والتجاوزات والخصومات والمشاحنات على مدى سنوات وسنوات، وصلت بكم إلى أن يتربص كل طرف للآخر، وأصبح سوء النية هو الأساس والأصل، فكل تصرفٍ من الآخرين – أيّاً ما كان المقصود به– هو سوءٌ وشرٌ وإن لم يكن كذلك، وبدأ المنطق التبريري يسود، فيبرر المرء لنفسه كل ما يقوم به جهة الآخرين حتى ولو كان موقناً أنه خطأ، وإذا وصل الأمر لهذا المستوى أخشى أن ينطبق عليه قول الشاعر:

لا نسب اليوم ولا خلة اتسع الخرقُ على الراقعِ

فابحثي يا أختي أمل أولاً عن الأسباب، حدديها بدقة، وافهمي كنهها، ثم انتقلي معي للنقطة التالية من فضلك.

2- ابدئي بعلاج القلب أولا:

قلنا مراراً إنَّ الأعمال مغاريف القلوب، فإذا أردتِ أن تتحسن أعمالكِ وسلوكياتك فأصلحي القلب أولاً.

كيف يكون إصلاح القلب؟

يكون بالتالي:

- زيادة التقرب من الله تعالى، واللجوء إليه سبحانه عبر إكثار الأعمال المقربة إليه، إن القرب من الله تعالى يوجد سكينةً في النفس، وهدوءاً ربانيّاً ما كان أحدٌ ليصل إليه لولا هذا القرب، ولولا هذا الفضل من الله تعالى، تلكم السكينة وهذا الهدوء يصنعان من المسلم إنساناً آخر، سهلاً، سلسلاً، سمحاً، يجعل قلبه أنقى من أن يملأه بسواد الكره والبغض والحقد والعتب، وأجلّ من أن يُفقده صلته بربه سبحانه عبر اهتمامه بترَّهات الأشياء وسفاسفها البشرية.

ولو تحقق ذلك القلب يا أختي الفاضلة، لما عادت الدنيا بما فيها وما عليها تساوي أن يشغل المرء نفسه فيها لحظةً واحدة.

فالجئي من فضلك إلى الأعمال التي تقربك من الله تعالى؛ بالعبادات والطاعات، والقربات، والتصدق، وفعل الخير، ومساعدة الناس، وإغاثة الملهوف، وإعانة المحتاج، والصدق، وحسن الخلق، وعدم التكبر، و... و...، وما أكثرها من أعمال.

- مراقبة النفس ومحاسبتها: عليك يا أختي الكريمة أن تكثري النظر في نفسك، وأن تكون عينك مستيقظةً متنبهةً طوال الوقت، فإذا

ما مالت النفس يمنةً أو يُسرةً أدركتِها بالمحاسبة والتقويم، بل والعقاب إن احتاج الأمر لذلك.

سأضرب مثالا توضيحيّاً:

لو افترضت أنَّ مشكلتك مثلاً أساسها والداك، وأنك عادةً ما تردين عليهم بطريقةٍ غير لائقة، وفيها تجاوز، فضعي لنفسك هدفاً أنك لن تتجاوزي حدودك مع والدتك أبداً مهما بدا منها، وراقبي نفسكِ كلّما كنتِ في البيت، واضبطيها في حالة ما لو تعرضتْ والدتك لك بشيءٍ ما، فإذا ما بدر منكِ تصرفٌ تجاوز ما وطّنتِ نفسك عليه، الجئي سريعاً إلى المحاسبة والتقويم، فإن وجدت أنَّ المحاسبة والتقويم لم يُفلحا، عليك بعقاب نفسك، كأن تقرّري أنّه عند أيَّة حالة خطأ تصدر منك ستتبرعين فوراً ودون تأجيلٍ أو مماطلة بمبلغ كذا للأيتام والفقراء، فإذا أخطأت خطأ آخر تبرَّعت ثانية، فإذا تكرَّر الخطأ نفسه تضاعفين المبلغ الذي تتبرعين به، وهكذا مع كل خطأ حتى تتعوَّد نفسك على التقويم.

إن كان المال لا يؤثّر في نفسك ذلك التأثير، الجئي لعقابٍ آخر، كأن تمنعي نفسك من شيءٍ تحبينه لمدة معينة، تتكرَّر بتعدُّد الأخطاء، وتتضاعف المدة بتكرار الأخطاء.

عقابٌ ثالثٌ يتمثّل في تقليل عدد ساعات النوم، حتى إذا ما أحسست في نهارك بالحاجة للنوم وبالإرهاق، عرفت وتذكّرت أنَّ سبب ما أنت فيه هو أخطاؤك، فتوقّفت عن الخطأ.

إن تشديد المراقبة والمحاسبة ثم التقويم مفتاحٌ أساسيٌ لعلاج ضعف النفس، وهو ما يؤدي إلى القرب من الله تعالى.

– التدرُّج: الإنسان بطبعه ملول، ولو أراد أحدٌ أن يأخذ نفسه

بالقسر مرةً واحدةً إلى أمرٍ ما ما استطاع؛ لذلك فإن التدرج في التعامل مع القلب أمرٌ مهمٌّ، واحدةً واحدة.

تدرَّجي في التقرُّب إلى الله تعالى عبر البدء بما تحبين من أعمال، أكثري منها وزيدي، فإذا ما تجاوزت تلكم المرحلة انتقلي لما بعدها فأضيفي أعمالاً أخرى، وهكذا.

تدرَّجي كذلك في مراقبة النفس ومحاسبتها وعقابها، ولا تؤاخذيها على كلِّ الأعمال من البداية، وإنما يمكنك البدء أولاً في مراقبة النفس عن التجاوز مع الوالدة، فإذا ما استقرَّ الأمر انتقلنا إلى الوالد، ثم الإخوة والأخوات الأكبر فالأصغر، أو الأصغر فالأكبر، أو أن تبدئي بأخواتك البنات لأنهن عادةً أكثر قرباً وألين قلباً، ما يشعرك بسرعة تحقيق النجاح، فتزداد همتك، كما تشائين، المهم التدرج حتى لا تملَّ نفسك، وتعود بك إلى ما كان عليه حالك.

3- الجئي للحب:

بعد أن تستوثقي من قلبك ونفسك، وبعد أن يستشعر أهلك أن شيئاً ما فيك تغيَّر، الجئي يا أختي للحب، أغدقي عليهم حبَّك دون تكلُّفٍ أو تمثيل، وطِّني نفسك على حبِّهم مهما كانت حالهم، أحبيهم بصدق، ثم أظهري من أعمالك هذا الحب، بأن تساعدي من يحتاج مساعدة منهم، وأحضري لكلِّ واحدٍ منهم ما يحبُّ وقدِّميه هديةً له، وإذا مرض أحدهم قومي بعيادته وأظهري خوفك عليه، وصدِّقيني إن أفضل وقتٍ يستطيع المرء أن ينفذ إلى قلب أحدٍ هو حالة المرض، حين يحسُّ المريض بعجزه وضعفه وحاجته، فيجد أمامه ذلك القلب الخائف عليه بحقٍّ، والقادم لرعايته والاهتمام به.

4- تعلَّموا المصارحة:

بعد كسب الثقة والحبِّ، حدِّثي أهلك عن ضرورة تعلُّمكم جميعاً المصارحة، وأعني بالمصارحة هنا مصارحة التراحم، لا مصارحة البحث عن الأخطاء، حاولي أن توجدي في بيتك ميثاق مصارحة مبنيّاً على أن يُحسِن المصارِح عرض كلامه، وأن يسبقه بنيَّةٍ طيِّبةٍ صافية، وأن يقبل المصارَح ما يقال له عن أخطائه، واعداً بالتفكير فيها وإصلاحها، أو موضحاً ما كان في فهم تصرفه من لبسٍ، إن وُجِد.

أشدِّد على مصارحة التراحم لا مصارحة التصيُّد.

5- الصبر:

اعلمي يا أختي الكريمة أنَّ الصبر مفتاح كلِّ الحلول، الصبر مفتاح إصلاح قلبك، والصبر مفتاح الوصول للقلوب، والصبر مفتاح حلِّ المشكلات كلِّها.

فوطِّني نفسك على الصبر، وتأكَّدي أنَّ الزمن عاملٌ مهمٌّ في العلاج، فلا تستعجلي، ولا تيأسي.

6- الدعاء:

الدعاء أول الخطوات وثانيها وآخرها، فعليك بزيادة جرعة الدعاء بأن يصلح الله تعالى قلبك وحالك وحال أهل بيتك، وأن يهديكم جميعاً إلى الحقِّ وإلى دربه سبحانه.

إن الدعاء سلاح الله تعالى المنجز، وهو أكرم شيءٍ على الله تعالى كما ورد في الحديث: «ليس شيء أكرم على الله من الدعاء» [رواه أحمد والترمذي وابن ماجه بسندٍ صحيح].

أكثري من الدعاء، وثقي أن الله تعالى لا يملُّ حتى تملّي.

أختي الكريمة أمل، عبر هذه النقاط الستِّ تستطيعين بإذن الله تعالى أن تغيِّري ما تشعرين به من ضعفٍ بشريٍّ يصيبك في بيتك، وأسأل الله تعالى لك العون والمدد والتوفيق والفلاح.

غير أنني يجدر أن أنبِّهك إلى أمرٍ لا يمكن إغفاله، وهو أنَّنا نتحدَّث عن تغيير نفسك وخلقك أنت، حتى ولو لم يتغير أحدٌ من أهل بيتك، نقطتنا هنا هي "أمل" لا أحد ولا شيء آخر، أن تتغير "أمل" لتغدو قويةً بخلقها وسلوكها الطيبَين في أيِّ مكانٍ كانت، أن يكون هذا سمتها وسلوكها دائماً حتى ولو عاشت وحيدةً في الكون، وبصرف النظر عن تغيُّر الآخرين.

أنبه إلى هذا لأنَّ الكثيرين منَّا يظنون حين يرغبون في إصلاح أنفسهم أن ما يقومون به إنما هو فعلٌ متواكبٌ مع فعل الآخرين، إصلاحٌ بإصلاحٍ، وإلا فإفسادٌ بإفساد، هذا خطأٌ كبير، وفهمٌ معوجٌ، نحن هنا بصدد إصلاح "أمل" مهما بقي الآخرون في خطئهم وغيِّهم وجهلهم إن كانوا كذلك، ولنا في حديث النبي ﷺ استدلالٌ طيِّبٌ حين قال ﷺ: «ليس الواصل بالمكافئ، ولكن الواصل الذي إذا قطعت رحمه وصلها» [رواه البخاري].

فهنا لن تكوني المحسنة حين تكونين مكافئة يا أختي الكريمة، وإنما أنت المحسنة إذا أساء أهل بيتك فأحسنت لهم، أو كما قال ﷺ: «لا تكونوا إِمَّعةً، تقولون: إن أحسن الناس أحسنَّا، وإن ظلموا ظلمنا، ولكن وطِّنوا أنفسكم، إن أحسن الناس أن تُحسِنوا، وإن أساءوا فلا تَظلموا» [رواه أحمد والترمذي، وقال: هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ لا نعرفه إلا من هذا الوجه].

هذا والحديث مع الناس، فكيف والأمر مع أهل بيتِك يا أختي أمل؟!.

اللهم ربَّ السماوات والأرض، مالك القلوب ومصرِّفها كيف تشاء، أصلح حال أختنا أمل وأهلها، وانشر بينهم السكينة والرحمة والمودَّة والألفة، واجعل بيتهم روضةً تنطق بالإيمان، وطريقاً يوصل إلى الجنة.. اللهم آمين، أمِّنوا معي يا إخوتي قارئي هذه الكلمات.

شكراً أختي على دعواتك وثقتك، وأنتظر أن أسمع منك أحسن النتائج بإذن الله تعالى وتيسيره.

بين الالتزام والتشدد.. أزمة البدايات

ما نصيحتكم في التعامل مع بعض الشباب الذي أصابه الغلو في الدين، فهو من أهل الخير لكنه التزم، وبدأ يقرأ من الكتب، ويشدد على نفسه، وحتى في دعوته ونصحه لمن حوله، بما فيهم زوجته التي تشكو من سوء معاملته؟

عبد الله

الرد

المستشار: الأستاذ مسعود صبري

الأخ الفاضل، الغلو في الدين ينافي روح الدين، وقد قال النبي ﷺ: «إن الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه» [رواه البخاري]، وقد قال ﷺ: «يسّروا ولا تعسّروا، وبشّروا ولا تنفروا» [رواه البخاري]، وقد قال ﷺ لصحابته في حكاية الأعرابي الذي بال في المسجد: «دعوه، وأهريقوا على بوله ذنوباً من ماء، أو سَجْلاً من ماء، فإنما بُعثتم ميسرين، ولم تبعثوا معسرين» [رواه البخاري].

وكما أشار الإمام ابن القيم إلى أن "الشريعة رحمة كلها، وعدل كلها".

وفي ظني أن التشدد نابع من شيء أعتبره آفة الآفات في عصرنا، وهي: آفة السماع، وتسليم العقل والقلب للمشايخ والدعاة دون إعمال العقل، فهذه التبعية والتقليد الأعمى يورد المهالك، وقد

قال ابن مسعود ﷺ: «لا يقلدن أحدكم دينه رجلا إن آمن آمن، وإن كفر كفر»[المعجم الكبير للطبراني].

فكثير من الشباب اليوم حين يبدعون الالتزام يكون مصدر عبادتهم وعلمهم السماع، كما أن هناك عددا من المشايخ عندهم يعني الانشغال ببعض الجزئيات الفقهية التي هي جزء من الدين، غير أنها ليست كل الدين، فيتركون العمل بما هو متفق عليه، وينشغلون ويشغلون الناس معهم ببعض القضايا التي قضى الله تعالى أن تكون خلافية، وستبقى خلافية إلى أن يقوم الناس لرب العالمين.

وطريق الإصلاح يكون بالفهم، كما قال سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ في كتابه لأبي موسى الأشعري ﷺ: "الفهم الفهم فيما تلجلج في صدرك مما ليس في كتاب الله، ولا سنة رسول الله"، فالفهم شيء هام جدا، وهو أول الدعوة، وهذا الفهم عبر عنه القرآن بالعلم، فقال تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ﴾ [محمد: 19].

وهذا الفهم في ظني يتطلب من الإنسان أن ينفتح على كل المذاهب والاتجاهات، وأن يطرح التعصب جانبا، فيقرأ للغزالي والقرضاوي، كما يقرأ لابن باز وابن عثيمين، فكلهم علماء الإسلام، ومن الخطأ أن نترك مدرسة فقهية ونأخذ بمدرسة واحدة، فلكل مدرسة مزاياها، وقد وهبنا الله تعالى عقلا نفكر به، ونميز ما يصلحنا عن غيره.

فإذا وصل الإنسان إلى درجة من القراءة والفهم، فعليه بكتب الأقدمين كلّ الأقدمين، فإنهم أقل حدة من المعاصرين.

أخي الكريم، إن من العجيب أن ينشغل الدعاة بنقد بعضهم، فيخصص شيخ كبير محاضرتين ليبيّن أخطاء أحد العلماء كما يراها

هو، ويتهمه بمعاداة السنة، بل أكثر من ذلك وعلى هذه الشاكلة تجد الكثير من النماذج؛ وللأسف تضيع أوقات وجهود كان من الممكن أن تستثمر في إعادة أناس إلى طريق الله تعالى.

وخلاصة القول؛ إن علاج التشدد لدى هؤلاء لن يأتي إلا من خلال:

- تبصيرهم بمنهج النبي ﷺ في الدعوة، فقد كان يحب الرفق والتيسير على الخلق، ومن ذلك ما رواه البخاري عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «ما خُيِّر رسول الله ﷺ بين أمرين إلا أخذ أيسرهما، ما لم يكن إثما، فإن كان إثما كان أبعد الناس منه»، ولذلك شواهد كثيرة من سيرته ﷺ وسيرة أصحابه الكرام.

- دعوتهم إلى العلم والانفتاح على كل الثقافات، وأن نتعلم جميعا من الحياة ما ينفعنا في ديننا، وأن نخرج من التقوقع الذي نحبس أنفسنا فيه، وليكن رائدنا في ذلك كتاب الله تعالى، ثم صدر التشريع؛ لأنه من الملاحظ أن التشدد لم يكن وليد عصر الرسول ﷺ والصحابة، وإنما هو وليد زمن سد الذرائع، والتحريم أولى من التحليل، والعزيمة مقدمة على الرخصة، مع أن كل هذه أمور غير مسلم بها، وإن كنا ندعو للعمل بها في حينها ووقتها.

- ضرورة التفريق بين ما نلزم به أنفسنا، وما ندعو إليه غيرنا، فإذا كنت أحب الأخذ بالعزائم على المستوى الشخصي فليس ذلك ملزما لكل من حولي، ولا يصح أن يكون منهجي في الدعوة إلى الله وترغيب الناس في التزام دينه هو حملهم على منهجي وحدي وما أراه صوابا، وإن كان لا يتناسب وظروفهم وأحوالهم، إذ في الشريعة سعة، لكن المهم أن تستوعب عقولنا ذلك.

- الاستقاء من معين الكتاب والسنة، فلعلي لاحظت أن عرض كثير من الأمور في كتب الفقه تختلف في عرضها عن الكتاب والسنة، ولا يعني هذا التناقض، فالفقه قد اهتم بالأحكام الشرعية، وإخراج أحكام وقوانين يسير عليها الناس عند الخلاف، أو وضع ضوابط يجب مراعاتها؛ لكن الصورة الكلية تبقى في الكتاب والهدي النبوي اللذين نحن بحاجة إلى العودة إليهما بشكل أكثر تفصيلا. نسأل الله أن يرزقنا الصواب والرشاد، وأن يعلمنا الأحب إليه سبحانه وتعالى.

الإخوان أفسدوا عليَّ زوجي

السلام عليكم ورحمة الله، أصبحت لا أثق فيمن يدَّعون الالتزام، وليس لأني رأيت واحدا يفعل أخطاء فظلمت الجميع، ولكن كلهم!.

أعرف على المستوى القريب ما يقرب من مائة شخص كلهم يفعلون ما يريدونه ويدَّعون الالتزام، أقصد "الإخوان المسلمين".

لا أعرف لِمَ أصبح المسلمون يصنفون أنفسهم حتى نصبح شيعا وأحزابا؟!.

المهم ليس هذا هو مقصدي، فالكثير منهم لا يراعي الله في عمله، ما عليه إلا أنه يصلي وحريص على الصلاة في وقتها، يستخدمون الشات، وأنا أعرف أنه ليس بالحرام المطلق، ولكن من تريد زوجته محبته والقرب منه بعد يوم طويل لم تره فيه، ويدعي أنه أخ، "إيه دا اللي طالعين فيه".

المهم حديثا أصبح منهم من يخرب البيوت، ويتدخل في العلاقة الحميمة بين الرجل وزوجته، وإذا قال له: لا تقربها، فلا يقربها، حتى أصبح يمارس العادة السرية بشكل بشع، ويترك زوجته تبكي وتبكي حتى كادت أن تعمى ويذهب نظرها!.

ما أوصلني لهذه الحالة هو زوجي الذي يدَّعي أنه من الإخوان، ويأتي ليحكي لي ما يفعلونه، فأعترض معه على هذه الأفكار فلا يقتنع فأتركه، حتى أصبحت أشعر أنه مسلوب الإرادة، فأصبح يقتنع بكل شيء يقولونه ويفعلونه حتى إن كان غير مقتنع!.

بالله عليكم، ادعوا المسلمين للوحدة والقرب من الله أفضل من الاعتقاد أن ما نفعله صحيح.

لقد ذكرتَ قليلا من كثير مما أفقدني الثقة في كل شيء، لقد كان زوجي ملتزما حنونا مؤدبا، أما الآن بعد انضمامه للجماعة فكل شيء أصبح للنقيض، وكل غلط له مبرراته، ما العمل؟ وما الحل؟

w- مصر

الرد

المستشار: الأستاذ فتحي عبد الستار

أختنا الكريمة، سلام الله عليكم ورحمته وبركاته، ومرحبا بك في موقعك، وبعد:

فأشكر لك أولاً تواصلك معنا، وأنك خصصتنا بالحديث عما يجول بصدرك وما يعتمل داخلك من تساؤلات، ونسأل الله ﷻ أن يوفقنا لنكون سببا في راحة هذا الصدر، وإلقاء العناء عنه.

أختي، حقيقةً، صعدت بي رسالتك وهبطت في أودية كثيرة، فلا تكاد تصعد بي إلى قمة التعاطف معك، حتى تهبط بي إلى وادٍ من الدهشة والاستنكار لهذه الممارسات التي حكيت عنها، والتي أرجو بل وأدعو الله أن تكون من قبيل المبالغة منك، ولا تمت للحقيقة بصلة.

ويبدو أختي أنك كتبتِ لنا هذه الرسالة في حالة نفسية غير مستقرة، جعلتك تنحِّين المنهج العلمي في النظر والتفكير، وتغلبين عليه العاطفة والانفعال، وأنت الحاصلة على درجة علمية رفيعة كالدكتوراة كما كتبتِ في بياناتك، وظني أنك لو تأملت رسالتك هذه بعد هدوء نفسك لحذفت منها بعض الكلمات.

لكن على أية حال سأتعامل مع رسالتك كما كتبتِها، وأسأل الله لي ولك التوفيق والسداد.

تعالي نتحدث عما ذكرته بالترتيب، وأرجو أن توسعي صدرك لكلامي.

بدأت رسالتك أختي بالتعميم غير المقبول في أي حكم إنساني على جماعة من البشر، فمقبول أن نقول: "البعض من هذه الجماعة يفعل كذا أو يتصف بكذا"، لكن من غير المقبول وينافي العدل والمنطق والواقع أن نحكم على جماعة من الناس بمثل هذا العدد الكبير، والمنتشر أفرادها في كثير من بلدان العالم بأن كلهم يفعلون كذا، أو كلهم يتصفون بكذا!.

وأنا لا أدافع هنا عن الإخوان المسلمين، ولا أنزههم عن الخطأ، فكل ابن آدم خطاء، وما قلتُه يصدق في حق أية جماعة، فليس معنى أن فرداً من جماعة ما أو حتى مجموعة من أفرادها أخطئوا أن نسحب خطأهم هذا على كل أفراد الجماعة، ونؤاخذهم به، هذا إن ثبت انتماؤهم أصلا إلى هذه الجماعة، بل ينبغي ساعتها أن نرجع إلى الأصول الفكرية والمبادئ التي تعلنها هذه الجماعة، ونقيس ما ننكره من أفعال على هذه المبادئ والأصول، ثم نقرر هل هذا عيب جماعة أم عيب أفراد.

إن هذا منهج رباني قرره رب العزة سبحانه في القرآن الكريم، حيث قال: ﴿وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ [الأنعام: 164]، حتى مع من هم على غير ملتنا واعتقادنا؛ حيث تحدث عنهم ربنا بالعدل، فلم يصفهم جميعا بالضلال والفساد، وإنما حفظ لكل صنف منهم حقه، ولم يعمم، حيث قال: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ* يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ

وأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ* ومَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ واللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: 113-115].

وقال قبلها: ﴿ولَوْ آمَنَ أَهْلُ الكِتَابِ لَكَانَ خَيْراً لَّهُم مِّنْهُمُ المُؤْمِنُونَ وأَكْثَرُهُمُ الفَاسِقُونَ﴾ [آل عمران: 110].

وقال: ﴿وإِنَّ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ ومَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ ومَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَناً قَلِيلاً أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الحِسَابِ﴾ [آل عمران: 199].

ولاحظي معي أختي "مِن" التبعيضية في الآيات التي تؤكد على العدل في الحكم والموضوعية، وعدم التعميم حتى مع من كان منهم يؤذي المسلمين وينكر عقيدتهم.

إذاً فلا يصح أختي أن تنزعي ثقتك من "كل" الملتزمين، لأنك لم تعاملي "كل" الملتزمين، وإنما ربما أوقعتك الظروف في التعامل مع "البعض" الذين تسببوا في تشويه الصورة لديك، ووارد أيضاً أن تكون المشكلة –عفوا– في فهمك أنت لبعض المواقف التي تعرضت لها، وعدم رؤيتك للصورة بكاملها.

ولا يتصور أحد أن يدعي الالتزام إنسان ثم يفعل كل ما تمليه عليه شهواته، قد يخطئ نعم، ويتكرر منه الخطأ، لكن ليس من المعقول أن يحافظ على الصفتين معا، فالمنافق يفضحه نفاقه يوما، ولا يستمر في الخداع كثيرا.

لم توضحي مقصدك بقولك: "يفعلون ما يريدونه"، فربما كان ما يريدونه هذا لا يتعارض مع الالتزام كما تعتقدين، ولكل قول حقيقة، فما حقيقة هذا القول؟، سؤال يجب أن تسأليه لنفسك، خاصة أن الأمثلة التي ذكرتها لا نستطيع الحكم عليها بشكل مطلق أنها الحرام،

وهذا ما قررته أنت بنفسك في حديثك من أن "الشات" مثلا ليس حراما مطلقا، ولكن قد يبالغ الزوج في قضاء أوقات كثيرة عليه، ما يترتب عليه ضياع حقوق زوجته، فهنا نقول له: أنت مقصر، ويجب أن تعدل من سلوكك، وبذلك نضع الأمر في حجمه الطبيعي، دون تضخيم أو تحقير، فلا يصل الأمر لقولك: "ويدعي أنه أخ"!.

أما مسألة تدخل أصدقاء الزوج وإخوانه في العلاقة الحميمة بينه وبين زوجته لدرجة أن يأمروا الزوج بهجر زوجته، والامتناع عن معاشرتها، فهذا –لو صحَّ– أمر مستغرب ومستنكر، ولم نعرف أن أحدا قال بجوازه من العلماء والدعاة إلا على سبيل كونه وسيلة من وسائل زجر الزوجة الناشز وتأديبها بعد استنفاد وسيلة الوعظ، فربما كان الأمر هكذا، وأنت لم تذكري لنا سبب قيام الزوج بهذا الأمر.

إلا لو كان الهجر يقوم به الزوج –أو أُمِر به– على سبيل التدريب على كسر الشهوة تربية للنفس، وتهذيبا لها كما سمعت أحد الدعاة الشباب –وهو استثناء منهم، وليست القاعدة هكذا– يوصي بعض مستمعيه وكنت فيهم بفعل هذا، حيث نصحهم بالامتناع عن معاشرة زوجاتهم لفترات بحجة تربية النفس!، فاستنكرت هذا الأمر تماما في وقتها، واعترضت عليه وقلت له: من أين أتيت بهذا التوجيه؟، ليس في القرآن ولا في السنة ولا عند علمائنا الثقات من السلف أو الخلف ما يؤيد هذا أو ينصح به كوسيلة لتربية النفس، بل إن العكس هو الصحيح، فالرسول ﷺ غضب لما تنامى إلى علمه أن بعض الناس تقالوا عبادته ﷺ، فمنهم من قرر قيام الليل كله وعدم النوم، ومنهم من قرر اعتزال النساء وعدم الزواج، ومنهم من قرر صيام الدهر فلا يفطر أبدا، فما كان منه ﷺ إلا أن خاطبهم مستنكرا:

«أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟، أما والله أني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني» [رواه البخاري]، فإن كان الزوج يهجر زوجته لهذا السبب فقد خالف السنة، وليس هذا سبيل تهذيب للنفس، بل إن العلم أثبت أن العلاقة الحميمة بين الزوجين تهدئ النفس، وتشرح الصدر، وتجعل كلا منهما مهيئا للقيام بواجباته في الحياة، وأداء ما افترضه الله ﷻ، وامتناع أحد الزوجين عنها دون سبب شرعي معصية لله ﷻ، وتضييع لحق الطرف الآخر.

ولا أفهم ما الفائدة التي تعود على هذا الزوج الذي يمنع نفسه من معاشرة زوجته مع ما تسببه هذه المعاشرة من راحة وألفة، ويمارس العادة السرية التي ترهق النفس والجسد وتقطع أواصر الحب بينه وبين زوجته!.

ولا أفهم أيضا أن يتماهى إنسان لهذه الدرجة في جماعة أو في شخص لدرجة السماح له بالتدخل في مثل هذه الأمور الخاصة جدا، ويصير كما قلت مسلوب الإرادة، ويفعل أي شيء يأمر به حتى ولو كان غير مقتنع به!.

أما قولك: "لا أعرف لِمَ أصبح المسلمون يصنفون أنفسهم حتى نصبح شيعا وأحزابا؟!"، فهذه مسألة أخرى، ويبدو أن الذي دفعك لهذا السؤال هو غضبك من بعض أفراد الإخوان، أو ممن تتوهمين أو يوهمونك أنهم من الإخوان، ما جعلك تتصورين أن سبب المشكلة هو العمل الجماعي ذاته أو وجود الجماعات!، وهذه أيضا نظرة ظالمة للعمل الجماعي والجماعات.

تسألين في النهاية: ما الحل؟

أقول لك: الحل في يدك أختي، نعم، الحل في يدك أنت، فقد قرأت ما بين سطور رسالتك، وشعرت أن هناك حلقة مفقودة، وأن هناك أمورا لم تخبرينا بها عن نفسك أو عن زوجك أدت إلى هذا الوضع غير المفهوم وغير المقبول.

ومما شعرت به أن التفاهم شبه منعدم بينك وبين زوجك، وأن خطوط التواصل بينكما معظمها مقطوع، وأظن أن كلا منكما يتحمل جزءا من مسؤولية ذلك، ويجب ألا يلقي أحدكما التبعة على الآخر وحده.

أختاه، لا تنظري للأمور من زاوية واحدة، وتحصري أسباب مشكلاتك كلها في مجرد انضمام زوجك لجماعة من الجماعات، وتظني أن هذه هي المشكلة الحقيقية، إن المشكلة الحقيقية -وأرجو أن تتحمليني- فيك أو في زوجك.

اجلسي مع زوجك أختي جلسة مصارحة ملؤها الحب والتقدير واحترام كل منكما المبدئي لقناعات الآخر وأفكاره، وليستوعب كل منكما الآخر، وليحاول التعرف على رغباته، وما يرضيه وما يزعجه، ويتهم نفسه أولا ويصلح عيوبها قبل أن يتهم الآخر ويطالبه بالإصلاح.

فإن كان هناك خطأ في فهم بعض الأمور أو في التعامل مع بعض المواقف من قبل أحدكما، فليحاول الطرف الآخر أن يبين له الخطأ بهدوء، محاولا إقناعه بالسبل المختلفة التي تبقي الود وتحافظ على الحب، دون صراخ، ودون تبادل للتهم ودون تجريح.

ويمكنك أختي -إن استطعت- أن ترجعي لمن تعرفين من بعض قيادات الجماعة الذين تتوسمين فيهم الخير وعمق الفهم،

وتعرضي عليه ما يحدث من زوجك والمجموعة التي تحوطه وتشيري عليه بهذه الأمور، وأظن أنك ستجدين عنده ما يريحك ويذهب حيرتك ويعدل من سلوك زوجك. أسأل الله ﷻ أن يصلح لك شأنك كله، وتابعينا بأخبارك.

أعتذر.. الإخوان لم يفسدوا زوجي

السلام عليكم ورحمة الله، أستاذي العزيز فتحي عبد الستار، أنا صاحبة استشارة "الإخوان أفسدوا عليَّ زوجي".

جزاكم الله خيرا على سرعة ردكم، مش عارفة أقول إيه غير أني كنت بالفعل عند كتابتي للرسالة السابقة كنت غاضبة وخائفة من مستقبلي مع زوجي الذي أحبه، بل أعشقه، ولا أتمنى في هذه الدنيا غير حبه لي ورضا الله عني في الدنيا والآخرة.

ربما ترى حضرتك أني كنت مبالغة، وربما أكون، أنا أعتقد أني غير مبالغة لأني أنا المتعبة، ولكن كل ما قلته حدث، هذا بدون مبالغة، ولم أذكر لسيادتكم الأحداث الأخرى، فكلما تذكرتها مع نفسي لا أصدق، هل أنا في حلم أم حقيقة، أقصد ما حدث بيني وبين زوجي.

ولكن الكلام الذي أتراجع فيه -لأن الرجوع للحق فضيلة- هو أنه لا تزر وازرة وزر أخرى، وأني لا أظلم جماعة لها قيمتها الأخلاقية لموقف شخصي أعيش فيه.

لا تعلم أستاذي أني ذقت طعم المُر كما يقال في السنوات الثلاث الأولى من حياتي الزوجية ويزيد، وكنت أتقرب لربي بالصلاة في الليل أدعوه أن يهدي زوجي ويهديني ويصبرني، ولا أعلم ماذا جرى لحبيبي، وكنت دائما أدعو بدعاء الرسول وأبكي بحرقة: "اللهم إليك أشكو ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس أرحم الراحمين، أنت أرحم الراحمين، إلى من تكلني؟ إلى عدو يتجهمني، أم إلى قريب ملكته أمري، إن لم تكن غضبانا علي، فلا أبالي، إن عافيتك أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة أن تنزل بي غضبك، أو تحل علي سخطك، لك العتبى حتى ترضى، لا قوة إلا بك" [المعجم الكبير للطبراني].

لا تعرف التأثير العجيب لهذا الدعاء، فقد كررته سنين أدعو وأبكي، إلى أن أكرمني الله واستجاب لدعائي، فمنذ فترة وزوجي غاية في الحنان والحب، يا رب أدم عليَّ سعادتي، وأدمها على كل الناس.
لقد أطلت على حضرتك، تراجعت عما قلت، ليس بسبب هداية زوجي، ولكن لأني تجاوزت الحدود في كلامي عن الإخوان المسلمين.
غفر الله لي زلتي، وهدانا لما يحب ويرضى، وجزاكم الله خيرا.

الرد

المستشار: الأستاذ فتحي عبد الستار

نعم أختي، صدقتِ، الرجوع للحق فضيلة، وأي فضيلة، خاصة إذا كان الأمر يتعلق بسمعة أناس أخطأنا في حقهم، ونعتناهم بما ليس فيهم.

شكر الله لك أختي الكريمة، ولن أعلق كثيرا على رسالتك هذه، فقد وافقَتْ في كثير من فقراتها ردي السابق عليك، من حيث وجوب العدل في الرضا والغضب، ونبذ الأحكام المتسرعة المنفعلة التي تتسم بالتعميم والإطلاق.

ولكن ما أود أن أؤكد عليه هنا أمران:

الأول: أن انتماء الفرد لجماعة دينية دعوية –أي جماعة– لا يخلع عليه العصمة والملائكية، وينفي عنه الخطأ والبشرية، وكذلك الجماعة في مجملها، فما الجماعة إلا مجموعة من الأفراد.

وقد رأينا في مجتمع الصحابة، وهو أطهر المجتمعات وأزكاها، رأينا وقوع الكبيرة والصغيرة من بعضهم؛ فمنهم من زنا، ومنهم من سرق، ومنهم من عيَّر أخاه وسبَّه، ومنهم ومنهم، كل هذا ورسول

الله ﷺ فيهم، ينزل عليه الوحي غضا طريا، ولكن تلك الأخطاء الفردية والمخالفات الشخصية لم تجرِّح عموم الصحابة، ولم تخلع عنهم العدالة، فما بالنا نجزع ونتعجب إن أخطأ فرد منا لمجرد أنه ينتمي لجماعة دينية ودعوية، أو لمجرد حتى إنه إنسان يُعرف عنه الصلاح؟!.

إن الله ﷻ حينما يوقفنا بين يديه يوم القيامة يزن أعمالنا الحسنة بأعمالنا السيئة، فإن رجحت الحسنات على السيئات ولو بذرّة واحدة نجا العبد وأدخله الله الجنة، رغم ما عمل من سيئات؛ لأن الغالب عليه هو الصلاح، فلماذا نحن لا نقبل هذا، ونرفض أن يحوز إنسان أو جماعة قبولنا إلا إذا كان هذا الإنسان خاليا تماما من العيوب والنقائص؟، وهل هناك من يبرأ من العيوب والنقائص؟!.

الثاني: أثارت هذه الاستشارة عند نشرها ردود فعل عاطفية عند بعض الإخوة الكرام من جماعة الإخوان المسلمين، وأرسلوا إلينا يشككون في صحة السؤال، ويرون أنه سؤال مفتعل، وأن مرسله قَصَد به تشويه الجماعة لا غير، وطالبونا بحذف الاستشارة أو تغيير العنوان على الأقل، مع تأكيدهم على أن الرد كان جيدا وعادلا ومقبولا من جهتهم.

وتأتي هذه الرسالة لتؤكد على أن الواقعة حقيقية، وأن السائلة قصدت كل ما قالته عن الخلافات بينها وبين زوجها، وأنها لم تبالغ في هذا الأمر، بل تقول إنها لم تحكِ كل شيء، وإنما جانبها الصواب فقط في التعميم والإطلاق، فأرسلت ترد الاعتبار للجماعة، وتتراجع عن اتهاماتها لها، ونحن نحمد لها ذلك الصنيع ونشكرها عليه.

وهنا أحب أن أهمس في أذن إخواني الذين اعترضوا على نشر الاستشارة الأولى -وأرجو أن يتحملوني- بأن هذه حساسية زائدة من جانبهم تجاه ما يُنشَر عن الجماعة، حيث إن جماعة الإخوان الآن - وفي هذه المرحلة بالذات- أصبحت شأنا مجتمعيا عاما، بعدما قررت الجماعة الالتحام بالمجتمع وقضاياه والانتشار بين شرائحه المختلفة، والعمل الميداني وسط هذه الشرائح، ومن حق هذا المجتمع أن يتعرف على هذه الجماعة كما هي، وبشفافية مطلقة، كمجموعة من البشر، لهم إيجابياتهم وسلبياتهم، دون تضخيم أو تهويل لأي من تلك الإيجابيات أو السلبيات، وهذا لا ينفي فضل الجماعة في مجملها، مهما ارتكب بعض أعضائها من أخطاء بحكم بشريتهم، تماما على سبيل القياس، كما لم تنفِ أخطاء الصحابة الفردية العدالة عن مجتمع الصحابة.

أما اعتبار أي نقد موجه للجماعة -ولو كان ذاتيا- نقدا مغرضاً، ونقداً للإسلام ذاته، وسهاما تريد النيل من الجماعة، وتحاول الحط من قدرها وتشويه صورتها؛ فأظنه اعتبارا خاطئا، والتصرف الصحيح حيال هذا النقد -أيا كان ودون التدخل في نية صاحبه- أن تتقبله الجماعة بصدر رحب، وتعترف بالصحيح منه، وتحاول الاستدراك، وتبين الخطأ فيه، وتعمل على توضيح الصورة الحقيقية.

أما الذين يتربصون ويتلقفون أي نقد في حق أية جماعة من المسلمين، أو أية نقيصة في حق أحد أفرادها، ويختلقون المعايب ليستخدموها لأغراض خبيثة في أنفسهم، ويزيدون عليها من افتراءاتهم، ويضخمون ويهولون ويعممون، فأولئك لا يستحقون أن نعمل لهم حسابا، ولا أن نرد لهم جوابا، ونتركهم لحساب الله ﷻ،

وحسبنا وحسب المؤمنين قوله ﷻ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الحج: 38]، وحسبنا وحسب المؤمنين أيضاً أن نكون من ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ* فَانقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُواْ رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ [آل عمران: 173، 174].

إن أمثال هؤلاء المتربصين لا يعدمون وسيلة للتشهير والتجريح إن أرادوا، بل إن لم يجدوا مثلبة حولوا الحسنات إلى سيئات، والفضائل إلى عيوب وخطايا، وصدق من قال:

وما أحد من ألسن الناس سالماً ... ولو أنه ذاك النبي المُطهَّرُ

فإن كان مقداماً يقولون أهوج ... وإن كان مفضالا يقولون مبذِّرُ

وإن كان سكّيتاً يقولون أبكم ... وإن كان منطيقاً يقولون مهذَرُ

وإن كان صواماً وبالليل قواماً ... يقولون زوار يرائي ويمكرُ

فلا تكترث بالناس في المدح والثنا ... ولا تخش غير الله والله أكبرُ

في النهاية أسأل الله ﷻ أن يرزق الجميع الصواب والرشاد، وأسأله جلا وعلا أن يبارك لك أختي الكريمة في زوجك، وأن يصلحه لك، ويصلحك له، وأن يرزقكما وإيانا سعادة الدنيا والآخرة.

داعيةَ الأقارب.. خفِّف الوطء قليلا

بسم الله الرحمن الرحيم، أسرة هذا الموقع (الدعوة والدعاة)، سلامٌ وبعد:

فإني أسأل الله أن يجزيكم عنّي خير الجزاء على جهودكم الموصولة التي فيها منارة الخير للمستهدين، بفضلٍ من الله ونعمة، فإني واحدٌ من الذين نذروا أنفسهم في سبيل خدمة ديننا العظيم، عبوديةً وشكراً وطمعاً وخوفاً وحبّاً لله، ومسألتي غيضٌ من فيضٌ أقولها باختصار قاصداً العبرة والفائدة، كنت قد تزوّجت منذ سنين زوجةً ملتزمةً صالحةً ومصلحة، تعينني في ديني ودنياي، وقد وجدت رجائي بعد طول انتظار، غيرَ أن أهلها محافظون بحكم العرف والتقاليد، لا بحكم الدين، الأولاد لا يصلون إلاّ عندما أدعوهم للصلاة، خاصةً غير البالغين منهم، والعمُّ بعيدٌ عنهم، ومشغولٌ في العمل، وحالته المادية ممتازة، الشباب غير مثقفين اجتماعيا ومدللون من حيث المصروف، حاولت جهدي أن أنصحهم بالموعظة الحسنة مراراً وتكراراً مستغلا كل المناسبات، وكذلك من خلال الأشرطة والكتب، ومن خلال زوجتي وهي معلّمة شريعة، غير أن الفكر الدعويَّ عند زوجتي يصطدم بأمرين: الخمول وعدم الاكتراث، ثمَّ ضعف الهمة عموما، وبيت العمِّ لا يحبُّون التدخل في شئونهم الداخلية، حاولت أن أبدي استيائي غير مرة، وقد أخبرت زوجتي أنني سأقاطع بيت العمِّ بسبب عدم القدرة على التغيير، لعلها تكون وسيلة ضغط، كما أنني أعتزم أن أطلب من عمِّي ترك العمل مستغلاً تصريحه بذلك، ليكون قريباً من أولاده، علماً بأنه يعلم حالهم، وهو من النوع المتردد، الذي يرغب في العمل، إذ إنَّ دخله يقرب من ثلاثة آلاف دينار أردنيّ "حوالي 4300 دولار"، وكنت ألمح له دائماً بحديث الرسول ﷺ: «إذا

مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث» ومنها: «ولدٌ صالحٌ يدعو له»[النفقة على العيال لابن أبي الدنيا].
هذا الحال، راجياً التكرُّم علي بتوجيهاتكم، وجزاكم الله عنِّي خير الجزاء، وأعتذر عن الإطالة

جمال- الأردن

الرد

المستشار: الأستاذة سميرة المصري

إلى الأخ جمال، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أُقدِّر غيرتك الإسلامية، وإخلاصك في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لكني أخالفك الرأي في الأسلوب والممارسة.

النصح والأمر بالمعروف واجب على كل مسلم، لكن في حدود السلطة والولاية على من يرشد، وقد جاء في الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ: «كلكم راعٍ ومسؤول عن رعيته، فالإمام راعٍ وهو مسؤول عن رعيته، والرجل في أهله راعٍ وهو مسؤول عن رعيته...» [متفق عليه]، ولم يقل: "مسؤول في أهلها"، وسلطتك يمكن أن تمارسها على زوجتك وأولادك ومن ترعاه من أهلك في حدود المعروف والطيب من القول وعدم الفظاظة، وفي ذلك يقول الله تعالى لرسوله الكريم في كتابه: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: 159]، وتنتهي مهمتك بالتبليغ دون إكراه أحد على التغيير إلا عبر الإقناع والحكمة.

ومستغربٌ موقفك من عمِّك وأهل زوجتك، فلا أجد شرخاً كبيراً في التزامهم الدينيّ، فهم مقيمون لعباداتهم، ومَن دون البلوغ من

الأولاد يحتاجون للتذكير من أجل تأدية صلاتهم، فما الضير في ذلك؟ كثيرةٌ هي البيوت الإسلامية التي يوجد فيها هذا النوع من الأولاد وأظنه الغالب؛ لأن الرسول ﷺ يقول: «مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر » [رواه أبو داود بإسنادٍ حسن].

أما قرار مقاطعة زيارة بيت العم فهو من قطع الأرحام التي تؤاخذ عليها شرعا؛ لأن واجبك النصح فقط، وبما أن زوجتك معلِّمة شريعة، فإنني أظن -والله أعلم- أنها تعرف حدود النصح وعدم أهلية الصهر لإكراه أهلها على ما يرغبه منهم من حسن التزام؛ لذا فهي تجابه طلبك بعدم الاكتراث أو بضعف العزيمة والهمَّة كما وصفت، وهي ليست كذلك، إنما هو الملل من إلحاحك على ما لا تملك الحق فيه، ومنعاً للمشاجرات التي قد تحصل بينكما إذا جادلتك.

أخي الكريم، إن الإسلام لم يكلِّفك سوى بالتبليغ، أما النتيجة والعاقبة فهي ليست واجبةً عليك، حتى إن الله تعالى يقول لرسوله الكريم: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً إِنْ عَلَيْكَ إِلاَّ الْبَلاَغُ﴾ [الشورى: 48]، فكيف تجيز لنفسك ما لم يكلَّف به نبيّ؟!.

أمّا نظرتك المثاليّة في دعوة عمك لترك عمله والتفرغ لتربية أولاده، فهذا مما لا يليق أن تأمره به ما دام يكسب رزقه بالحلال، ولا شأن لأحدٍ به، فهو صاحب القرار في ذلك، وتربية الأبناء لا تستوجب من الأب ترك عمله والتفرغ لهم، لأن التوجيه يحصل مع سعي الأب لكسب رزقه ولا تناقض بين المهمتين، فلم نسمع عن أحد الصحابة -وهم خير مثالٍ لنا- مَن ترك الجهاد وكَسْب الرزق من أجل تربية أبنائه، فهذه مهمة الأمّ بالدرجة الأولى.

ختاماً أقول: خفِّف عنك يا أخي، فمهمتك الإصلاحية يجب أن تتوقف عند حدود النصح ولا تتعداه إلى من ليس لك عليه حق القوامة، وإيّاك والانقطاعَ عن زيارة بيت عمّك الطيبين حتى لا تفسد ذات البَيْن معهم، وحتى تحافظ على صلة الأرحام التي تصل زوجتك بأهلها، وهذا هو الأولى.

وفّقك الله لما يحبه ويرضاه، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

انتهت إجابة الأستاذة الفاضلة سميرة المصري، ولعلَّ السبب الرئيسيّ في هذه المسألة يكمن فيما يمكن أن يسمى بـــ"الوصاية" التي يمارسها الكثير من الملتزمين بالإسلام على الناس، حتى ولو كانت هذه الوصاية من غير قصد، فبمجرد إحساس الملتزم بأنه على الحقّ يجعله يتصرّف مع الناس رغبةً في هدايتهم بمنطق الوصاية، وربما يكون ذلك بدون قصد الوصاية على أحد، وهذا المنطق بالطبع ينتج تبعات متعددة تتراوح بين فرض الرأي، والتغليظ في الكلام، والمقاطعة، وهي كلُّها مظاهر أبعد ما تكون عن أسلوب الدعوة الحقّ، الأسلوب الذي قرّره القرآن الكريم، وعلّمنا إياه نبيُّنا ﷺ.

فيا أخي جمال، يا من وصفتَ نفسك بأنك "من الذين نذروا أنفسهم في سبيل خدمة ديننا العظيم، عبوديةً وشكراً وطمعاً وخوفاً وحبّاً لله"، اخدم دينك بالطريقة الصحيحة المحبَّبة المحبّبة، وامتثل صفة نبيّك صلى الله عليه وسلم في قومه: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: 128].

شكراً لك يا أخي جمال على عاطفتك الجياشة، وعلى حماسك وهمتك، ورزقك الله تعالى الإخلاص وحسن العمل، وأدم التواصل معنا من فضلك.

الزوجة تدعو.. والزوج يرفض

أعاني من زوجٍ غير متعاونٍ معي في مجال الدعوة؛ حيث إنَّه يمنعني من المشاركة في المحاضرات، أو حتى استقبال صديقاتي في المنزل، علماً بأنَّه يعملُ في مجال الدعوة، ولكنَّه غير مقتنعٍ بجدوى عملي الدعوي، ويشعرني دائماً بعدم الثقة في نفسي، حتى أصبحت أخشى مواجهة صديقاتي والتحدُّث معهنَّ في أيِّ موضوعٍ من موضوعات الدعوة.

أم محمد- مصر

الرد

المستشار: الأستاذة سميرة المصري

إلى الأخت أمِّ محمَّد، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أهنِّئك بدايةً على سلوك طريق الدعوة لأنَّه أشرف مهمَّة، والدعوة ميراث الأنبياء من بعدهم، كما أنَّ الحاجة ماسَّةٌ لدور المرأة في هذا المجال؛ لأنَّ الآيات القرآنيَّة لم تميِّز بين الرجل والمرأة في مجال الدعوة، فقال تعالى في كتابه الكريم: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ [التَّوْبَة: 71]، وقال في آيةٍ أخرى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [آل عمران: 104]، وهذه دعوةٌ من الله لإيجاد الأمَّة الفاضلة التي تتألَّف من الرجل والمرأة.

قد تعترض الداعية عقباتٌ تَحُدُّ من نشاطها وتشدُّها إلى الخلف، وأهمُّها عدم تعاون الزوج مع عمل زوجته الداعية، وعدم تفهُّمه

لأهميَّة دورها، وهذا من العنت الذي تواجهه بعض الداعيات.

قد يكون أيَّتها الأخت لزوجك عذرٌ في عدم تشجيعك، وقد تكون له أسبابه التي تجهلينها وتحتاج إلى معالجةٍ منك، لا أظنُّ ذلك مستحيلاً ما دام من سالكي طريق الدعوة.

من هذه الأسباب: أن يشعر الزوج بنفحةٍ من الغرور تسيطر على تصرُّفات زوجته معه، وتهدِّد قوامته الحريص على عدم المساس بها، وهذه نقطة ضعفٍ عند معظم الأزواج، فإذا أشعرتِه خلال عملك الدعويِّ أنَّك بحاجةٍ إلى استشارته، وأنَّه يُمثِّل الأستاذ الموجِّه لتلميذته، فقد يأمن عند ذلك على رجولته ويغضُّ النظر عن عملك؛ لأنَّ الداعيات منهنَّ من تخطيء أحياناً وتنسى أنَّها قبل كلِّ شيءٍ هي زوجة، وعليها واجباتٌ ينبغي الاهتمام بها، فالداعية التي تمارس الوعظ في تحرُّكاتها وتتسقَّط أخطاء زوجها لتُلْقي عليه المحاضرات -حتى ولو كانت بنيَّةٍ صادقةٍ وخالصةٍ لله- تثير ضيق زوجها وتشعره باهتزاز قوامته عليها.

أو قد يكون السبب هو التقصير في الشئون المنزليَّة والعائلية، فإذا أهملت موعد غدائه مثلا وهو هامٌّ، ومن حقوق الأسرة عليك من أجل نشاطٍ دعويّ، أو شغلك عن تأمين الملابس نظيفةً ومكويَّة، أو تكرار غيابك في أوقات راحته أو حاجته لخدمة ضيوفه، أو تهاونتِ عن مساعدة الأولاد في واجباتهم المدرسية أو الحياتية... إلخ، هذه كلُّها أسبابٌ يمكن أن تجعل الزوج يضيق بعملك الدعويّ، لذا فإنَّ الذكاء والحكمة والصبر وتنظيم الوقت عند الداعية، ومعرفة الأولويَّات عند الزوج التي لا يتسامح في التقصير بها، يجب أن تتوافر عند من تريد سلوك هذا الطريق.

قد يكون من الأسباب أيضاً عدم وجود نماذج نسائيَّةٍ تستحقّ احترام زوجك، أو عدم لمس الفائدة الثقافيَّة والعلميَّة من حضورك للمحاضرات ومشاركتك الأنشطة، لكلٍّ من هذه الأسباب حلّ، فينبغي معرفة السبب لعلاجه.

لكن، على كلٍّ الأحوال، جرِّبي إعطاءه دور المشرف كي تزيد ثقته بدوره، ولا يخشى من تفوُّقك عليه، وحافظي على تأدية واجباتك الأسريَّة، وخاصَّةً في الأولويَّات التي لا يعذرك عند التقصير فيها.

احتفظي بملخَّصٍ لما سمعتِ وتعلَّمتِ من المحاضرة أو النشاط الدعويّ كي يقتنع بفائدة المشاركة على شخصيَّتك وزيادة رصيدك العلميّ، وابتعدي عن ذكر بعض الأحاديث التافهة التي قد تسمعينها من بعض النساء، ولا تنسَيْ شكره عند السماح لك، وأكِّدي على أنَّه السبب في تقدُّمك وتطوُّر شخصيَّتك وأشعريه بالامتنان له.

إذا انتفت هذه الأسباب، لا أظنُّ أنَّ زوجا يمانع في عمل زوجته الداعية، إلا إذا تربَّى على النظرة الدونيَّة للمرأة، وعدم احترام دورها الدعويّ.

والموقف حينها صعبٌ حتى تثبتي له جدارتك واستحقاقك لفخره ودعمه، وإلا فإنَّ نصيبك في العمل في سبيل الله سوف يصلك في بيتك وفي حسن تبعُّلك لزوجك، وكفى بهذا اختزالاً للجهد وكرماً من الله لمن تواجه مثل ظروفك، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

تحدَّثت الأستاذة سميرة بحسِّها الدعويّ وتجربتها كداعيةٍ متزوِّجةٍ وربَّة بيت، فنقلت لك يا أخت أم محمَّد العديد من ثمرات تجربتها وخبرتها في التوفيق بين بيتها ودعوتها، وهي التي حقَّقت –

بفضل الله- نجاحاً طيِّباً في المجالين معا، فكان حديثها واقعيّاً وعمليّا، ونافعا.

تعقيبي الوحيد هو كلمةٌ أوجِّهها للأزواج الدعاة الذين أدعوهم ليس إلى إعادة النظر في مسألة ترك زوجاتهم يمارسن الدعوة، بل إلى تعدِّي ذلك بمساعدتهنّ بكلِّ قوَّة، فالأزواج وحدهم ليسوا قوام الأسرة، بل قوامها الأزواج والزوجات جنباً إلى جنب، وحتى تُبنَى الأسرة وتُشيَّد على أساسٍ متين، وجب أن يشارك فيها الطرفان، وبالتأكيد الزوجة الممارسة للدعوة أكثر قدرةً على المشاركة وحسن البناء، والأسرة المسلمة الحقَّة تحتاج إلى تعاضد أطرافها.

نعم لا أحد يقرُّ تقصير الزوجة في حقِّ البيت والأسرة باسم الدعوة، ولا أحد يقبل إهمال الزوجة لزوجها باسم الدعوة، فهذه فروضٌ على المرأة القيام بها، ولكنَّني أطلب من الأزواج بعض رحابة الصدر إذا قصَّرت الزوجة، وألا يعتبر أدنى تقصيرٍ منها حجَّةً ليمنعها من التعلُّم والتعليم، فالإفراط في التقصير من الزوجة خطأ، والإفراط في التقييد من الزوج خطأً أيضا.

وبنفس منطق النقطة السابقة -منطق عدم تقصير الزوجة في بيتها- أنبِّه إلى أنَّه لا يجوز للزوج أن يقصِّر في حقِّ أهله وبيته باسم الدعوة، فكم رأينا من دعاةٍ أهملوا بيوتهم لأجل الناس، وأغفلوا تربية أولادهم ليربُّوا أولاد المسلمين، فصلح أولاد المسلمين، وفسد أولادهم! وهذا منطقٌ فاسدٌ باطلٌ لا يقبله أحد.

على الأزواج الدعاة إذاً أن يهتمُّوا ببيوتهم، وأن يعينوا زوجاتهم على ممارسة الدعوة، ولا بأس من بعض التنازلات الشخصيَّة ورحابة الصدر في التعامل مع تقصير الزوجة الداعية.

هذا خطابنا للأزواج، وقد سبقه خطاب الأستاذة سميرة للزوجات، وعلى الطرفين -الأزواج والزوجات- أن ينظروا في حالهم، ويَزِنوا أنفسهم.

نرجو أن نكون قد أجبناك إلى ما طلبتِ يا أختنا، ومرحباً بك دائما، وأعلمينا ما يستجدُّ معك.

حائرة بين زوجي والدعوة

إذا أقر الزوج والزوجة بفرضيَّة الدعوة إلى الله على كلٍّ من الرجل والمرأة سواءً بسواء، فهل يجوز للزوج أن يحدِّد عدداً معيَّناً من أوقات الأسبوع تخرج فيها الزوجة للدعوة؟ في حين أنَّها لا تعمل بمفردها، بل من خلال مجموعة أخوات صغيرة لها ظروفها، ولا يستطيع تحديد ومعرفة هذه الظروف الدعوية إلا القائمون عليها.

وهو يرى من وجهة نظره أنَّ هذا التحديد مراعاةً منه لمصالح البيت والأولاد، في حين أنَّ الزوجة ترى من وجهة نظرها وإدارتها لشئون بيتها وأولادها أنَّ البيت في هذا الوقت بالذات لا يحتاجها، فهي طوال اليوم ترعى شئون بيتها، وعندما تعود ستواصل احتياجات البيت والأولاد والزوج.

ولن يضطرب البيت لخروجها في هذا الوقت بالذات؛ لأنَّها تعرف جيداً ماذا يشغل كلّ واحد من أفراد أسرتها في برنامجه اليومي، فلا حاجة مُلحَّة لوجودها في هذا الوقت، علماً بأنَّ أكبر أبنائها فتاة في الخامسة عشرة، والصغرى في السابعة في الصف الثاني الابتدائي، وفي معظم الأوقات يكون الأب مع الأولاد أثناء خروجها وله دوره التربوي معهم بارك الله فيه.

وإذا رفضت الزوجة هذا التحديد بسبب علمها بفرضية الدعوة عليها، بناءً على ما قرأته في كتاب "أصول الدعوة" للأستاذ عبد الكريم زيدان، تحت عنوان: مَن هو المكلّف بالدعوة إلى الله؟ إنَّ المكلَّف بالدعوة إلى الله هو كلُّ مسلم ومسلمة؛ لأنَّ الأُمَّة الإسلاميَّة تتكوَّن منهم، فكلُّ بالغ عاقل من الأُمَّة الإسلاميَّة – وهي المكلَّفة بالدعوة إلى الله – مكلَّفٌ بهذا الواجب، ذكراً كان أو أنثى.

ومع علمها بأنَّ هذا التحديد نتيجته أنَّ عملها سيتوقَّف (وهذا يضر بها نفسيّا) والذي بدوره يؤدِّي إلى عبء على الدعوة بسبب الاعتذار عن الأيَّام التي سوف يختزلها الزوج طبقاً للتحديد الذي يراه، على الرغم من أنَّ هذا العمل مستمرٌّ بفضل الله منذ سنوات، وسوف أُستبدَل، في حين أنَّ الدعوة تحتاج إلى مَن يحملها ويقودها، لا لمن يُحمِّلها ما لا تطيق، ومع علمها أنَّها ستكون آثمة إن تقاعدت لعدم وجود سببٍ شرعي يمنعها عن دعوة الله.

فهل يجوز لها أن تخرج بدون إذن زوجها؟ حيث إنَّها أقنعته بظروف دعوتها السابقة، ورفض في بعض الأحيان للأسباب السابقة، استناداً منها إلى معنى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، أنَّه "لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق"، ولأنَّها تجد هواها في الدعوة إلى الله، وهذا هدفها دائماً، وعلماً بأنَّه تزوَّجها وهو يعلم أنَّها عاملة لله في دعوته عزَّ وجل، وهذا يحمل في طيَّاته موافقته ضمنيّا لخروجها للدعوة، وكما جاء في الاستشارة الدعوية السابقة على موقعكم بعنوان "المرأة والعمل الدعوي.. أدوار وأفكار".

إنَّ المرأة من المفروض عليها – أي تثاب إذا فعلت وتأثم إذا لم تفعل – دعوة المجتمع إلى الله وإلى الإسلام تماماً، كما هو مفروضٌ على الرجل.

وقد جاء في فقه السُنَّة: أنَّه مستحَب للزوجة أن تستأذن زوجها في الخروج إلى الحج، فإن لم يأذن لها خرجت بغير إذنه، وما للحج من مكانة أعلى من الدعوة، فهل يمكن لها أن تخرج كالحج؟

وقد قرأت في كتاب رياض الجنَّة: وعلى المرأة ما على الرجل من واجب التفقُّه في أحكام الدين لما تحتاج إليه من شئون حياتها، وللإنذار والتبليغ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، لدخولها في الطائفة، لقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾[التوبة: 122].

ومن المعلوم لديكم أنَّ هذا الواجب بالذات لن تتعلَّمه إلا من إخوان أو أخوات لنا سبقونا في سلك الدعوة إلى الله، وهذا يحتِّم الخروج إليهم، فليس من المعقول أن تتم هذه الواجبات والأمر بالمعروف وتعلم الإنذار والتفقه في الدين وهي في بيتها.

ولأنَّ إقامتي في السعودية، فالظروف لا تسمح بخروج المرأة بمفردها؛ لأنَّ المجتمع يعيب ذلك عليها، والرجال يكونون في عملهم صباحاً، فتعذَّرت لقاءاتنا صباحاً؛ ولهذا اتفقنا أنا وزوجي أن نحكِّم شرع الله ونستشيركم في هذا الأمر، وهو:

- هل يجوز للزوجة أن ترفض تحديد الزوج لعدد معيَّن من الأوقات في الأسبوع تخرج فيها زوجته للدعوة، ويصل هذا الرَّفض منها إلى الخروج بدون إذن منه؟. وجزاكم الله خيراً.

Amani – مصر

الرد

المستشار: فريق الاستشارات الدعوية

تقول الأستاذة إيمان طلال المقادمة، مدرسة التربية الإسلامية والقرآن الكريم بمانشستر - بريطانيا:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين، محمد، صلَّى الله عليه وسلم، ومَن سار على هديه إلى يوم الدين، أمَّا بعد.

نشكرك أختي الكريمة على ثقتك بنا، وجعلنا الله عند حسن ظنِّكم، وهدانا لما فيه رضاه، وبارك الله فيك حرصك على الدعوة إليه، وحملك همَّ الإسلام والمسلمين، وبارك الله في زوجك وأولادك.

أختاه، لقد خلق الله البشر من ذكرٍ وأنثى، ولم يفضل أحدهما على حساب الآخر، بل سوَّى بينهما في الإنسانيَّة وفي أساس التكليف، لكنه لحكمته وسعة علمه فرَّق بينهما في بعض المسؤوليات حسب اختلاف طبيعتهما التي لا يعلمها حقَّ علمها إلا الله تعالى، ﴿أَلاَ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: 14]، وهذا التفريق يعطي الحياة التنوُّع المطلوب لعمارة الكون وخلافة الأرض، كما ينظِّمها ويرتِّبها، فكلٌّ يسير إلى هدفه المنشود.

والآثار الدالة على هذا التساوي بين الرجل والمرأة كثيرة، منها على سبيل المثال قوله تعالى: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لاَ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنْكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ﴾ [آل عمران: 195]، وقال صلى الله عليه وسلم: «إنَّما النساء شقائق الرجال» [رواه الترمذي بسند صحيح].

وعليه، فالمرأة والرجل سواء في أحكام الإسلام التي لم يرد فيها دليل بتخصيص الرجال بها دون النساء، ومن هذه الأحكام الدعوة إلى الله، أو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بل لقد ورد ذِكْر النساء مع الرجال في هذا التكليف الشريف، قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللهُ﴾ [التوبة: 71]، لكن ما حكم الدعوة إلى الله الذي يشترك فيه الرجال والنساء سواءً بسواء؟

حُكم الدعوة إلى الله:

شرع الله تعالى الدعوة إليه طريقاً للإرشاد والهداية والتوجيه

إلى الخير ومنع الضرر، وهو سبب خيريَّة هذه الأمة، قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ﴾ [آل عمران: 110]، وقد جعل تعالى تركها سبباً للعنته، حيث قال: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ* كَانُوا لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة: 78، 79]، كما جعلها تعالى سبباً للنجاة، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [الأعراف: 165].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "مَن رأى منكم منكراً فليغيِّره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان" [رواه مسلم].

وجاء في التحذير من تركها ما رُوِي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنَّه قال: "لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يدي الظالم ولتأطرنه على الحقِّ أطراً" [رواه أبو داود]، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً منه ثم تدعونه فلا يستجاب لكم" [رواه الترمذي بسند حسن].

قال الجصاص: وقد ذكر الله تعالى فرض الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في مواضع من كتابه، وبيَّنه رسول الله صلى الله عليه وسلم في أخبارٍ متواترة، وأجمع السلف وفقهاء الأمصار على وجوبه.

وقال النووي: وقد تطابق على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الكتاب والسُنَّة وإجماع الأمَّة، وهو أيضاً من النصيحة التي هي الدين.

وقد ذهب جمهور الفقهاء إلى أنَّه فرضٌ على الكفاية، أي إذا قامت به طائفة سقط عن الباقين، واستدلُّوا على ذلك بقوله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: 104]، و(مِن) في الآية للتبعيض، ووجه الاستدلال أنَّ الخطاب موجَّه إلى الكلِّ، مع إسناد الدعوة إلى البعض، بما يحقِّق معنى فرضيتها على الكفاية، وأنَّها واجبة على الكلِّ، لكن بحيث إن أقامها البعض سقطت عن الباقين، ولو أخل بها الكلُّ أثموا جميعاً.

ولأنَّها من عظائم الأمور وعزائمها التي لا يتولَّاها إلا العلماء العالمون بأحكام الشريعة، فإنَّ مَن لا يعلمها يوشك أن يأمر بمنكر وينهى عن معروف، ويغلظ في مقام اللين، ويلين في مقام الغلظة.

إذن، هي فرض كفاية وليست واجبة وجوباً عينيّا على كلِّ إنسان، وقد يشكل هنا حديث تغيير المنكر، وقوله صلى الله عليه وسلم عن تغييره بالقلب: "وذلك أضعف الإيمان" وفي رواية: "وليس وراء ذلك من الإيمان حبَّة خردل"، فيُفهَم منه أنَّ عدم الإنكار يخرج الإنسان من الإيمان، وجوابه أنَّ الإنكار بالقلب فرض عين على كلِّ مكلَّف، ولا يسقط أصلاً؛ إذ هو كراهة المعصية، وهو واجبٌ على كلِّ مكلَّف.

وقال الإمام أحمد: إنَّ ترك الإنكار بالقلب كُفر، لحديث "وهو أضعف الإيمان"، الذي يدل على وجوب إنكار المنكر بحسب الإمكان

والقدرة عليه، فالإنكار بالقلب لا بدَّ منه، فمن لم ينكر قلبه المنكر دلَّ على ذهاب الإيمان من قلبه (نقلاً عن الموسوعة الفقهية بتصرُّف).

لكن كما هو مشاهَد اليوم، فرسالة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر غير متحقِّقة في أُمَّتنا على القدر المطلوب، ممَّا يجعل الإثم ما يزال قائماً على كلٍّ مَن قصَّر فيها، فيبقى أمرها واجباً على كلٍّ مَن يجد – أو تجد – في نفسها القدرة على القيام بأعبائها، ويندفع هذا الإثم بأي عملٍ يقدِّمه الإنسان لمصلحة الدعوة بمفهومها الشامل والواسع، كما سنفصِّل لاحقاً.

ترتيب الأولويات:

ينبغي بناءً على ما سبق أن ترتِّب المرأة أولويَّاتها، ترتيباً شرعيّا يرضي ربها، فالحج أختاه فرض عين على كلٍّ مسلمٍ ومسلمة مستطيع إليه سبيلاً، قال تعالى: ﴿وَلِلهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: 97]، ويقول الإمام أبو بكر بن العربي في أحكام القران: "قال علماؤنا: هذا من أوكد ألفاظ الوجوب عند العرب، إذا قال العربي: لفلان عليّ كذا، فقد وكّده وأوجبه، قال علماؤنا: فذَكَر الله سبحانه الحج بأبلغ ألفاظ الوجوب؛ تأكيداً لحقِّه وتعظيماً لحرمته وتقويةً لفرضه".

وهو ركنٌ من أركان الإسلام، فهو أعظم حقًا من الدعوة في الأداء؛ ولذا لم يُسمَح للرجل أن يمنع زوجته الخروج لأداء الفريضة التي افترضها الله عليها، ولكن رغم ذلك يكون له الحق أن يمنعها من الخروج لأداء حج التطوع، وذلك لما للزوج من حقٍّ على المرأة لا

يخفَى، وحسبي أن أذكر ما أخرجه أحمد واللفظ له، وابن ماجة وابن حبان في صحيحه، عن عبد الله بن أبي أوفى قال: "لا تؤدي المرأة حق الله عز وجل عليها كله حتى تؤدي حق زوجها عليها كله".

وأولى أولويَّات المرأة هو زوجها وبيتها، وإنَّ الله تعالى عندما أمرنا بالدعوة أمرنا بها لتتحقَّق رسالة هداية القلوب وصلاح النفوس وإعمار البيوت، فكيف تقوم على الشقاق بين الرجل وزوجته، أو على خراب بيت مَن يقوم بإصلاح البيوت الأخرى.

وسائل الدعوة كثيرة متنوعة:

وهذا الأمر ندركه بفهمنا للدعوة بمفهومها العام، ووضعها في إطارها الواسع الشامل، فليست فقط الخروج من البيت، ولقاء جمع من الأحبَّة - وإن كنَّا نوقن بأن هذا يوسِّع دائرة المدعوين ويعمِّم الخير على كثيرين - فالدعوة تبدأ بالقدوة الصالحة في نفسك، وأوَّل المدعوين هم أقرب الناس إليك، قال تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: 214]، وتربيتك أولادك تربية صالحة دعوة وجهاد، وفي زياراتك الروتينيَّة لبعض الأصحاب والمعارف الكثير ممَّا يمكن استثماره، تذكِّرين أصحاب الخير شكر النعمة، وتبشِّرين أهل البلاء بقرب الفرج، وتذكِّرين بالصبر والرضا، وتكونين قدوةً للناس في ذلك، كما يمكنك الاستفادة من وسائل الاتصال الحديثة، والإنترنت خاصةً، ويمكنك الاتصال بمجموعتك - إن تعذَّرت عليك المشاركة المباشرة معهن - فتساعدينهن من خلال إعداد الموضوعات الدعوية، أو غير ذلك حسب طبيعة العمل الدعوي الذي تقوم به تلك المجموعة.

فبمثل هذا أختاه ترفعين عن نفسك الإثم الذي يمكن أن يقع عليك لترك الدعوة، ولا تنسي أنَّك في ذلك ترضين الله تعالى بإرضاء زوجك.

ثم بالنسبة لزوجك، فأنت لم توضِّحي وجهة نظره من بقائك في البيت في وقت أنت تقولين: إنَّه لا حاجة لوجودك أثناءه في البيت، ربَّما كان له رأي أوجه، فلا بأس إذن أن تتحاورا في الأمر من جديد بهدوء، ولن يكون عليك بإذن الله إثم إذا أطعته، بل هو أرفع لك عند الله.

كلمة للرجال:

ونهيب بزوجك الفاضل، وبكلِّ رجلٍ مسلمٍ يحبُّ الإسلام والمسلمين، أن يذكروا حال أمتنا، وضياع شبابنا، يتقلَّبون في نيران الخطايا، ويشقون في جحيم البعد عن الله سبحانه وتعالى قد فتك بهم شيطانٌ ماكر، وعدو فاجر، وهوىً مستعر، منهم مَن ينتظر منَّا كلمةً يغيِّر بها وجه المسير، أو عوناً على خير لطالما حلم ببلوغه، لكن ضعفت نفسه وتخاذلنا عنه، فنهشه أعداء الإسلام نهشاً، تركناهم ضحايا في جهلٍ وعمى، وقلنا: أين الإسلام يا مسلمون؟!.

ونهيب بهم أن يذكروا نعمة الله عليهم بالهداية، ونعمة الزوجة الصالحة الداعية الحاملة لهمِّ المسلمين - وقد غدت مثيلاتها يحملن هم الكيد لبعضهن والتسابق في إهمال بيوتهن -، وليذكروا ثواب الداعية، ويذكروا أنَّهم بسماحهم لزوجاتهم بالدعوة إلى الله وتشجيعهم لهن سوف يكون لهم مثل أجورهن "فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خيرٌ لك من حمر النعم" [متَّفقٌ عليه].

تذكروا إخواننا ذلك، واعلموا أنَّه بقليلٍ من التضحية والتعاون نقدِّم خيراً عظيماً لأُمَّتنا يبقى، لعل الله يقيل بنا عثرتها، ويقيمها من نكستها، ويعلي أمرها، ويرفع شأنها ويهدي شبابها، ويصلح رجالها ونساءها وشيوخها، ومَن منَّا لا يحبُّ ذلك؟. فهلاً إذن تسابقنا على منابع الخير، ننهل منها ونفتحها لغيرنا، ولا نرضى لأنفسنا مجرَّد رفع إثم ثم نمضي؟

الفصل الرابع

الشيزوفرينيا مع المجتمع

من أخطر أنواع الشيزوفرينيا فتكاً ذلك النوع الموجه إلى المجتمع؛ فالمجتمع هو بيئة عمل الداعية؛ فإذا أصاب هذه البيئة ما يعكرها، أو ظهر بعض الغبش الذي يؤثر على رؤية الناس للداعية؛ فإنها ستتأثر سلبا، وربما يكون ضرر الداعية هنا أكثر من نفعه؛ فينفِّر من حيث أراد التجميع، ويبغِّض في الدين من حيث أراد التحبيب.

ومن مظاهر هذه الشيزوفرينيا مع المجتمع أن يتعامل الداعية بنوعين من الأخلاق؛ فهو مع المدعوين داعية بكل صفات الداعية الحسنة، ومع غيرهم إنسان عادي في تعاملاته وأخلاقياته وسلوكه.

ومن مظاهر الانفصام مع المجتمع أن يحاول الداعية أن يتجمل أمام الناس ويظهر أفضل ما عنده من حسنات، فإذا رجع إلى بيته وحياته الطبيعية عاد إلى طبيعته التي ربما يكون فيها الخطأ والصواب، وهذا النوع من الدعاة يكون سببا في الصد عن التدين والالتزام؛ حيث يظن من يراه في هذه الحالة من الملائكية أنه يستحيل عليه أن يسلك هذا الطريق لأنه يحتاج إلى ذوي ملكات خاصة. وإذا عرف هؤلاء الناس حقيقته بعد ذلك فإنهم سيصابون بالشك وفقد الثقة في التدين.

وغير هذا الكثير من المواقف والمظاهر التي يشكو فيها المجتمع من الدعاة وتصرفاتهم، وهو ما نتعرف عليه في الصفحات التالية.

مأساة انفصام الدعاة.. بل مآسٍ!!

في كثير من الأحوال يتعرض الإنسان لمواقف دعوية محيرة، وتكون أكثر حيرة حين تكون أطرافها من الدعاة، ويكون الحل في أعلى مستويات الصعوبة حين يكون الموقف المحير سلوكا مرفوضا.

وعلى سبيل الحصر "سوء الظن" الذي يقع فيه عدة أشخاص بسبب أحد الدعاة، الذي يلجأ إلى الدفاع عن نفسه حين المواجهة الرقيقة بحجج قد تبدو مقنعة؛ لأنه ألحن في حجته من أخيه، فإذا كان الناس في حياتهم يلجئون إلى قوة الحجة لإقناع أنفسهم وإقناع الآخرين للدفاع عن أنفسهم.. فكيف يكون الأمر حين يصدر ذلك من داعية يمثل نموذجا أمام الآخرين؟

أرجو الإفادة، شاكرا لكم حسن الاستماع.

الرد

المستشار: الدكتور محمد محمود منصور

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ وبعد..

فشكر الله لكم وجزاكم خيرا كثيرا على حبكم لإسلامكم وحرصكم عليه وعملكم به وله.

السائل الكريم، إن الانفصام الدعوي مأساة دعوية، بل مأساة إسلامية، حذرنا منه الله تعالى في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ* كَبُرَ مَقْتاً عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: 2،3]. فهو أمر ممقوت، بغيض، كريه، مخجل، مرفوض؛ لأنه مضر متعس.

وحذرنا منه الرسول ﷺ في قوله: «تجدون من شر عباد الله يوم القيامة ذا الوجهين، الذي يأتي هؤلاء بحديث وهؤلاء بحديث» [أخرجه البخاري ومسلم].

إن "المنفصم دعويا" يتعامل بمكيالين، بأسلوبين، بنوعين من الأخلاق: خلق بين مدعويه الذين يعلمون أنه داعية لهم، وخلق آخر مع من لا يعرفونه!.

هو داعية مع المدعوين، بكل صفات الدعاة، حيث حسن المظهر، والبسمة، والرقة، والحلم، وسعة الصدر، والتسامح، والتعاون، والتضحية، والإيثار، والصبر، والكرم، والوفاء بالوعود والمواعيد، ونحو ذلك.

وهو مع "العاديّين" عادي!! بل متعدٍّ أو مسيء!! وكأنه معهم يستريح من عناء الأخلاق الحسنة!!.

ثم تحدث الصدمة، حينما يعلم – وبالتأكيد سيعلم يوما ما بطريق ما– أحد هؤلاء "العاديين" أنه داعية من الدعاة، أو العكس حينما يعلم الدعاة أنه مع العاديين "عادي". حينئذ ستكون المأساة!!.. أو المآسي!!.

مأساة على النفس، وعلى المدعوين، وعلى الإسلام، وعلى المسلمين، وعلى غير المسلمين.

فأما المأساة على النفس، فأهم أعراضها الشعور بالقلق والاضطراب، والعذاب، والتعاسة، فما أتعس فطرة الخير فيها وأشد عذابها المتصاعد، حينما يريد العقل أن يوجهها نحو غير الخير رغما عنها، وعما خلقها الله له من الصلاح والسكينة والسعادة!! إضافة إلى عذاب الآخرة إن لم يتب عقلها موجهها، يقول تعالى موضحا هذا: ﴿وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَاباً صَعَداً﴾ [الجن: 17].

وأما المأساة على المدعوين، فأهم أعراضها فقدان الثقة في الداعي، أو في كل الدعاة وفي كل أو بعض توجيهاتهم؛ ولذا يقول تعالى على لسان رسوله شعيب منبهاً لهذا ومحذرا منه: ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ﴾ [هود: 88].

وأما المأساة على الإسلام، فأهم أعراضها قد تكون التشكيك فيه ذاته!! فلو كان صالحا لتقويم الناس وإصلاحهم وإسعادهم لكان أول مَن يصلحه ويسعده هو هذا الداعي نفسه الذي من المفروض أنه أول المتمسكين به!.

ولهذا حذرنا الرسول ﷺ تحذيرا شديدا من مثل هذا وما شابهه، فعن أبي مسعود الأنصاري ﷺ أن رجلاً اشتكى من فلان مما يطيل في صلاته، فما رأيت النبي ﷺ في موعظة أشد غضبا من يومئذ، فقال: «أيها الناس إنكم منفرون، فمن صلى بالناس فليخفف، فان فيهم المريض والضعيف وذا الحاجة» [أخرجه البخاري].

وأما المأساة على المسلمين، فأهم أعراضها امتلاء المجتمع بأمراض الرياء أو حتى النفاق وعدم المصداقية والجدال، بل كل أنواع الفساد واردة الحدوث؛ لأن الكل له تبريراته لأخطائه، والكل يراعي الكل، وليس الله والإسلام.

يقول تعالى محذرا من الخسارة التي تعود على من يفعلون ذلك: ﴿الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [البقرة: 27].

وأما المأساة على غير المسلمين، فمزيد من تمسكهم بضلالهم، حيث يرونه صلاحا وانتصارا، مقارنة بالإسلام الذي لا يرون منه إلا كل خلل وهزيمة!!.

يقول تعالى على لسان المؤمنين الذين يحرصون على ألا يشوهوا صورة إسلامهم: ﴿رَبَّنَا لا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا﴾ [الممتحنة: 5].

إن أهم أسباب هذا "الانفصام الدعوي" هو أسلوب التربية والنشأة منذ الصغر، وظروف البيئة المحيطة، فمن ارتبط ضعيفا بخلق من أخلاق الإسلام دون إزاحة الخلق السيئ المقابل من داخله والذي تربى عليه سابقا، فإنه بين الحين والحين، وحين يوسوس إليه الشيطان، ويستجيب هو له بعقله، وينسى ربه ودينه وفوائده له في دنياه وآخرته، يعود إلى ما اعتاد عليه وفعله كثيرا في صغره ونشأ فيه، كما يحذرنا من ذلك الله تعالى في قوله عن آدم: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً﴾ [طه: 115].

السائل الكريم، رغم أن المأساة تصيب كل هؤلاء، ورغم أنهم ليسوا السبب فيها، ورغم أنهم ليسوا جناة بل ضحايا، فإن الحل في يد معظمهم.

فالمدعوون أنفسهم عليهم أن ينشطوا جميعا حتى يصبحوا هم الدعاة، فكل مسلم داعية على قدر استطاعته، كما يقول الرسول ﷺ لنا دون استثناء: «بلغوا عني ولو آية» [أخرجه البخاري]. وإذا كان هناك من يدعو ويسيء، فلنُخرِج من بيننا، أو لنكن كلنا، دعاة مصلحين صادقين، ظاهرنا كباطننا، يصلح بعضنا بعضا، إلى أن ينصلح حال هذا المسيء.

يقول تعالى منبها لهذا: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: 104]. قال الإمام ابن كثير في تفسيره: والمقصود من هذه

الآية أن تكون فرقة من هذه الأمة متصدية لهذا الشأن، وإن كان ذلك واجبا على كل فرد من الأمة بحسبه، كما ثبت في صحيح مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان».

ومجتمع المسلمين كله عليه أن ينشط في التمسك بأخلاق الإسلام الحسنة كلها حتى لا يكون هناك مكان أصلا لأي خلق سيئ!! بل كله خير. يقول تعالى موضحا هذا: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: 110].

قال الإمام القرطبي في تفسيره: "وقيل: إنما صارت خير أمة؛ لأن المسلمين منهم أكثر، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيهم أفشى...".

ومجتمع الدعاة المتميزين في الدعوة ينشطون كلهم في نصح هذا الداعي والإحاطة به ليتعلم منهم، مثلما كان مجتمع الصحابة الكرام، حيث كانت أخطاؤهم التي نقلت إلينا قليلة أو نادرة؛ لأن كلا منهم وفَّر البيئة الصالحة لمن حوله، فأين يكون سيئا!!. لا مكان للسوء!! ولا وقت له!! بل كلها أماكن حسنة وأوقات حسنة!!.

والمسلمون الأقلية في غير بلاد المسلمين ينشطون في رسائلهم إلى المسلمين في بلاد الإسلام أن كفاكم إساءة لنا وتعويقا عن دعوتنا لغيرنا، بسبب سوء سلوككم وانفصام أخلاقكم، ليكون ذلك مما يعين المسيء على الإحسان.

والنفس بعد كل هذا، ومن خلال توجيه العقل صاحب الدور الأساسي في توجيهها تنشط في اتباعها للإسلام الذي يصلحها، وتترك

الأعراف والأساليب التربوية السيئة أو الخاطئة التي نشأت عليها، وتنشط في العلم والعمل، أي تنشط في تذكّر أضرار الخلق السيئ، ومنافع الخلق الحسن في الدنيا والآخرة، ليكون ذلك دافعا قويا لها لاتباع الخير والتمسك به، وترك الشر ومقاومته وقهره، وتنشط في عمل بعض أعمال تعينها على التطبيق ودوام التذكر وعدم النسيان، أهمها الاستعانة بالله ودعائه بالتوفيق وتقوية الصلة به بدوام ذكره وتدبر مخلوقاته، مع تقوية إرادة العقل والنفس بفعل بعض الشعائر التي تقويها، مثل صيام يوم أو اثنين أسبوعيا، أو قيام ليلة أو أكثر أسبوعيا بركعتين أو أكثر، مع فعل عكس الصفة السيئة تدريجيا، مع التواجد وسط صحبة صالحة ومعايشتها لتتشرب صفاتها الصالحة.

هذا، ويجب التنبيه على أنه ليس معنى ما سبق ألا يخطئ الداعية، أو أنه أحيانا لا يعمل بما يقوله (ما دام هذا ليس غالب حاله)! أو أنه إذا كان لا يعمل بخلق ما، فممنوع عليه أن ينقله لغيره، إنما يدعو غيره له حتى ولو لم يكن فيه، لينتشر الإسلام ويتسع، ثم بانتشاره سيضفي الآخرون من حوله عليه هذا الخلق، وسيساعدونه على تطبيقه فيتمسك به هو أيضا يوما ما؛ لأنه ليس من المعقول أن يذم الله تعالى نشر الخير وإدخال الناس الجنة به، وإنما المعقول أن يذم سبحانه نسيان النفس وإصلاحها وإدخالها الجنة مع الداخلين.

وهذا هو المفهوم الصحيح لقوله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: 44] والذي قال فيه الإمام القرطبي: "اعلم وفقك الله أن التوبيخ في الآية بسبب ترك فعل البر لا بسبب الأمر بالبر"، وهو أيضا المفهوم الصحيح لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ* كَبُرَ مَقْتاً

عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف:2،3]، والذي قال فيه أيضا الإمام القرطبي: "إنما وقع الذم ههنا على ارتكاب ما نهى عنه، لا على نهيه عن المنكر ولا شك". وقال فيهما سعيد بن جبير ما معناه: "إذا كان لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر إلا من لا يكون فيه شيء، لم يأمر أحد بشيء".

كما يجب التنبيه أيضا على أنه قد يكون الأمر سوء ظن فعلا كما ذكرتَ في رسالتك، أي بغير دليل قطعي واضح دون أي شك، وإلا كان الإثم كما يقول تعالى: ﴿إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات: 12]. فلنبدأ إذن بحسن الظن من خلال الاجتهاد في معرفة هل هذا التصرف قد حدث بالفعل أم لا، وإن كان قد حدث فلنجتهد في معرفة الأسباب التي أدت إليه من خلال الحوار الودود كما فعلتم بكلام مناسب وبأسلوب مناسب وبشخص أو أشخاص مناسبين، وفي توقيت مناسب، ثم لنجتهد في التشجيع على أن ذلك خطأ عابر لن يؤثر في الخلق الحسن الدائم المعروف به، ولن يؤثر على تعاملاتكم فيما بينكم، وأننا سنخرج جميعا من هذا الخطأ أكثر خبرة وأكثر تصميماً على اتباع الخير من أجل أن نذوق سعاداته بعدما ذقنا مرارات الشر وتعاساته.

وسيكون لكل من شارك في خطوة من خطوات هذا الإصلاح ثوابه العظيم، كما يقول تعالى: ﴿إِنَّا لاَ نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾ [الأعراف: 170]. وفقكم الله وأعانكم.. ولا تنسونا من صالح دعائكم.

انفصام شخصية الدعاة والشق عن القلوب

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على أشرف خلق الله أجمعين، وعلى آله وصحبه إلى يوم الدين. أود بداية أن أبسط رداء الشكر لإخواني وأخواتي المستشارين الذين ردوا على تساؤل الأخت السائلة حفظها الله تعالى، في الاستشارة التي عنوانها: عندما يصاب الدعاة بانفصام الشخصية! فجزاهم الله خير الجزاء.

ومما دفعني للمشاركة في هذا الموضوع عدة أمور: أن هذا الموقع موقع دعوي مميز، له رواده الكُثْر، وقد عُرِفَ بطرحه الوسطي في أموره كلها، وفق منهجية ووعي ونضج.

أن الساحة الدعوية تعيش في بعض بيئاتها تناولاً لأعراض الكثير من علماء الأمة، الجدد منهم والأولين، فضلاً عن الدعاة وطلاب العلم الناشطين في مجال الدعوة إلى الله تعالى.

أننا من خلال ركن الاستشارات المبارك هذا؛ نراعي في طرحنا البعد التربوي العملي العميق، الذي يعطي أسساً ومنطلقات، تُمكّن السائل من أخذها، ووضعها كمعايير في أمره الذي يسأل عنه، كوننا يخفى علينا الكثير من الحيثيات.

إن من الواضح من خلال سؤال الأخت الفاضلة وطريقة صياغته، وكثرة علامات التعجب والاستفهام فيه، من الواضح أنها في حالة هي أكثر من الحيرة، وقد أجاد إخواني المستشارون في تحليل (حيرتها) وفهم أسبابها، ونصحها بما رأوه مناسبا لها.

لكن تعبير (في جوفه) الوارد في نص السؤال؛ أمر جد خطير، وهي تصف من تعنيه بـــ (الخداع) من بعد أن دخلت إلى مكنون صدره، وهذا مسلك مرفوض ابتداءً من حيث الأصل في الحكم على الناس.

ولنا في قصّة أسامة بن زيد الذي قتل المشرك بعد أن أعلن إسلامه وقال: لا إله إلا الله، فعنّفه رسول الله على فعلته، وقال له مستنكراً: «أقال: لا إله إلا الله، وقتلته؟ فأجاب أسامة: قالها يا رسول الله خوفاً من السلاح، فقال عليه الصلاة والسلام: أفلا شققت عن قلبه؟» [رواه مسلم]. مع أنّ كلّ الظواهر تشير إلى أنّه قالها فعلاً خوفاً من القتل، ولكنّ الله لم يسمح لنا باتهام النوايا.

فدخول المسلم إلى جوف أخيه المسلم أمر مرفوض، فضلاً على كون هذا المسلم داعية مُطارداً ويلاقي العنت في الحياة بسبب دعوته!.

وهذا الدخول جد خطير، وليس من منهج أهل السنة والجماعة في شيء أبداً، بل هو سَمْت فرق أخرى ضلت الطريق وعاثت في الأرض فساداً، من بعد هذا الدخول للصدور، فلم يتعدَّ الأمر إلى الحكم على فرد وكونه مخادعاً، بل إلى أمور أخرى، عانى منها التاريخ الإسلامي، وجرَّ الأمة إلى ويلات الشق عن الصدور.

إن كل المؤشرات في حديث أسامة رضوان الله عليه تؤيد تفكيره وسلوكه في قتل ذلك الرجل، لكن النبي ﷺ أكد تعنيفه: "أقتلته بعد أن قال: لا إله إلا الله!" وكررها مراراً، حتى قال أسامة رضوان الله عليه: "تمنيت أني أسلمت ذاك اليوم"، من شدة الضيق الذي أصابه. وفي بعض ألفاظ الحديث، قال له ﷺ: "فكيف تصنع بلا إله إلا الله يوم القيامة؟".

فكيف بمن تقول الأخت السائلة: إنه داعية يُسجَن ويُطَارَد في سبيل دعوته؟!.

إن الداعية إلى الله تعالى هو من شَهِدَ الدعاة من حوله بتزكيته وتوثيقه، فهو الثقة، وليس الداعية هو من قال عن نفسه: إنه داعية، وعندها يجب أن نتحرز من الدخول لقلوب الناس، وأن نسلك المسلك الصحيح عند ظهور أخطاء منهم.

فلا مجال للتقليل من مجتمع الدعاة، أو لمزهم بكلام عام دون بيِّنة، وهم بشر، لهم ما للبشر، وعليهم ما على كل البشر، لكنهم ليسوا هملاً أو من عوام الناس، بل هم ورثة الأنبياء، والتعامل مع أخطائهم له أصوله وضوابطه.

فمن ذا الذي جرَّأ بعض ناشئة الصحوة على الإمام ابن حجر العسقلاني (رحمه الله)، ودعا إلى حرق كتبه، لكونها تحوي بعض الأمور التي لم توافق ذلك الناشئ ومن ربَّاه، ومن الذي جرَّأ حدثاء الفهم على الخوض في عِرض الإمام العز بن عبد السلام (سلطان العلماء)، لولا وجود هذه الجرأة المبنية على أن الدعاة لهم بعدهم الغيبي دون الواقعي؟

بل حتى عالم الأمة اليوم الشيخ يوسف القرضاوي لم يسلم من أولئك المتطاولين بغير وجه علم، بله حق.

إن ذاك الداعية الذي تعنيه الأخت الفاضلة، أليس له إخوة يحيطون به كونه مطارداً ويُضيَّق عليه، فهو ضمن فئة من الدعاة وعلماء يعرفونه، وقرناء هم به على صلة وثيقة، كي تشتكي لهم الأخت الكريمة ما تراه هي خداعاً، وحملاً في الجوف للتناقض، وانفصاماً للشخصية.

ثم كواجب للمسلم على أخيه، هل أدت دور النصح والحوار بشتى الطرق الممكنة، قبل القول بأنه مخادع، وقبل أن تشق عن صدره، كذا علينا أن نوجّه الأخت، قبل الوقوع في أعراض الناس، ووصفهم بأمور هي من الخطورة بمكان.

وفي شرعنا الكريم موازين أرشدنا لها:

﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾ [هود: 114].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلاَ تَجَسَّسُوا﴾ [الحجرات: 12].

﴿وَلاَ تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾ [الأعراف: 85].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لله شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا الله إِنَّ الله خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: 8].

قال ﷺ: «إياكم والظن، فإن الظنَّ أكذب الحديث، ولا تحسسوا، ولا تجسسوا، ولا تحاسدوا، ولا تدابروا، ولا تباغضوا، وكونوا عباد الله إخواناً» [رواه البخاري].

وفي قصة حاطب بن أبي بلتعة (رضوان الله عليه) حين أرسل رسالة لقريش يخبرهم فيها بمسير النبي ﷺ، فدعا رسول الله ﷺ حاطباً، وقال: «يا حاطب، ما حملك على ما صنعت؟ قال: يا رسول الله، ما لي أن لا أكون مؤمنا بالله ورسوله؟ ولكني أردت أن يكون لي عند القوم يد يدفع بها عن أهلي ومالي، وليس من أصحابك أحد إلا له هنالك من قومه من يدفع الله به عن أهله وماله، قال: صدق، لا تقولوا له إلا خيرا، قال: فعاد عمر فقال: يا رسول الله، قد خان الله

ورسوله والمؤمنين، دعني فلأضرب عنقه، قال: أو ليس من أهل بدر؟ وما يدريك لعل الله اطلع عليهم فقال: اعملوا ما شئتم، فقد أوجبت لكم الجنة» [رواه البخاري].

أليس الداعية الذي تتكلم عنه أختنا الكريمة حفظها الله، قد طورد وضُيِّق عليه، ووقعت منه زلات وهنات؟ فأين نحن من هذه الموازين؟ وهل هذه الموازين هي عالم من الخيال الغيبي، أم هي وقائع ونصوص متحركة تعالج طبيعة حركة الحياة والناس فيها؟

فإن كان الذي تتكلمين عنه أيتها الأخت الفاضلة قد وقع فعلاً فيما هو كبيرة تشين دعوته ونفسه، وكان فعلاً على خطأ، فإن الشارع الحكيم حدد لنا سبلاً للبت في مثل هذه الأمور، فيكون الاتصال بمن هم حوله من الدعاة، والتحاور معه، وفهم الأمور، وفي شرعنا شُرِعَ القضاء والمحاكمة والفصل في الأمور، وسماع البينات، وتطبيق حكم الشرع هو الأصل، وكل من تقلد القضاء الشرعي أو الدعوي يعلم كيف تُجرَى هذه الأمور وكيف تدار.

هذا ومن الأمور الواقعية أن الإنسان منا مُعرَّض لكثير من الأخطاء، بطبيعتنا البشرية، فهل نسمح للغير لو أطلع على هذه الأخطاء منا أن يعاملنا كما نعامل الآخرين بدون تلك الموازين؟

إن الدعاة إلى الله تعالى مطالبون أن يكونوا شامة في الناس، وهذه هي ضريبة الدعوة، وويل لداعية يغفل عن تلك الأحاديث التي أوردها إخواني المستشارون، وقد أطلق الشيخ السباعي (رحمه الله تعالى) حكمة ربانية، فقال: "تأبى كرامة الله أن يؤيِّد من لا يخلص في الدعوة إليه، تأييداً يغطي عن العيون حقيقة أطماعه ونواياه".

إنني لأخشى من تصاعد موجة وموضة التطاول على الدعاة والعلماء، حينما نتساهل مع طرح وتساؤل يلج إلى مكنون الصدور، وما انتشر اليوم من إطلاق الكلام على الدعاة قد خبره القاضي الفقيه أبو بكر بن عبد الله بن زيد حفظه الله، في كتابه "تصنيف الناس بين الظن واليقين"، فقال مما قال: "ترى الجرّاح القصّاب كلما مَرّ على ملأ من الدعاة اختار منهم ذبيحاً، فرماه بقذيفة من هذه الألقاب المُرّة".

ولست بهذا الكلام أعني الأخت السائلة حفظها الله، بل هو الخوف العام من انتشار هذه الطريقة، علينا أن نكون في توازن، وتحكيم لشرع الله تعالى، ولا نُطلق الأحكام جزافاً، ولا نشق على قلوب الناس، فإن كان الأمر يهمنا ويهم ديننا، فهي الطريقة الشرعية في التحاكم والبث في الأمور، ولنتذكر أننا ربما يوماً نقع في أخطاء مماثلة.

الأخت الكريمة نرمين: إن ما حباك الله تعالى به من حساسية إيمانية لهي نعمة من الله تستحق منك شكراً، فأكملي نعم الله عليك بالرفق مع إخوانك، وحسن الظن بهم، وحسن الصلة معهم بالمعروف، فمن لذلك الداعية لو أننا اكتفينا بإطلاق الألفاظ عليه؟!.

كلا أيتها الأخت الكريمة، بل أنت مُكلّفة شرعاً بالحرص عليه والرفق به، فلعله يعاني ما يعاني، وأنصحك أن تكوني عملية، فاتصلي بمن حوله، وحرّضيهم على مساعدة أخيهم، فأنت مسؤولة عن ذلك أمام الله ﷻ.

وفي حديث أبي داود بسند صحيح، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «أقيلوا ذوي الهيئات عثراتهم».

وفقه الحديث: إذا وقعت من المسلم زلة، وكان مستور الحال، معروفاً بين الناس بالاستقامة والصلاح، نُدب للناس أن يستروه ولا يُعزّروه على ما صدر منه، وأن يشفعوا له ويتوسطوا له لدى من تتعلق زلته به إن كانت تتعلق بأحد. أي يتغاضوا عن زلات من عُرِفوا بالاستقامة والرشد.

أختي الفاضلة نرمين، لا تجعلي ما ترينه من سلوك البعض مصدراً للحيرة والوقوع في التعميم، وهضم الناس، فهذا دينك أيتها الأخت، وكما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "والمؤمن الكيِّس يوافق كل قوم فيما وافقوا فيه الكتاب والسنة وأطاعوا فيه الله ورسوله، ولا يوافقهم فيما خالفوا فيه الكتاب والسنة أو عصوا فيه الله ورسوله"، وما ثمة معصوم بعد الرسل الكرام، كائنا من كان.

حفظك الله أختنا الكريمة نرمين، وأنار دربك بأنوار اليقين والحق، وسدد على الخير خطاك، وحمانا الله جميعاً مما يشين ديننا.

عبد الحميد الكبتي- أوروبا

تعليق

المستشار: الأستاذ فتحي عبد الستار

جزاكم الله خيراً أخي عبد الحميد على مشاركتك الطيبة، وهي بحق أضافت عدة مفاهيم هامة، على الرد السابق لمستشارينا الأفاضل، ألا وهي مفاهيم: عدم إطلاق الأحكام جزافاً، وحفظ أعراض الدعاة والعلماء عن أن تلوكها الألسنة، وعدم الشق عن القلوب، وإقالة العثرات، والحذر من اتهام النوايا، وخطورة افتراض العصمة في أيٍّ من البشر.

كما أرشدت المشاركة إلى عدة موازين شرعية، مُستقاة من الكتاب والسُّنة، من الواجب اتباعها عند التعرض للحكم على الأشخاص.

وأتمنى أن يقع ما جاء في هذه المشاركة في قلب كل مسلم موقع القناعة، وفي لسانه موقع التطبيق، وفي جوارحه موقع التصديق، فما أحوجنا خاصة في هذا العصر إلى احترام ذواتنا ورموزنا، لا لتقديسنا لشخوصهم، ولكن لتعظيمنا لما يحملون، مع تفعيل أدوات النصح والتذكير والتقويم الواجب علينا تجاه كل من نراه على خطأ يشينه أو يشين الدين.

نشكرك أخي عبد الحميد أن ذكَّرتنا والأخت السائلة بهذه المعاني والمفاهيم الطيبة، ومرحباً بك دائماً مستشاراً ومشاركاً وأخاً عزيزاً.

عندما يصاب الدعاة بالشيزوفرينيا!!

حائرة أنا من تصاريف هذا الزمان، ومن قدرة البعض على الخداع!!.
البعض يدَّعي الالتزام، وهو لا يتوقف عن الخروج على هذا الخط الذي يلاقي بسببه العنت في الدنيا!.
خبِّرني بالله عليك، كيف يستطيع الرجل أن يجمع النقيضين في جوفه؟؟!!
يدَّعي الصلاح ويُسجَن ويُلاحَق في الأرزاق بسببه، وفي نفس الوقت يفعل ما يهدم هذا الادعاء!!
هل تستطيع أن تشرح لي يا سيدي؟!.

نرمين- مصر

الرد

المستشار: فريق الاستشارات الدعوية

يقول الأستاذ معتز الخطيب، الباحث والكاتب الإسلامي السوري:

أختي الحائرة.. أحيي فيكِ هذا التساؤل الوجيه حول التعارض بين الأقوال والأفعال، أو بين حال وحال، أو بين مجال ومجال آخر، لشخص واحد.

ثمة شيء أغبطك عليه، وهو أن الحالة الفردية أو الحالات التي شاهدتِ فيها هذا الانفصام وقفتْ بك عند مجرد (الحيرة)، التي دفعتك إلى (التساؤل) الذي هو مفتاح التفسير الذي يبدد حيرتك تلك، ولم تتمادَ بك تلك الحالة أو الحالات (الفردية) إلى إطلاق الأحكام العامة

على كل الدعاة مثلاً، أو إلى النفور من الدعوة نفسها، كما يحدث لبعض (المشوَّشين) نسأل الله تعالى لهم التوفيق والسداد.

ولو انطلقنا من سؤالك لوجدنا أنك تتحدثين عن (خداع)، وتطلبين الجواب عن: كيف يجتمع النقيضان في رجل: دعوى الصلاح، وفعل ما يهدمها؟ لكنك لم تذكري لنا تفاصيل هذا الصلاح الذي يدَّعيه صاحب الموقف، ولا حقيقة الفعل الذي يقوم به مما يهدم دعوى صلاحه.

فهل لنا أن نكتفي بهذا منك وننطلق معك بناء على حُكمك عليه بأنه رجل (مخادع)؟

لعل الصواب هنا أن نُقِر بوجود مثل هذه الحالات مما نعرفه حقّا، وسنمضي معاً في تحليل هذه المواقف الموجودة، وأن ننزلها منزلة (الظاهرة) حتى يتسنى لنا تفسيرها، واقتراح سبل معالجتها، وليس هذا حُكماً منا على الأشخاص، سواء الذين تعنينهم أنت في سؤالك، أم الذين نعرفهم نحن.

لقد تحدث القرآن الكريم عن هذه الظاهرة، فقال: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلاَ تَعقِلُونَ﴾ [البقرة: 44]، وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لاَ تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: 2].

وتحدث النبي ﷺ عنها أيضاً، فقال: «لأعلمنَّ أقواماً من أُمَّتي يأتون يوم القيامة بحسناتٍ أمثال جبال تهامة بِيضاً، فيجعلها الله ﷻ هباءً منثوراً، قال ثوبان راوي الحديث: يا رسول الله، صفهم لنا، جلِّهم لنا، أن لا نكون منهم ونحن لا نعلم، قال: أما إنَّهم إخوانكم ومن جِلْدتكم، ويأخذون من الليل كما تأخذون، ولكنَّهم أقوامٌ إذا خَلَوْا بمحارم الله انتهكوها» [رواه ابن ماجه بسند صحيح].

نريد من هذا أن نقول: إن المشكلة التي تُحيّرك – أختي – موجودة قديماً وحديثاً، لكننا نقع في الخطأ الجسيم إذ نصل بالدعاة والعلماء وغيرهم مرتبة (التقديس) فيُخيَّل إلينا أنهم لا يكادون يخطئون، أو أنهم كالملائكة استوجبوا رضوان الله، واستقاموا على الطريقة، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون!!.

لماذا حين نحب رجالا أو نُقدِّرهم نتناسى صفتهم الراسخة أنهم (بشر)، والتي ألحّ عليها القرآن وكذلك السنة النبوية في خصوص الأنبياء، مخافة أن يتم تقديسهم، فكيف بمن هم دونهم؟!.

هذه هي المشكلة الأولى، وهي أن علينا أن نُنقّي تصوراتنا عن مثل هذه الأوهام، ونعلم أن الكل يخطئ، وقد أخطأ الأنبياء، والصحابة (رضوان الله عليهم)، وما أحداث غزوة أحدٍ، وحادثة الإفك في سورة النور، وفي الثلاثة الذين خُلِّفوا في سورة التوبة، وغيرها عنّا ببعيد. **فإذا ما فعلنا ذلك تحقق أمران:**

الأول: تذكرنا أن هؤلاء جميعاً (بشر)، فسهُل علينا تجاوز أخطائهم.

الثاني: علمنا أنهم حين أخطئوا أخطئوا بصفتهم البشرية، وهذا لا يعني أن ثمة خللا في مبادئ الدين وقيمه التي يحملونها، فنترك خطأهم ونثبُت على المبدأ.

لكن من حقنا التساؤل: لماذا يقع الخطأ؟

لن نعتبر مقولة: (لأنهم بشر) هي الجواب، لا، فثمة احتمالات متعددة يمكن لها أن تكون تفسيراً لهذه المشكلة:

أولا: هناك مسافة تفصل المبدأ والفكرة عن الواقع، وهي المسافة التي تفصل المشخص عن المجرد.

فالمبدأ فكرة مجردة تنزع دوماً نحو الكمال، والواقع مشخص كثيراً ما يكون دون المثال، وهنا تنشأ فكرة (مجاهدة النفس) و(تغيير الواقع)، ليطابق النموذج المثال الذي نحمله في أذهاننا.

والحياة في ميزان الفكر: عملية تغيير مستمرة، وفي ميزان المتصوفة: تربية للنفس مستمرة.

وفي هذا السياق يمكننا أن نفهم قوله ﷺ: «إنّ الدِّين يُسْر، ولن يُشادَّ الدينَ أحدٌ إلا غلبه، فسدِّدوا وقاربوا وأبشروا، واستعينوا بالغُدْوة والرَّوحة، وشيءٍ من الدُّلْجة» [رواه البخاري].

ثانيا: بعض الدعاة يحتاجون إلى فهم الواقع وإنشاء علاقة سوية مع العصر ومنجزاته؛ فهم يدعون إلى مجموعة من الأفكار المستمدة من كتب التراث، والتي لا تحمل (راهنيتها) وبالتالي تكون منعزلة عن الواقع، ولا يمكن تطبيقها إلا بمخاصمة أو منافرة الواقع، بل إن بعضهم يدعو إلى الانسحاب من الواقع لأنه كله شرور!

هؤلاء أو تلامذتهم حينما سيضطرون للتعامل مع الواقع والانخراط فيه، لن يكونوا مهيئين للتعامل معه، وأفكارهم وتصوراتهم لا تملك قابلية التطبيق، وهنا إما أن يمارسوا انفصاماً عمليّا بين الفكر والعمل، أو أن يعودوا إلى انعزاليتهم.

ثالثا: مشكلة في الفهم والإدراك العميق لقيم وتعاليم الإسلام، فكثيراً ما يسيطر على الدعاة والمعلمين والمتعلمين في فهم الإسلام البعد الغيبي (الميتافيزيقي) وهذا في أحد أوجهه عجز عن إدراك الأبعاد الأخرى للوحي، أعني الأبعاد الاجتماعية والواقعية المشخصة للوحي، فمثلا: دائماً ننظر إلى (الإيمان) على أنه مفهوم غيبي، في حين أن القرآن يلح على بُعد واقعي للإيمان، فيقول: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ

يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: 82]، ويقول: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: 13]، والأمن والظلم لهما تجليات واقعية في المجتمع، نأمل أن نجلي هذه المسألة لاحقاً.

رابعا: يولَع البعض في الحديث عن مثل هذه المشكلة بالقول: إنها أزمة نفس وشهوات وضعف إيمان، وهذا حق من وجه، لكن المشكلة ليست نفسية أو إيمانية قلبية فقط، بل هي فكرية أيضاً، ويمكن أن تكون المشكلة في أن النفس لا تملك خيالا قويّا قادراً على أن يمثل للوعي رؤية ملموسة تكون القيم فيها قادرة على ممارسة جاذبيتها للقلب بكل طاقاتها.

وهذا الخيال لا يتحقق إلا من خلال تزكية البعد الإيماني والأخلاقي وتحفيزه إلى أقصى غاية، لكي يتناسب مع حجم التحديات التي تفرضها الحياة المعاصرة؛ هذا فضلا عن وجود قناعة عقلية راسخة بصحة الأفكار واقعيّا، والإيمان بكونها سبيلا للصلاح الدنيوي قبل الأخروي.

والسر في أن بعض هؤلاء الذين يعانون من الازدواجية يواجهون العنت والمضايقة في الأنفس والأرزاق في سبيل المبادئ التي ربما يتخلون عن بعضها منفردين: أنهم حين يواجهون تحدياً ظاهراً مشخصاً يقوون على الثبات والمواجهة باعتباره يهدد وجودهم، في حين أنهم لا يشعرون بوجود هذا التحدي حين ينفردون بأنفسهم، وهذا يؤكد عدم وجود هذا الخيال القوي الذي تحدثنا عنه.

وهذا هو النبيُّ ﷺ الأتقى والأعلم يجأر إلى ربه، ويقول: «يا حيُّ، يا قيُّوم، برحمتك أستغيث، لا تكلني إلى نفسي طرفة عين» [رواه الحاكم وصححه].

فالعلاج إذن يكون من جهتين:

الأولى: فكرية، بتصحيح الفهم وتنقية التصورات وعدم تقديس الأشخاص.

والثانية: إيقاظ الإيمان بالرقيب القريب، ثم اعتياد الصحبة والمخالطة النافعة، ويعين على ذلك تذكُر أنَّ الله يسمع ويرى ويعلم كل شيء، والكرام الكاتبين يعلمون ما تفعلون، والجوارح كلّها تشهد لا تغيب، وسوف تُستَشهَد فتشهد عليك يوم الحساب.

وتضيف الأستاذة منال درويش، الأديبة المصرية، وعضو فريق الاستشارات:

أختي الحبيبة نرمين، سلام الله عليكِ ورحمته وبركاته، لا أخفي عليكِ سرّا أن حيرتكِ هذه تنتاب الكثيرين منّا، وأحسب أن من نتحدث عنهم هنا هم القلة القليلة بإذن الله، الذين يبطنون غير ما يظهرون، ويفعلون شيئاً ويتحدثون عن نقيضه،، وهؤلاء من وصفهم رب العزة بأنهم يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم، وهم يتلون الكتاب.

وهذا النموذج من الدعاة ربما يكون للكثيرين جسراً يعبرون من فوقه ومن خلاله إلى الجنة، ثم يسقط هو في النار، أعاذنا الله وإياك منها ومن سوء العاقبة في الدنيا والآخرة.

أختي الحبيبة، إن الداعية الذي أهّل نفسه تأهيلا فقهيّا وعلميّا ونفسيّا لخوض غمار الدعوة إلى الله عز جل، يجب عليه أن يعترف أمام نفسه قبل الناس أنه بشر وليس ملاكاً معصوماً من الخطأ؛ حيث إن إغفال الجانب الإنساني والنفسي في شخصية هذا الداعية قد يؤثّر عليه بالسلب إن لم يصلح ما به من عيوبٍ وأخطاء؛ لأن من البديهي معالجة مرضي قبل أن أعالج أمراض الآخرين، وبعض الدعاة يرى

نفسه أو يراه الآخرون إنساناً غير قابل للخطأ أو الزلل، وبالتالي فإن هذا الشعور وتكريسه يجعله ينظر للآخرين بفوقية شديدة، وينسى أنه من بني آدم الذين قال فيهم ﷺ: «كل ابن آدم خطاء» [رواه الترمذي بسند حسن].

ومن جانب المجتمع نجد أنه قد يضع حول هذا الداعية هالات من القداسة، تجعله يُصدَم وينزعج حين يرى هذا الداعية يقع في الزلل، أو فيَ موضع تقصير في جانب من الجوانب، وبعدها نجد المجتمع يتقبله في امتعاض، غير آبه بما يلقيه عليه من خطب ومواعظ؛ لأنه أراد أنه يقول شيئاً ويفعل شيئاً آخر، فيتحدث – مثلا – عن حسن المعاملة، ووجوب أداء الحقوق لأصحابها، والسماحة في البيع والشراء والاقتضاء، شارحاً بالقرآن والسُّنة في بلاغة وفصاحة، ثم عندما تعامله تجد العجب العُجَاب، وكأنه تحول إلى شخص آخر تماماً غير الذي كان يقف على المنبر، أو الذي كان يجلس معك في حلقة إيمانية، يسيل من فمه فيها الكلام العذب الذي يجعل القلوب تذوب رقة وشفافية.

وقد واجهتُ على المستوى الشخصي حالات معدودة من أمثال هذا النموذج من الدعاة، ولأشد ما آلمني أني وجدت من يبرر لهم ذلك تبريراً واهياً؛ إذ فاجأني أحد أصحابهم عندما شكوت إليه تصرفات صاحبه الداعية، بقوله: "إنه رائع ومثالي جدّا عندما نجتمع في حلقات الإيمان والذكر، ولكن يعيبه أن تعاملاته غير منضبطة"!! وكأن هذا شيء عادي يوضع في مصاف الهنات الصغيرة المقبولة من فاعلها، والمتجاوَز عنها، فذكَّرني هذا برواية عن عمر ﷺ، حيث قال له رجل: إن فلاناً رجل صدِق، فقال له: هل سافرت معه؟

قال: لا، قال: فهل كانت بينك وبينه معاملة؟، قال: لا، قال: فهل ائتمنته على شيء؟ قال: لا، قال: فأنت الذي لا علمَ لك به، أراك رأيتَه يرفع رأسه ويخفضه في المسجد!!.

فنجد أن عمر ﷺ لم يرضَ بقول الرجل في أحد الناس، وشهادته له، لمجرد أنه رآه يصلي في المسجد، وإنما سأله عن أمور أخرى هامة وأساسية – في نظره – للحكم على الناس، وتصلح معايير يُحتكَم إليها، غير مجرد إظهار شعائر العبادات، ولا يتعارض هذا مع حديث: «إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا عليه بالإيمان» [صحيح ابن خزيمة]، فالإمام القرطبي قد نقل في تفسيره – بعدما أورد هذا الحديث – عن ابن العربي قوله: "وهذا في ظاهر الصلاح، ليس في مقاطع الشهادات، فإن الشهادات لها أحوال عند العارفين بها، فإن منهم الذكي الفطن المحصّل لما يعلم اعتقاداً وإخباراً، ومنهم المغفّل، وكل واحد ينزل على منزلته ويقدر على صفته".

أختي الحبيبة، أحسب أن الازدواجية أو الانفصام الذي تحدثت عنه في غالب أشكاله، ليس بالضرورة أن يكون عن عَمْد، فيصبح خداعاً كما أسميتِه، وبالتالي يكون ضرباً من ضروب النفاق والعياذ بالله، والذي يقول فيه ﷻ: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ [النساء: 142]، ويقول أيضاً: ﴿وَلاَ تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّاناً أَثِيماً﴾ [النساء: 107]، واتباعاً لأمر ربنا فلن نجادل عن هؤلاء، فهم ليسوا في مناط التناول في استشارتنا تلك، فهؤلاء حكمهم معروف.

أما مَن نتحدث عنهم هنا، فهم الصنف المؤمن الذي تغلبه شهوته وهواه أحياناً، وهم الذين لم ينزع ربنا ﷻ عنهم صفة الإيمان، حين

ناداهم قائلاً: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لاَ تَفْعَلُونَ* كَبُرَ مَقْتاً عِندَ اللهِ أَن تَقُولُوا مَا لاَ تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: 2،3].

وأعتقد – يا حبيبتي – أنهم ما داموا كما ذكرتِ يتحملون الابتلاء في سبيل الله ﷻ وفي سبيل دعوته وإعلاء كلمته، فهم على بقيةٍ من خير إن شاء الله، ويُرجَى إقلاعهم عما يخالف نهجهم، ولنترفق في نصحهم، متأسين بالأسلوب الرباني اللطيف الرقيق في عتابهم، وأظن أن بقية الخير التي فيهم سيكون لهذا العتاب صدى فيها، وتأثر ينتج سعياً إلى الاستدراك بإذن الله.

ويضيف الدكتور أحمد ربيع:

إن مطابقة قول الداعية لعمله أمر مهم، حتى يصدق الناس دعوته، فالحق هو الحق، ولكنه يحتاج إلى بيان عملي ممَّن يقدمه، والناس ينظرون إلى سلوك الداعية، هل تتطابق أعماله مع أفعاله أم يخالف قوله عمله؟ فإن تطابقت الأقوال مع الأعمال أقبل الناس على الداعية، أما إذا خالفت أفعال الداعية أقواله، نظر إليه الناس باستخفاف ولسان حالهم يقول: لو كان ما يدعونا إليه خيراً لألزم نفسه به، فالتطبيق العملي أمر ضروري لنجاح الداعية في دعوته، فلن يستقيم الناس على الهُدَى ما لم يرَوا إمامهم قد سبقهم إليه، فأصبح قدوة صالحة، ومنارة على الطريق، يستضيء بنورها الساري.

لقد التزم بهذا المنهج رسل الله عليهم الصلاة والسلام، فها هو شعيب يعلن لقومه: ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: 88].

فمن الواجب أولا على الداعية أن يطبق ما يقول على نفسه، وإلا أصبح مثله مثل الطبيب الذي يداوي المرضى وهو مريض، كما قال القائل:

ألا أيها الرجل المعلم غيره   هلا لنفسك كان ذا التعليم

تصف الدواء لذي السقام وذي الضنى   كيما يصح به وأنت سقيم

ونراك تصلح بالرشاد عقولنا   وأنت من الرشاد عديم

ابدأ بنفسك فانهها عن غيها   فإذا انتهت فأنت حكيم

فهناك يُسمَع ما تقول ويُشتَفَى   بالقول منك وينفع التعليم

أما الازدواجية التي تستغربينها أختي السائلة فإنها ليست ازدواجية، وإنما هي نفاق عملي، يقصد منه صاحبه النفع المادي، ومن يفعل ذلك فليس في الحقيقة داعية من الذين يدعون إلى ربهم على بصيرة، إنما هو ممَّن أراد الحياة الدنيا وزينتها، وزُيِّن له سوء عمله فرآه حسناً، وهو ممن عناهم النبي ﷺ بقوله: «يؤتَى بالرجل يوم القيامة فيُلقَى في النار، فتندلق أقتاب بطنه، فيدور بها كما يدور الحمار بالرحَى، فيجتمع عليه أهل النار، فيقولون: يا فلان، مالك؟ ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ فيقول: بلى، قد كنت آمر بالمعروف ولا آتيه، وأنهى عن المنكر وآتيه» [رواه مسلم].

واعلمي أيتها الأخت الفاضلة أن هؤلاء الناس الذين يعملون بوجهين، إذا كانوا يستطيعون خداع الناس فلن يستطيعوا خداع رب الناس. وفقك الله أختي الكريمة، ونرجو أن نكون قد استطعنا أن نزيل حيرتك، ومرحباً بك وبرسائلك دائماً.

انفصام شخصية الدعاة.. مشاركة من مجرب

السلام عليكم ورحمة الله، عندي تعليق على سؤال الأخت الكريمة نرمين وذلك في سؤالها المعنون بـــ "عندما يصاب الدعاة بانفصام الشخصية"!.
ولا أدري هل يُسمح بنشر تعليقات لغير المشرفين أم لا؟ على كلّ الأحوال سأكتب ملاحظاتي وأترك خيار نشرها من عدمه تبعاً لما يراه المشرفون حفظهم الله ولما هو متَّبع من نظم في الموقع.
حقيقةً أعجبتني ردود الأخوة والأخوات المشرفين، وأحبُّ أن أضيف شيئاً قرأته لكاتب أوربي يتحدث عن السبب الذي يجعل بعض الأشخاص الذين تمسّكوا بأفكار معينة لسنوات عديدة وغالباً ما تكون هذه الأفكار بها الكثير من التشدُّد وانغلاق الذهن- هكذا يقول، فهو يتكلم بشكلٍ عام- وتعرَّضوا من أجل تمسُّكهم بها إلى العديد من المشاكل والصعوبات في حياتهم وصبروا على ما يلاقون لأعوامٍ كثيرة، ثمّ إذا بهم يتركون معتقداتهم وفلسفاتهم ويخالفونها بشكلٍ صارخٍ يصيب أقاربهم وذويهم والمقرّبين إليهم بحالة من الدهشة والاستغراب، ثمّ ذكر المؤلف العديد والعديد من الشخصيات المشهورة عالمياً في كلّ مجالات الحياة والعلوم والفكر وحتى الدين وقد ذكر لهؤلاء المشاهير قصصاً يندى لها الجبين، وأفعالا تخالف أقوالهم بشكلٍ كاملٍ، ثمّ بدأ يعلل تلك الأفعال والتصرفات بتعليلات نفسية لم أوافقه كثيراً عليها، غير أنّه لفت انتباهي لأمرين:
أولهما: أنّ الأشخاص الذين يتمتعون بمزاجٍ حاد وشدة -وهم الذين ينادون بالقضايا العادلة ويبذلون دماءهم وأرواحهم في سبيل ذلك ويتعرّضون للملاحقات والابتلاءات مثل الشخص الموصوف في سؤالك- هم أكثر الناس تعرضاً لمثل هذه الانتكاسات، وأكثرهم إصراراً على تكرارها إلا من رحم الله، وقد ذكّرني ذلك بالأثر الوارد عن نبي الله

موسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام عندما سأل إبليس عن قدرته على التسلط على بني آدم فأخبره أنَّ سلطانه وقدرته إنَّما تكون على الرجل الحديد من بني آدم، والحديد هو حاد الطباع الشديد والعلم عند الله، ويذكّرنا ذلك بوصف الحبيب ﷺ فقد كان ليّن العريكة ليس بالشديد ولا بالصخَّاب صلوات الله وسلامه عليه.

وثانيهما: أنَّ الشخص نفسه لا يجد تبريراً مقنعاً لما يقوم به من مخالفات وتصرفات غير لائقة ولا مقبولة، لا سيما وهو من هو من حيث ادعاء المثالية ومطالبة الآخرين بتحري الكمال والوصول إلى المنتهى، وقد يعتذر بعضهم بقدر الله، والبعض يدَّعي أنَّه مدفوع لذلك بلا إرادة منه ولا سعي، وقد يعتذر البعض منهم بأنَّها سنوات الكبت وعدم عيش الطفولة والشباب كمرحلتين ضروريتين، فيجد نفسه مدفوعاً لعيشهما بعد فوات الأوان، الحاصل أنَّ الجميع يكونون مقرين بالخطأ غير أنَّهم حائرون في معرفة سببه وغايته وهدفه، وإلى هنا تنتهي تجربة الكاتب.

والحق يقال أنني لم أنتظر منه أكثر من ذلك، فهو لم يقرأ القرآن الكريم ولا اطلع على أحاديث المصطفى ﷺ، ولا عرف سيرته وأصحابه الكرام حتى يدلَّنا على ما بين أيدينا، وحقيقةً أختي الكريمة أنا أعرف شخصاً بالمواصفات التي ذُكرت كان وكان ولن أضيع وقتك بإعادة وصف من ترينه كلَّ يومٍ وتأملين أن يأتي اليوم الذي ترينه وقد عاد إلى جادة الصواب وأصبح الإنسان الذي يملأ سمع وبصر الدنيا غير أنني أحب أن ألفت نظرك لأمور قد تساعدك على تقريب هذا اليوم:

الأول: عليكِ أن تحمدي الله على العافية، فالبلاء والعافية كلاهما من الله لا فضل لأحدَ منَّا فيهما ولا خيار كذلك.

الثاني: لا بد أن تعلمي أنَّه لا أحد منَّا يحب أن يكون ذلك الشخص المشوّه صاحب الوجهين أو بتعبيرك المنفصم شخصيا، فكلنا نوقن أنَّ ذلك مرض، وكما تعلمين أنَّه لا أحد منَّا يحب المرض أو يريده.

الثالث:عليك أن ترحمي مريض اليوم بصحته في الماضي، وتنجيه اليوم من الشدة بما كان يصنع أيام رخائه، وتقيلي عثراته اليوم جزاء لما كان يصنع أيام عزته بطاعة الله.

الرابع: أن تعلمي علم اليقين أنّك لن تكوني أعلم من ذلك الداعية بموطن الخطأ غير أنّك صحيحة القلب؛ فتشعرين بمعنى الوعيد وتحسّين بمعنى الوعد، أمّا صاحبنا فقد غشيي قلبه طبقة من الذنوب تعمل على صد كلّ نصيحة وكلّ موعظة، فلا تضيعي وقتك بجمع أكبر عدد من المواعظ، فهو يعلمها أكثر منك، ولكن اشغلي نفسك بتعلم كيفية توصيلها له.

الخامس: أختي الكريمة هذا النوع من الناس يتميّز بالمعاندة الشديدة؛ فقد يصل به الأمر إلى معاندة ذاته؛ ولهذا فكلّ سبيل لمقارعة الحجة بالحجة ومقارنة البراهين وإقامة الدليل على خطأه ستذهب أدراج الرياح، ولن تجني منها إلا تماديه في أفعاله لا لشيء إلا ليُثبت لك أنّك لست أفضل منه، وليُثبت لك أنّه ليس بمريض ولا بمتهاو، وليُثبت لك أنّه على صواب وأنت المخطئة، ولا تتعجبي، ولكن جربي مرة أن تريه دمعةً حانيةً صادقةً مخلصةً على ما آل إليه حاله، وأخبريه أنّك لا ترينه إلا في صورته الأولى المشرقة، وأنّ عينيكِ وعقلكِ يرفضان أن يرياه في غير الصورة التي عهداه فيهما.

السادس: إياك ثمّ إياك ثمّ إياك ومعايرته أو التعالي عليه أو التندر معه بعيوبه وزلاته، فليس هذه صورة المعاون الشفيق، بل ولن يزيده ذلك إلا تمادياً وكرهاً لكلّ ما يسمعه منك حقّاً كان أو باطلا.

السابع: أن ستر المسلم واجب، وستر القريب زوجاً كان أو أخاً أو أباً أوجب، وأنّ المعاصي عورات، ونحن دائماً ندعو الله أن يستر عوراتنا أليس كذلك؟ فيكون الحديث عن زلات ذلك الإنسان أو إشاعتها ليس ضرباً من إصلاحه، بل هو الإفساد بعينه، بل والحمق كذلك، فهؤلاء

الناس لا يملكون إلا سمعتهم فإنَّ جاءت الطعنة فيها ومن أقرب الناس إليهم، فهل ترين سبباً بعد ذلك يدعوهم للصلاح؟

الثامن: أصف لك مثالين:

الأول: لغريق أوشك على الغرق، فأنقذه إنسان في اللحظة الأخيرة فعمَّن سيكون حديثه في السنوات التالية؟ عن والده الذي أنجبه وأنفق عليه وسهر على راحته وفعل وفعل أم عن ذلك الذي أنقذه ساعة الضيق؟ أرأيتِ كيف يحتاج إليكِ؟ وكم سيكون شاكراً لكِ إن أنقذته؟

الثاني: أرأيت إن انزلقت قدم شخصٍ وهو يتفرج على أمواج البحر العاتية، وقبل أن يوشك على الغرق مدَّ يده إليكِ فرفضت أن تنقذيه، بل ودفعته بجهلٍ منك إلى وسط الأمواج على أيهما سَيكون حنقه، أعلى قدمه التي انزلقت ابتداءً فأوردته المهالك أم عليكِ أنتِ لأنَّك لم تنقذيه، بل وساهمت في إغراقه؟

أختي الكريمة احملي مع ذلك الشخص حمله الثقيل واجتهدي في إعادته إلى جانب الصواب وادعي الله بصدق وإخلاص، ولا تلتفتي لمن يضع نفسه في برجٍ عاجي، ويقول لك إنَّهم قلة من الدعاة الذين انحرفوا عن جادة الصواب، ثمَّ يكيل لهم اللوم، ونسي أنَّه طبيب ولم يُعهد بطبيب أن يُصرع المرضى أو يلومهم على مرضهم!! فالحق أقول لك إنهم كثيرٌ غير أنَّ حكمة الله اقتضت الستر والصفح وستر القبيح وإظهار الجميل.

وأخيراً أذكِّرك بقوله ﷺ: «لو سترته بثوبك كان خيرا لك» [رواه أحمد بسند صحيح]، وقوله: «ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة» [رواه البخاري].

اللهم يا من أظهر الجميل وستر القبيح، يا من لا يؤاخذ بالجريرة ولا يهتك الستر، يا حسن التجاوز، يا واسع المغفرة، يا باسط اليدين بالرحمة،

يا صاحب كلّ نجوى، يا منتهى كلّ شكوى، يا مبتدئاً بالنعم قبل استحقاقها، يا من رآني على المعصية فلم يفضحني، يا من إذا وعد أوفى وإذا أوعد عفا، أسألك أن تردَّ أخانا وجميع المسلمين وعبدك الفقير معهم إلى جادة الصواب، وإلى الدين الحنيف ردّاً جميلا، وأن تدخل عظيم جرمنا في عظيم عفوك يا أرحم الراحمين.

عامر- مصر

الرد

أخي الكريم، أهلا ومرحباً بك وبمشاركاتك معنا، ونرجو الله ﷻ أن يتقبّل منك هذا الجهد، وأن يجعله في ميزان حسناتك.

نشكرك -أخي الفاضل- على هذه النصائح الطيِّبة التي تحمل في مجملها بعض ما ينبغي أن يتسم به الداعية من رفقٍ وحسن اختيار لأساليبه عند تعامله مع عثرات إخوانه من الدعاة.

أخي الفاضل بارك الله فيك، وفي انتظار المزيد من مشاركاتك.

الدعاة والسمو المصطنع!

تهاني علي- داعية مصرية

ابتدع بعض أتباع الديانات المغايرة للإسلام مصطلحات وألقابا كهنوتية يخلعونها على علمائهم وكُهانهم، تعلي هذه الألقاب من شأن حامليها، وتميزهم عن باقي البشر، بل عن باقي أبناء دينهم أنفسهم، وتضعهم في مصاف تقارب الأنبياء، وربما تفوقها أحيانا في اعتقادهم!!.

ثم جاء الإسلام بعدله ومساواته ليسوي بين المؤمنين عامة بقوله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: 10]، بل يسوي بين الناس كلهم بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ [الحجرات: 13]، وجعل سبحانه وتعالى ميزان التفاضل الوحيد بين البشر هو تقواه ﷻ، حيث قال في تتمة الآية السابقة: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُم﴾ [الحجرات: 13].

ولكن يبدو أنه بطول الأمد على المسلمين، فعلوا ما أخبر ﷺ أنهم سيفعلونه، فاتبعوا سَنَن من كان قبلهم، وجاء بعض مسلمي هذا الزمن وأخذوا يخلعون على أنفسهم وعلى بعضهم البعض ألقابا هي في ذاتها أو في أصلها لا تشي بشيء سلبي، ولكنها مع الوقت اكتسبت ما يمكن أن نسميه "قداسة وسموا"؛ مما جعل هذا الألقاب عند البعض تهب صاحبها العصمة من الخطأ، وتمنحه التميز عن سائر البشر. من هذه الألقاب الأكثر شيوعا: أخ، أخت، ملتزم....

وذاك الطرح له خطر عظيم على الفرد وعلى المجتمع، فهو يدفع الفرد إلى ضَرْب من التسامي الكاذب في بعض الأحيان، فيظن أنه لا يجوز له أن يخطئ أبدا، وإذا أخطأ فتلك هي الآزفة التي ليس لها كاشفة، وقد يدفعه ذلك بدوره إلى ضَرب آخر من ضروب النفاق والتصنع، فيغدو في حياته العامة مع الناس مُرتديا قناعا من الورع والتقوى، فإذا اختلى بنفسه أو انصرف لحياته الخاصة خَلَع هذا القناع أو سقط عنه، وأبان عن وجه آخر من التعدي على حدود الله وانتهاك حرماته.

أما على مستوى المجتمع، فإن ذلك التسامي المتصنع بارتداء ثوب العصمة يؤدي إلى فتنتين:

الأولى: صد الناس عن سبيل الله، من حيث الظن بأن طريق الالتزام والتدين هذا هو طريق لا يستطيع أن يسلكه إلا أناس لهم قدرات وميزات خاصة تختلف عن باقي البشر، إذ يتكرس في أذهانهم أن التدين رهبنة واعتزال وتخل عن كل مُتع الحياة، وليس كل الناس يستطيعون ذلك بالطبع، فتفقد الدعوة بذلك نتاجا وفيرا، ونكون بذلك سببا في صدهم عن سبيل الله بغرس هذا المفهوم بداخلهم.

الثانية: الشك وفقد الثقة في التدين ذاته، اللذان يحدثان عندما يرى أفراد المجتمع أحدا ممن افترضوا فيهم العصمة وهو على خطأ ما أو معصية ما، ومَنْ منا لا يخطئ، ومَنْ منا لا يعصي؟!!.

والحل الوحيد الذي أراه للخروج من هذه الأزمة أن نعيش كما خلقنا الله ﷻ، وكما أراد لنا، بشرا، لا ملائكة، وكما كان صاحب الدعوة الأول وأول حامل للوائها محمد ﷺ الذي كانت بشريته وإنسانيته

من أخص ما يميزه، ﴿هَلْ كُنتُ إِلاَّ بَشَراً رَّسُولاً﴾ [الإسراء:93]، ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ [الكهف: 110].

هكذا كان ﷺ، وهكذا علم أصحابه أن يعيشوا حياتهم الطبيعية على سجيتهم وسط الناس، دون تكلف أو تمثيل أو تصنع، يقفون عند حدود الله ولا ينتهكون حرماته، ويحترمون شعائره وشرائعه، ولكنهم يختلطون بالناس ويبتسمون ويضحكون ويداعب بعضهم البعض، ولا يلغون الخطأ من قواميسهم ادعاء للعصمة، وإذا أخطئوا لا يجلدون ذواتهم، ولا يفقدون الثقة في أنفسهم وفي ربهم، بل يسارعون بالتوبة والاستغفار أيا كان الخطأ صغيرا أو كبيرا.

انفصام الدعاة.. الشيطان يعظ!!

أيُّها الإخوة الكرام، السلام عليكم ورحمة الله.

احترت أين أضع هذا السؤال.. في ركن "مشاكل وحلول للشباب" أم في ركن "استشارات دعويَّة"؟ ولكن الذي جعلني أضعه هنا الموضوع الذي قرأته بعنوان: عندما يصاب الدعاة بانفصام الشخصية!!

وجدت مشكلتي شبيهةٌ بهذه المشكلة، غير أنَّه لديَّ بعض التفاصيل التي لا تدع مجالا للشكِّ أنَّ هذا الداعية المشهور عنه الصلاح، هو شيطانٌ من شياطين الإنس، تعرَّفت عليه مصادفةً عن طريق الإنترنت، ولا أريد أن أغرق في التفاصيل، ولكن الخلاصة أنَّه لديه علاقاتٌ غير بريئة مع فتيات على الإنترنت، ويتبادل معهم الكلام والصور الفاضحة، هذا ما عرفته.. أمَّا ما لم أعرفه فمن المؤكَّد أنَّه أفظع.

ربَّما تشكِّكون في معلوماتي، ولكنِّي متأكِّدةٌ من صحَّتها 100% للأسف، وأقول للأسف لأنَّه ومن خلال موقعه ووظيفته يسيء للدعاة إلى الإسلام، وبعد تجاوزي لمرحلة الصدمة قرَّرت أن أحاول إصلاح هذا الشخص بالبريد الإلكتروني.

وسؤالي هو كيف يمكنني نصيحة هذا الشخص وهل هو مريضٌ حقّاً لأن ما يفعله ليس مجرَّد هفوة أو خطأ، إنَّه مجموعةٌ من الأخطاء والهفوات التي أصبحت تشكِّل مسيرةً ونهجا، وأفكِّر فعلا إذا أجبتم عليَّ أن أرسل له بإجابتكم.

وبارك الله فيكم.

...–Mona

الرد

المستشار: الأستاذ معتز الخطيب، الباحث والكاتب الإسلامي السوري

أختي الكريمة منى، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد..

فقد آلمتني استشارتك، وسرَّني حرصك، وبين ألمٍ وسرورٍ رحتُ أقلِّب النظر في كلامك المرَّة تلو المرَّة، وأسائل نفسي مرَّةً وأتَّهم كلماتك مرةً أخرى، وما زلت بين مساءلةٍ واتِّهام، وأنا أمام كلماتٍ حملها لي الإنترنت حتى بدا لي الآتي:

أوَّلا- أودُّ أن أنبِّه إلى جملة ملحوظاتٍ لابدَّ أن نعيها جيِّداً:

ليس كلُّ من حفظ القرآن وكتب الكتب هو إمام المسلمين، ولا هو الذي لا ينطق عن الهوى، إنَّما هي وسائل متاحةٌ لكلٍّ أحد، والإعلام يضع ويرفع وفق موازينه الخاصَّة به، ومن هنا يجب إعادة صياغة خطاب الدعاة للناس بأن يترك "التلقين" ويتمحور حول الفكرة، ويثير التفكير، ويثوِّر القارئ والسامع ليحكم بنفسه على الكلام وعلى ما يسمعه ويحاكمه ويسائله ويتدبَّره ليختبر مصداقيَّته.

لكنَّنا مأمورون بتعظيم شعائر الله تعالى ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج: 32]، فنحترم حافظ القرآن احتراماً لكلام الله، ونبغض منه وننكر عليه سوء فعله وانحرافه عن الجادة، ونحرص على نصحه، وليس من أحدٍ أكبر من أن يُؤخذ منه أو يُنصح، فالنصيحة «لأئمَّة المسلمين وعامَّتهم» كما في الصحيحين.

الحكم على المسلم -أيّ مسلم- بأنَّه "شيطان" أمرٌ ليس بالهيِّن، ومن ذا الذي يملك أن يحكم بهذا على غيره! فليتَّهم كلُّ واحدٍ منَّا نفسه قبل أن يتَّهم الناس، ولأن نخطئ بالسكوت خيرٌ من أن نخطئ

بالحكم على الناس ونكون قضاةً عليهم، والنبيُّ ﷺ قال: «أفلا شققتَ عن قلبه!» [رواه مسلم].

ثانيا: أنت أختي الكريمة سكتِّ عن التفاصيل وتعمَّدت ألا تخوضي فيها، خشية الإطالة علينا.. ربَّما!

وإن كنَّا قد توقفنا عند بعض أسئلةٍ دارت في الذهن أثناء قراءة رسالتك، مثلت لدينا علامات استفهام.. كيف تعرَّفت إليه وما الظروف وكيف عرفت أنَّ له علاقات "غير بريئة"، نحن لا نتَّهم صدقك أختي، ولكنَّنا في الوقت نفسه لا نستطيع أن نمضي معك في يقينك هذا الذي بلغ (100%) من دون أن نعرف إلا حكمك ووصفك للمشكلة، فالمسألة ليست صدقاً وكذباً، إنَّها مسألة فهمٍ وتقديرٍ للأمور، وهذا ربَّما نختلف فيه.

ثمَّ ساءني قولك أختي الكريمة: "أمَّا ما لم أعرفه فمن المؤكَّد أنَّه أفظع".. كيف يمكن للإنسان أن يحكم على ما لا يعرف!

نحن نقدِّر صدمتك، وربَّما هذا ما دفعك للتسرُّع في الحكم، وقد بدا التردُّد عليك في وصف المشكلة: (شيطان.. ليس هفوة.. هل هو مريض.. كيف أنصحه)..

أختي الكريمة؛ سأضرب صفحاً عن كلِّ هذا على اعتبار أنَّه صرخات نفسٍ متألِّمةٍ غيورةٍ على الدين، ولنبدأ من كلمة العقل الناصح الراشد: "كيف أنصحه؟"، معتبرين أنَّ هذه الحادثة وقعت فعلا على النحو الذي تذكرين، إن "نصحه" مرتهن بفهم مشكلته وطبيعتها وأسبابها.

لا شكَّ أنَّه يعلم بأنَّ ما يقوم به من أفعال صورٌ فاضحة.. وعلاقاتٌ غير بريئةٍ حسب وصفك لا يليق بأمثاله فضلا عن أنَّه حرام،

لكنّه يعاني من مشكلة فصامٍ بين ما يعتقد وما يفعل، فحين يخلو بنفسه تضعف، وتدفعه نفسه لهذه الأفعال مغريةً إياه بأنّه يمكن أن يكون في عالم الإنترنت مجهول الهوية، ولا يعرفه أحد، فالمشكلة هنا مشكلة فهمٍ غير قادرٍ على أن يولّد العمل، ومشكلة نفسٍ ضعيفةٍ لا تقوى على الالتزام في حال الخلوة بما تعلّم، وتستجيب لإغراءات الإنترنت.

والآن بناء على هذا التحليل كيف ننصحه؟

ننطلق معه من نقطةٍ نتّفق نحن وهو عليها، وهي حرمة هذه الأفعال ونذكّره بذلك، وأنّ الله تعالى يقول: ﴿كَبُرَ مَقْتاً عِندَ اللهِ أَن تَقُولُوا مَا لاَ تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: 3]، وكلُّ علمٍ وبالٌ على صاحبه ما لم يعمل به، وكلُّ الناس هلكَى إلا العالمين، والعالمون هلكَى إلا العاملين.

نعظه ونخوّفه بأنّه إن خلا بنفسه، وظنّ أنّ أحداً لا يراه، ويتستّر تحت مسمّيات مختلفة، فإنّ الله لا شكّ مطّلعٌ عليه، وناظرٌ إليه، فلو علم هذا حقّاً كيف يكون حاله فإنّه وإن كان يعلم هذا كلّه لكنّه يحتاج إلى من يذكّره أحياناً؛ لأنّ الإنسان لكثرة أُلفته للفكرة يخبو بريقها في نفسه ويتمادى مع شهواته.

نفضح له خبايا الإنترنت، وأنّه يجب ألا يغترّ بإغراءاتها فهي تمنّيه بسراب.. ولا ينخدع بخصوصيّتها وأسرارها فمن الممكن أن يعرفه الناس ويكتشفوا أمره.. وها أنت قد عرفته.

أنّ حاجاته النفسيّة وشهواته لن تجد ما يلبّيها بهذه الطرق الملتوية، وعبر الفضاء الإلكتروني، بل بالعكس لا تروي ظمأ أو تشفي غُلّة، وتبقى تمنّيه وتمنّيه حتى يقع في "الإدمان" الذي يفسد عليه حياته.

أظهري له صدمتك به، وأنَّه من الممكن بأفعاله هذه أن يصدَّ عن سبيل الله وهو الذي يحفظ القرآن ويعظ الناس.. وليرَ منك دمعةً صادقةً على ما آل إليه حاله، وأنَّ الله لابدَّ سائله عما ضيَّع.

وأنت أختي الكريمة يتوجَّب عليك "الستر"؛ لأنَّ ستر المسلم واجب، وانظري إلى قول النبيﷺ للرجل الذي أشار على الصحابي الذي زنى أن يذهب ليعترف بذنبه للنبي ﷺ، فذهب واعترف، فأقام عليه النبي ﷺ الحد، فقد قال له ﷺ: «أما لو كنتَ سترته بثوبك لكان خيراً ممَّا صنعت به» [رواه أحمد بسند صحيح]، و«من ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة» [رواه البخاري].

شيزوفرينيا الـدُعـــــــاة

مـظاهر الازدواجية والانفصام لدى الدُعاة والعاملين في مجالات الدعوة إلى الله

الدعـوة إلى الله عزّ وجلّ فضـل عظيم وشرف رفيع لا يؤتـاه إلا مـن أراد الله بـه الخـير، واصـطفاه ليكون وريثًـا للأنبيـاء، وعندما يتحـول الداعية إلى شـيطان يعظ؛ يخالـف فعلُـه قولَـه، وباطنُـه ظاهـرَه، وسرُّه علانيتَه، ويدمن المواقع الإباحية، ويتحول من حارس لحدود الله إلى منتهك لها؛ تدق أجراس الخطر، حتى لا تكون فتنة!.

ومـن أرض الواقع تولدت صـفحات هذا الكتاب التي سـاهم في بنائهـا نخبة مـن الدعاة والعلمـاء من خلال ردودهم الشافية وإجاباتهم الوافية على مَن ابتلوا أو فُجعوا بهذه الكارثة.

تلك الصفحات نقدمها بين يدي الدعاة إلى الله ليعرض كل منهم نفسه على ما بها من مظاهر الانفصام؛ حتى إذا وجدوا منها شـيئًا سعوا إلى علاجه والتغلب عليه، كما نقدمها أيضـا لعامة المسلمين حتى يضعوا الدعاة موضـعهم البشـري الطبيعي حسـب طبيعتهـم التي فطرهم الله عليها، دون تقديس أو تبخيس.

وتغطـي مـادة هـذا الكتـاب مجـالات الانفصـام أو الشـيزوفرينيا مـع: النفـس، والدعـوة، والعائلـة، والمجتمع.

ISBN 978-9953-87-245-2

9 789953 872452



ص. ب. 5574-13 شوران 2050-1102
بيروت – لبنان
هاتف: 785107/8 (1-961+)
فاكس: 786230 (1-961+)
البريد الإلكتروني: asp@asp.com.lb

الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.
www.asp.com.lb - www.aspbooks.com